الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

جامعة عبد الرحمان ميرة– بجاية–

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

عنوان المذكرة:

أهمية السياق ودوره في تحديد المعنى عند أبي هلال العسكري

_الفروق اللغوية أنموذجا _

(مقاربة دلالية)

مذكرة مقدمة لاستكمال شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي.

تخصص: لسانيات عربية.

إعداد الطالبتين:

_ وعبة كاهينة.

_ أومليل ليلة.

إشراف الأستاذة:

_ مهلول سميرة.

السنة الجامعية:

2023/2022

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

جامعة عبد الرحمان ميرة– بجاية–

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

عنوان المذكرة:

أهمية السياق ودوره في تحديد المعنى عند أبي هلال العسكري

_ الفروق اللغوية أنموذجا _

(مقاربة دلالية)

مذكرة مقدمة لاستكمال شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي.

تخصص: لسانيات عربية.

إعداد الطالبتين:

_ وعبة كاهينة.

_ أومليل ليلة.

إشراف الأستاذة:

_ مهلول سميرة.

السنة الجامعية:

2023/2022

الشكر والتقدير.

الحمد لله على ما أنعم، والشكر له على ما تفضل وتكرّم،

والذي يَسَرَ لنا الطريق وأزال الصعاب لإتمام هذا العمل المتواضع.

لا يسعنا في هذا المقام إلاّ أن نتقدم بالحمد والشكر لله تعالى

على ما وهبنا من عزم ومقدرة على كتابة هذا العمل.

وإلى من مدّت لنا يد العون

ولم تبخل علينا بنصائحها وإرشاداتها القيّمة:

الأستاذة المشرفة "مهلول سميرة"،

والتي تحملت معنا عناء إنجاز هذا العمل،

فقد كانت لنا خير سند وموجّه.

كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى أعضاء لجنة المناقشة، كلّ باسمه،

على ما بذلوه من وقت وجهد لقراءة هذه المذكرة وتقويمها،

ولا يفوتنا أن نتقدم بالشكر والامتنان أيضا لجميع

عمّال المكتبة، وأساتذة قسمنا "اللغة والأدب العربي"

في جامعتنا "عبد الرحمان ميرة" على كلّ ما قدّموه لنا من علم ودعم.

ونسأل الله التوفيق والسداد.

الإهداء.

الحمد لله الذي بلغني مرادي وهداني، الحمد لله الذي لولاه ما كنت لأصل إلى إنجاز هذا العمل المتواضع، الذي هو ثمرة جهدي، وإلى من أحببناه دون أن نراه سيدنا وحبيبنا محمد الأمين صلى الله عليه وسلم،

أهدي عملي المتواضع هذا إلى كل من أحببتهم من قريب أو بعيد،

فأولا إلى من وصاني الله ببرّهما والإحسان إليهما:

"أمي الغالية" و"أبي الغالي"،

أدامهما الله لي وأطال من عمرهما.

وإلى من تقاسمت معهم الحياة منذ نعومة أظافري: "إخواني وأخواتي"،

الذين أعتبرهم الينبوع الصادق والصافي، أدام الله محبتنا.

وإلى كتاكيت أخواتي:هبة الرحمان، أيوب، سيرين، إسلام

الذين يفوحون بأزكى العطور، فهم مصدر الفرح والسرور.

وإلى جميع صديقاتي اللواتي رافقنني طيلة المشوار الدراسي

من الابتدائي إلى الجامعة، أدام الله ضحكتهن، وأنار طريقهن،

وإلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد،

فلكم جميعا حبي وشكري الفضيل.

كاهينة.

الإهداء.

بسم الله الرحمان الرحمن الرحيم.

"قل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون" [سورة التوبة، 105]

الحمد والشكر لله عزّ وجل على عونه لي في إنجاز هذه المذكرة.

إلى من قال فيهما عزّ وجل:"وبالوالدين إحسانًا": إلى من كلّله الله بالهيبة والوقار، إلى من علمني العطاء بدون انتظار، إلى من أحمل اسمه بكل افتخار، أرجو من الله أن يمدّ في عمره، ليرى ثمارًا قد حان قطفها بعد طول انتظار: والدي العزيز الغالي"صالح".

وإلى ملاكي في الحياة، إلى معنى الحب والحنان والتفاني، إلى بسمة الحياة وسرّ الوجود، إلى من كان دعاؤها سرّ نجاحي، وحنانها بلسم جراحي، إلى أغلى الحبايب: أمي الحبيبة الغالية "نورية".

إلى من رافقتني منذ أن حملنا حقائبنا الصغيرة، وما تزال ترافقني حتى الآن، إلى شمعة متّقدة تنير ظلمة حياتي: "ويسام"، وإلى بسمة الحياة: أختي الصغيرة "حنان".

إلى أحلى هدية من أبي وأمي إخوتي: "عز الدين، اليازيد، ولوصيف".

إلى روح جدي وجدتي الطاهرتين، أسكنهما الله تعالى فسيح جنانه.

إلى ينابيع الصدق الصافي، ومن معهم سعدت، إلى من كانوا على طريق النجاح والخير، إلى من برفقتهم في دروب الحياة الحلوة والحزينة سرت، إلى اللواتي تربّعن على عرش قلبي، صديقاتي: "كاهينة، شاهيناز، سارة، سلطانة، سيهام، صورايا، وسعدية".

وإلى الأساتذة الأفاضل، الذين رافقوني في مساري الدراسي إلى يوم تخرّجي، فلهم كلّ الفضل والاحترام والتقدير. إلى كلّ هؤلاء أهدي عملي.

ليـــــلة.

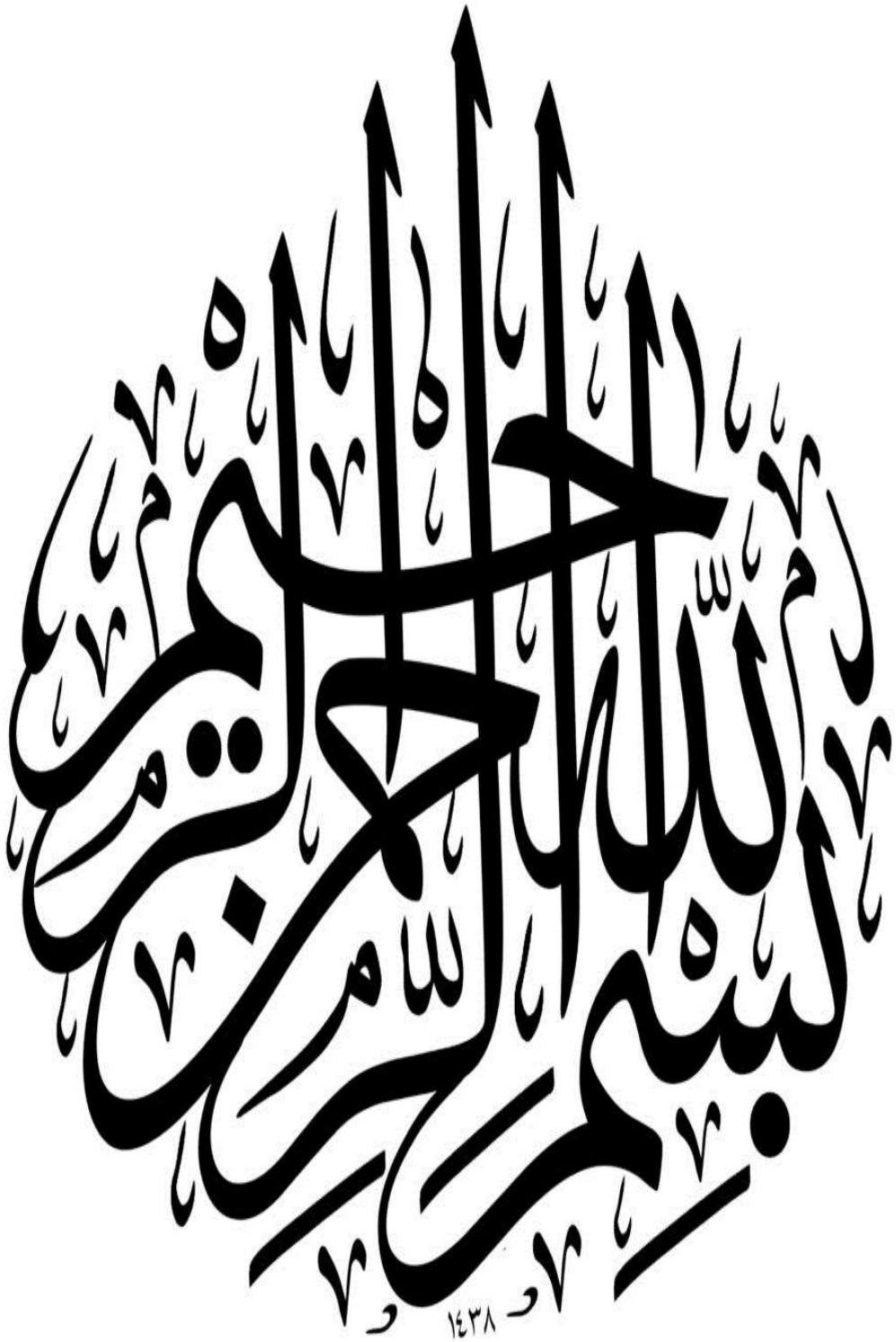
بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٣٨

مقدمة

لقد شغلت دراسة السّياق مجالاً واسعًا في الدرس اللّغوي المعاصر، نظرًا لأهميته الكبرى، وقدرته الهائلة في توجيه علم الدلالة، حيث ارتبط بجهود الكثير من علماء اللّغة قديمًا وحديثًا، حتى صارت نظرية متكاملة ذات مكانة مرموقة، فنظرية السياق تعدّ منهجًا من أهم مناهج دراسة المعنى في اللّغة، إذْ يكسِب الألفاظ معاني صحيحة وواضحة، فالدلالة الصحيحة للمعنى هي التي تكتسب من السياق، بحيث يجمع المعاني المراد فهمها وإيصالها إلى ذهن القارئ وفق قرائن لفظية ومعنوية، تسير بالمعنى نحو الغاية المقصودة.

تعدّدت النظريات اللّغوية في دراسة المعنى، كالنظرية الإشارية لـ "**أوجدن**" و"**ريتشاردز**"، والنظرية التصورية للفيلسوف الإنجليزي "**جون لوك**"، والنظرية السلوكية لـ "**بلومفيلد**"، وغير ذلك من النظريات التي اهتمت بالمعنى، وعلى الرغم من تعدّد النظريات، إلاّ أنها لم تستطع أن تقدّم نظرية لغوية متكاملة عن السياق، كما حدّدها "**جون فيرث**"، حيث أقرّ بأنّ معنى الكلمة لا يتحدّد إلاّ من خلال تسييقها، أي وضعها في سياقات مختلفة، ومنه أصبحت نظريته واسعة النفوذ وذات قيمة كبيرة في دراسة المعنى، حيث تميزت بالشكلية بسبب عنايتها بتسجيل الحقائق اللّغوية على وفق الصور الشكلية والأنماط الحقيقية للصيغ الكلامية للتركيب، ونظراً لأهمية هذا الموضوع في الدراسات اللّغوية الحديثة، من خلال ما يقدّمه للباحث من دعائم وركائز لفهم النصوص اللّغوية المختلفة، جاء بحثنا الموسوم "**أهمية السّياق ودوره في تحديد المعنى عند أبي هلال العسكري الفروق اللغوية أنموذجا– مقاربة دلالية –**"من أجل الوقوف على الفروقات الدلالية في هذا الكتاب، ودور السياق في الكشف عنها.

– أسباب اختيار الموضوع:

لقد كانت هناك مجموعة من الأسباب حفّزتنا لاختيار هذا الموضوع، ومن ذلك: الميل إلى هذا النوع من الدراسات، وحبّنا وشغفنا بالدرس اللساني بصفة عامة، وعلم الدلالة بصفة خاصة، ورغبتنا في الكشف عن جهود علماء العرب والغرب في قضية السّياق، وإزالة الستار عنها.

- **إشكالية البحث:**

سنحاول في هذه الدراسة الإجابة عن إشكالية أساسية وهي: كيف يتجلّى دور السياق في تبيان الفروقات الدلالية بين الكلمات المترادفة عند "أبي هلال العسكري" ؟

وتفرّعت عن هذه الإشكالية جملة من التساؤلات التي يتجلى الموضوع من خلالها، ولعل أهمها:

. ما المقصود بالسياق؟

. وما موقف العلماء العرب والغرب منه؟

. وفيما تكمن فروعه؟

. وما الدور الذي يؤديه في تحديد المعنى؟

- **بنية البحث:**

اتّبعنا من أجل الوصول إلى الهدف المرجو من البحث خطة سهّلت علينا مهمة الدراسة، فقسمنا بحثنا إلى مدخل وفصلين: أحدهما نظري والثاني تطبيقي.

تناول المدخل الدور الذي تؤديه اللّغة في إيصال الفكرة إلى الطرف الآخر، والتي تعتبر من أبرز الخصائص التي يتميز بها الفرد عن غيره من المخلوقات، كما تناول قضية الدلالة والنحو، والتي هي من القضايا المهمة لدى القدامى والمحدثين، فالدلالة النحوية تستقى من خلال العلاقات النحوية القائمة بين الكلمات، والتي يتّخذ كلّ واحدة منها موقعا معينا في التركيب حسب قوانين اللغة.

حاولنا في الفصل النظري الموسوم: "مفهوم السياق وأنواعه"، والذي اشتمل على مبحثين، الإلمام بكل ما يخص السياق، ففي المبحث الأول أشرنا إلى مفهوم السّياق ونشأته في التراث العربي والغربي، في حين أشرنا في المبحث الثاني إلى فرعيه (اللغوي وغير اللغوي)، وفاعليته في تحديد المعنى.

بينما عمدنا في الفصل التطبيقي، الذي جاء بعنوان "السّياق في الفروق اللغوية"، إلى إجراء مقاربة دلالية لبعض نماذج في كتاب "الفروق اللغوية" لـ "أبي هلال العسكري"، ولقد تفرع هذا الفصل إلى مبحثين، بحيث تناول المبحث الأول نبذة تاريخية شاملة عن المؤلف وكتابه، في حين تطرقنا في المبحث الثاني إلى ذكر أهم المعايير التي اعتمدها "أبو هلال العسكري" في التفريق بين المترادفات في كتابه "الفروق"، ودور السياق في تبيان الفروقات الدلالية بين الكلمات المترادفة.

وذيّلنا في الأخير بحثنا هذا بخاتمة، تناولت أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال الدراسة.

- **منهج البحث:**

لقد حاولنا مقاربة الموضوع دلاليا بالاعتماد على آليات الوصف والتحليل، الذي فرضته طبيعة البحث، حيث قمنا بتقصّي الاستعمالات المختلفة للكلمات المترادفة، من أجل تبيان الفروقات الدلالية بينها، ومن ثمّ تمّ توظيف المقارنة في بعض المواطن، أين تمّ وضع الكلمة في سياق ومقارنتها بوضعها في سياق آخر، وأثر ذلك على المعنى.

- **الدراسات السابقة:** استعنا في هذا البحث ببعض الدراسات السابقة من أهمها:

. نظرية السياق عند اللغويين والبلاغيين العرب، رسالة دكتوراه، لبوزبوجة عبد القادر.

- الفروق اللغوية عند الراغب عند الراغب الأصفهاني في كتابه المفردات وأثرها في دلالات الألفاظ القرآنية، مذكرة الماجستير، لمحمد محمود موسى الزواهرة.

- ملامح النظرية السياقية عند اللغويين العرب دراسة من منظور لساني، مذكرة الماجستير، لنعيمة بن ترابو.

- ظاهرة الترادف في كتاب الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري، مذكرة ماستر، لنجوى حفصة ووسيلة وسطاني.

- مستويات السياق اللغوي وأثره في توجيه المعنى- معلقة "عبيد بن الأبرص" أنموذجا، مذكرة ماستر، لعفاف بن بوط.

_ صعوبات البحث وعراقيله:

لا يخلو أيّ بحث من عراقيل في إنجازه، حيث واجهتنا أثناء قيامنا بهذا البحث صعوبات كثيرة، من ذلك: قلة المصادر والمراجع في مكتبة الجامعة الخاصة بهذا الموضوع، مما صَعّبَ علينا الإحاطة بالمعلومات المتمركزة حوله، إضافة إلى ضخامة حجم كتاب "الفروق اللغوية"، والذي تطلّب منا وقتًا وجهدًا في النظر فيه وتتبّع الفروقات الدلالية بين الكلمات، وصعوبة فهم دلالة بعض الألفاظ، ممّا جعلنا نذكر عددا قليلا من النماذج الواضحة.

نشكر في الختام الله عز وجلّ الذي وفقنا وأعاننا على إنجاز هذا البحث، فله الحمد والشكر. كما نتقدم بالشكر الجزيل للأستاذة المشرفة **"مهلول سميرة"**، التي لم تبخل علينا بنصائحها وإرشاداتها القيمة وتوجيهاتها الصائبة، وكذلك الإجابة عن مختلف تساؤلاتنا، التي من شأنها تسهيل البحث والوصول إلى النتائج المرجوة، كما لها الفضل الكبير في تزويدنا بأهم المراجع المعتمد عليها في هذا البحث، وأخيرا نسأل الله عز وجلّ التوفيق والنجاح الدائم.

مدخل اصطلاحي:

1 . في ماهية اللغة.

2 . في ماهية النحو.

3 . الدلالة النحوية.

1 . في ماهية اللغة:

تعدّ اللّغة أهم وسائل التفاهم والاحتكاك بين أفراد المجتمع في جميع مجالات ونواحي الحياة اليومية، ولولا اللّغة لما تحقق التفاعل والتواصل المعرفي بين الناس، وهي السمة التي تميز الإنسان عن سائر الكائنات الحية، لكونه يتميّز بعقله وتفكيره وقابليته للتطور والرقي والتقدم، فدافع الناس من الكلام لم يكن اعتباطاً ولا لمجرد الكلام فقط، وإنما كان الهدف منه إبلاغ شيء ما، وتحقيق التواصل بين طرفي العملية التواصلية، واللغة بالنسبة للإنسان من الضرورات الأساسية لعملية التواصل، ونقل التراث الفكري والثقافي من جيل إلى جيل والتي بفضلها استطاع الاستمرار والتطور، وبالتالي تشكّل قيمة جوهرية عظيمة في حياة كل أمة، فهي بمثابة مرآة عاكسة للفرد والمجتمع، إذ تعكس ثقافته وهويته وانتمائه، كما تقوّي روابط الاتصال بين أفراد الجماعة الواحدة.

يعتبر "**ابن جنّي** (ت 392 هـ)" أول من قدّم تعريفا للغة، وذلك قوله في باب "القول على اللغة وما هي"، فقال: "أما حدّها فإنها أصوات يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم"([1])، ومن خلال هذا التعريف يتبيّن أنّ اللغة ليست ألفاظا أو كلمات، وإنما هي أصوات، والأصوات هي الأشمل والأعم، والمصطلح الأكثر استعمالا وتداولا في علم اللغة الحديث، والعلم الذي يقوم بدراسة هذه الأصوات هو علم الأصوات (Phonetics)، وهو من أحدث علوم اللغة، أما في قوله: "يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم "فهو تقرير للوظيفة الاجتماعية والمعرفية والتواصلية للغة، أو بتعبير آخر، والذي لا خلاف فيه، أنّ وظيفة اللغة الأساسية هي وظيفة التواصل بين أفراد المجتمع، والتي تستدعي عناصرا أساسية متمثلة في المتكلم والرسالة والسامع.

[1]– ابن جنّي، الخصائص، ج.1، تح. علي النجار، مطبعة دار الكتب المصرية، 1952، ص. 33

من هنا، فإنّ تعريف "**ابن جنّي**" تعريف دقيق وشامل للكثير من الجوانب المميزة للغة، فقد أكّد أولا على الطبيعة الصوتية للغة، كما ذكر وظيفتها الاجتماعية في التعبير ونقل الأفكار، كما بيّن أنها تستخدم في مجتمع، فلكل قوم لغتهم ([1]).

ولا يختلف "**دي سوسير**" ولا يبتعد في تعريفه عمّا ذهب إليه "**ابن جنّي**" ورفاقه، وبالرغم من وضعه للعديد من التعريفات للغة، إلاّ أنها تتفق بأنّ اللغة نظام للتواصل، حيث أنّه – وفي كتابه محاضرات في اللسانيات العامة – لم يستعمل مصطلح نظام فقط، بل استخدم كلمة نسق وبنية، ويعود الفضل الأكبر إليه في بروز المنهج البنيوي في دراسة الظواهر اللغوية، فكان مؤسسا للبنيوية.

إنّ اللّغة حسبه نظام من الوحدات اللغوية، ويتأسّس هذا النظام بارتباط عدد من الوحدات فيما بينها، بواسطة مجموعة من العلاقات التي تربط هذه العلامات، لتشكّل نظاماً أو بنية كاملة، كما أنه اعتبرها ظاهرة اجتماعية تستخدم لتحقيق التفاهم (الاتصال) بين الناس، فاللّغة موجودة في كلّ دماغ، لكنها ليست تامّة عند كل فرد، فهي تستدعي مخزونًا ذهنيًا من الوحدات ونظاماً من القواعد لتحقيق الغرض التواصلي (اللغة نظام للتواصل).

تقوم اللّغة على العلامة اللّغوية (اللفظ ومعناه)، ويستخدم "**دي سوسير**" مصطلح الدليل اللغوي (Signe)، وهذا الدليل له وجهان لا ينفصل أحدهما عن الآخر وهما: الدال (Signifiant): وهو الصورة الصوتية. والمدلول (Signifié): وهو الصورة المفهومية، بالإضافة إلى الشيء أو الواقع غير اللغوي (المرجع) (Référent)، ويمكن التمثيل له بالشكل الآتي:

الدال ⟸ المدلول ⟸ المرجع

[1] – عشوش صليحة، اللغة العربية التحديات والحلول، مذكرة ماستر، قسم اللغة العربية وآدابها ،كلية الآداب واللغات، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، الجزائر، 2014/2013، ص. 5

وتتم الدلالة (Signification) باقتران الصورتين الصوتية والذهنية وبحصولها يتم الفهم.

ليست اللّغة في الحقيقة، وأهم غاياتها التواصل، إلاّ علاقة بين صورة صوتية (ألفاظ) وصورة مفهومية (معان) يتم الربط بينهما ذهنيا، فهي تعتمد على ربط العلاقة بين الدال والمدلول، والدلالة تقوم على الربط بين هذين الجانبين: الجانب المادي (الدال) والجانب الذهني (المدلول)، وهما مجتمعين وغير منفصلين شأنهما شأن وجهي الورقة الواحدة، ولقد حصر "**دي سوسير**" عناصر الدلالة في الدال والمدلول، وأهمل الموضوع، وهو الشيء أو المرجع الذي تحيل إليه العلاقة الدلالية.

يمثل علم الدلالة (La sémantique) مستوى من مستويات دراسة اللّغة، وهو المستوى الدلالي، وذلك لأنه يعالج المعنى الذي تخلص إليه المستويات الأخرى، وهو بذلك يعتبر فرعًا من فروع اللسانيات الحديثة، فالمستوى الدلالي يتقاطع مع جميع المستويات الأخرى: الصوتي، الصرفي، النحوي وحتى البلاغي والأسلوبي (مع العلم أنّه هناك من لا يدخل المستوى البلاغي في هذه المستويات)، فالنحويون أولوا للمستوى النحوي أهمية كبيرة، حيث تبرز أهمية هذا الفرع في تحديد معنى الحدث الكلامي، من حيث ضرورة مراعاة الوظيفة النحوية للجمل أثناء التأدية الكلامية، ولكلّ وحدة (كلمة) في الجملة لها دورها ومعنى مخصّص لها، وكلّ هذا يتم عن طريق مراعاة القواعد النحوية.

2 . في ماهية النحو:

إنّ النحو عند "**ابن جني**" في كتابه "الخصائص" هو "انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره، كالتثنية، والجمع، والتحقير، والتكسير والإضافة، والنسب، والتركيب، وغير ذلك، ليلحق من ليس من أهل

اللغة العربية بأهلها في الفصاحة، فينطق بها وإن لم يكن منهم، وإن شذّ بعضهم عنها ردّ به إليها، وهو في الأصل مصدر شائع ،أي نحوت نحوا، كقولك: قصدت قصدا، ثم خصّ به انتحاء هذا القبيل من العلم...([1]).

وعرّفه "**السّكاكي**" بأنّه "كيفية التركيب فيما بين الكلم لتأدية أصل المعنى مطلقا بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب وقوانين مبنية عليها"([2]).

وعلماء النحو لم يتفقوا على تعريف واحد للنحو، فمنهم من يرى أنّه ضبط لأواخر الكلمات بحركات الإعراب، منتهجاً في ذلك نهج العرب، ومنهم من يعتبره تأليفًا وتركيبًا للوحدات اللّغوية في جمل مختلفة، طبقا لكلام العرب والقوانين النحوية التي وضعوها.

وذكر "**فتح الله أحمد سليمان**" أنّه "إذا كان النحو يضع حدودًا صارمةً وأصولًا وقواعد، بهدف الحفاظ على سلامة العبارة وصحة الأداء اللّغوي، فإنّ الإعراب يجئ ليوضح وظيفة الكلمة في الجملة وعلاقتها بغيرها من الألفاظ في السّياق، حتى يصل المعنى إلى المرسل إليه على وجهه الصحيح. ويعني ذلك أنّ ثمة علاقة وثيقة بين الإعراب والمعنى..."([3])، ويفهم من هذا أنه ولسلامة التعابير اللّغوية وصحة أدائها لابد من مراعاة الضوابط النحوية، ومن تلك الضوابط: الإعراب، لما له من أثر عظيم في تحديد دور ومهام الوحدات اللّغوية ضمن تركيب معين، ومدى تفاعلها مع غيرها من الألفاظ، وذلك في السّياق الذي وردت فيه حتى تصل الرسالة إلى المتلقي على الوجه الصحيح.

كما يرى علماء اللّغة أنّ قدرة المتكلم على إنتاج الجمل وفهمها، تتطلب منه مراعاة قواعد النحو التي تفرضها عليه اللّغة التي يتكلمها. فالمعاني الصحيحة لا تتحقق إلاّ استنادا إلى التنظيم الصحيح للقاعدة النحوية

[1]- ابن جني، الخصائص، ج.1، ص. 34

[2]- محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم الدلالة، دار قباء، القاهرة، (د. ت)، ص 107.

[3]- فتح الله أحمد سليمان، مدخل إلى علم الدلالة، مكتبة الآداب، ط. 1، القاهرة، 1991، ص. 27

فـ "الدلالات الصحيحة لا تتحقق إلاّ استنادا إلى الصحة النحوية grammatical correctness (أو الدقة النحوية) grammatical accurancy، فقد تكون الجملة صحيحة نحويا، ولكنها لا تنتج دلالات صحيحة، فيمكن القول مثلا: افترست القطة الأسد، وقرأ الكلب الرسالة، وابتلع القلم الشجرة، فهذه الجمل وأمثالها – مما يقصد فيها حقيقة اللفظ ومدلوله المباشر ولا تقوم على المجاز– لا تنبني على المنطق، رغم أن هذه التراكيب تتوفر فيها الصحة النحوية، إلا أنّها فاسدة منطقيا، لأنّها لا تتفق مع التصور العقلي والمنطقي، وتتنافى وطبائع المخلوقات والأشياء"([1]).

3 . الدلالة النحوية:

إنّ الدلالة النحوية هي الدلالة التي تستمد من ارتباط الكلام بعضه ببعض، أو توالي كلمات الجملة وتغيير رتبتها، مما يؤدي إلى تغير المعنى، كما أن تغير الوظيفة النحوية يتبعه تغير في المعنى، فالنحو يعدّ قانون التركيب، وبدونه لا يمكن للكلام أن يفهم في توصيل الفكرة من المتكلم إلى المتلقي، فجملة: "كرّم المديرُ التلميذَ الناجح" . على سبيل المثال . تختلف في المعنى عن جملة "كرّم التلميذُ الناجح المديرَ."

لقد أكّد اللغويون والنحاة والبلاغيون العرب القدامى أنّ القواعد النحوية عنصر حاسم من عناصر تبيان وتحديد الدلالة وفهم المعنى، "لأنهم اتّخذوا من تلك القواعد والقوانين النحوية سبيلا إلى فهم النصوص اللّغوية، ومنها النص القرآني، بما يجعل النحو العربي منذ نشأته الأولى لصيقا بعلم الدلالة، وأن للنحاة العرب المتقدمين قصب السبق على أيّ تراث نحوي أممّي آخر في الربط بين النحو والدلالة، وما توصّل إليه **"جومسكي"** من إنّ "معرفة التركيب شرط أساس لمعرفة المعنى، وإنّ معرفة المادة الدلالية سبيل إلى معرفة الصلات النحوية"([2]).

[1]– فتح الله أحمد سليمان، مدخل إلى علم الدلالة، ص. 26

[2]– هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، مكتبة لسان العرب، الأردن، ط.1، 1427هـ–2007م، ص. 104

وأشار "**سيبويه**" إلى ذلك في كتابه الشهير الموسوم . الكتاب . والذي فرّعه إلى سبعة أبواب مختصرة، ومن ذلك "باب المسند و المسند إليه"، والذي بيّن من خلاله "أنّ بناء الكلام على أصل معيّن ومن خلال نظام نحوي معيّن، ومن ثم الانتقال من هذا الأصل إلى توليد نماذج فرعية كثيرة، وما يطرأ على الصور الأصول والفروع من متغيّرات عارضة تقتضيها الصناعة النحوية، كلّ ذلك لغاية المعاني والدلالات التي تنعقد عند "سيبويه" في ثلاث علاقات بين اللفظ أو التركيب النحوي والمعنى بعد ربطه بالوظائف النحوية التي تتقيد بحيّز تركيبي يحتوي على ثلاثة مكونات، يمثل الأول فعلاً كلاميًا على نحو خاص، ويمثل الثاني عاملاً نحويًا إعرابيًا، ويكون الثالث موضعاً إسناداً، كلّ ذلك من أجل تحقيق الانعقاد بين الشكل التركيبي اللفظي (النحوي) والمعنى المقصود عند المتكلم"([1])، وذلك يعني أنّ "**سيبويه**" ينطلق في بناء الكلام على أصل معيّن وفق نظام نحوي معيّن، وكل ما يطرأ على هذا الأصل من متغيرات يولّد عدّة نماذج فرعية، تحمل معاني ودلالاتٍ متنوعة، والتي مثلها في ثلاث علاقاتٍ، والمتمثلة في اللفظ والمعنى والوظائف النحوية، وذلك لأجل تحقيق الربط بين التراكيب والمعاني.

كما أشار أيضا إلى أنّ المسند والمسند إليه لا ينفصلان عن بعضهما البعض، أيّ لا يتواجد الأول إلاّ بوجود الثاني، وفي هذا دلالة واضحة على أنهما يشكّلان زوجين، لا يوجد أحدهما إلاّ بوجود صاحبه، فالمسند هو الحكم وما يكون في الفعل أو الخبر أو ما يقوم مقامها، بينما المسند إليه يكون المحكوم عليه أو شخصا أو شيئا يقوم بالحكم، ويكون في الفاعل أو المبتدأ أو ما يقام مقامها، ففي الجملة الفعلية يكون المسند هو الفعل والمسند إليه هو الفاعل، نحو ذلك: تكاد تضيء النار بين جوانحي، تضيء: هي المسند لأنها فعل، النار: المسند إليه لأنه فاعل. أما في الجملة الاسمية فيكون المسند هو الخبر والمسند إليه هو المبتدأ، نحو: محمد سيد الكونين والثقلين، "محمد" يكون مسندا إليه، لأنه مبتدأ، و"سيد الكونين" يكون مسندا لأنه خبر.

1- هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، ص. 109

تبرز كذلك صلة النحو بالمعنى عند "**سيبويه**" فيما أطلق عليه تسمية – باب الاستقامة في الكلام والإحالة – وذلك لغرض الإفادة بالمعاني، نحو قولك: "فمنه مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب.

_ فأما المستقيم الحسن فقولك: أتيتك أمس، وسآتيك غدا.

_ وأما المحال فأن تنقض أول كلامك بآخره، فتقول: أتيتك غدا، وسآتيك أمس.

_ وأما المستقيم الكذب، فقولك: حملت الجبل، وشربت ماء البحر ونحوه.

_ وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه ،نحو قولك: قد زيداً رأيت، وكي زيدٌ يأتيك وأشباه هذا.

_ وأما المحال الكذب فأن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمس"([1]).

يتبين من خلال هذه الأمثلة أنّ الاستقامة تحدّد وفق القياس والاستعمال، فهي منطق اللّغة أيّ تكون جملة سليمة في القياس والاستعمال مثلا: المستقيم الحسن: أتيتك أمس وسآتيك غدا، فهذه الجملة تحمل في طيّاتها معنى الصدق.

من هنا فإنّ للدلالة ارتباط وثيق بالنحو، إذ تعمد على تحليل معاني الجمل والتراكيب، وكيفية تآلف هذه التراكيب فيما بينها، لتشكّل البنية الدلالية للنص، فالجمل هي التي تعطي المعنى للفظ، حيث أنّ اللفظ لا يتغير معناه، وإنّما يختلف عمله باختلاف إعرابه في الجملة الواقع فيها، وهذا ما يسمى بالدلالة النحوية.

وهنا يتبين أنّ النحويين العرب لم يجعلوا النحو وحده من يمدّ الجملة بمعانيها، بل جعلوا المفردات ودلالتها كذلك تمدّ الجملة بمعانيها، لتحقيق إفادة كلامية، ف "**الجرجاني**" يقول: "اعلم أنّ الواحد من الاسم والفعل والحرف يسمى كلمة، فإذا ائتلف منها اثنان فأفادا نحو: خرج زيد سمي كلاما وسمي جملة، والائتلاف يكون بين

[1]– أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، الكتاب، ج 1، تح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط. 3، 1988، ص. ص. 25، 26

الاسم والفعل كما ذكرنا وبين الاسمين، كقولك: زيد منطلق، وبين الاسم والحرف في النداء خاصة نحو: يا زيد"([1])، وذلك يعني أنّ الاسم والفعل والحرف كلمات، وعندما ترتبط وتندمج مع بعضها تشكل تراكيباً لغوية، أو جملاً تحمل معان ودلالات مختلفة، أي تحقق الإفادةً، والإفادة في مستوى التراكيب أو مستوى النحو ليس معنى المفردات في حدّ ذاتها، إنما الإفادة هو تعريف المخاطب وإبلاغه بالعلاقات النحوية، أو ما يسمّى بمعاني النحو، وهو المعنى الإسنادي الذي يوصل بين الكلمات داخل الجمل ليفهم مَن الذي قام بالفعل، وعلى مَن وقع هذا الفعل، بالإضافة إلى الفضلات والملحقات، كالحال والتمييز والصفة والنعت، والتي تساهم في الربط بين عناصر التركيب، لتشكيل جملا مفيدة مع مراعاة النظام النحوي (القواعد النحوية).

إنّ النحو ما هو إلا دراسة العلاقات بين الوحدات النحوية في السياقات النصية، والنحويون العرب القدامى اعتبروا الكلمة وحدة نحوية صغيرة دنيا، فالكلمات ـ كما يقول "**الزجاجي**" ـ "مختلفة المعاني، متباينة المجاري في طريق الإعراب. وكل واحدة منها له نحو في كلامهم ليس للآخر، ووجه ينفرد به. فلما كان ذلك وجب الفرق بينها"([2]).

كما أنّ قضية المسند والمسند إليه هي التي جعلت الكلمة تكتسب موقعها النحوي في التركيب، وذلك بسبب التركيب الإسنادي وعلاقاتها الوظيفية، كالفاعلية والمفعولية والحالية والنعتية، فكلّ وظيفة من هذه الوظائف النحوية لها علاقة تدل عليها، أو موقعا تحتله في الجملة، يقول "**الجرجاني**": "اعلم أنّ الكلام مداره على ثلاثة معان: الفاعلية والمفعولية، والإضافة، فالرفع للفاعل والنصب للمفعول والجر للمضاف إليه، وما خرج من هذه

[1]– أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد الجرجاني، الجمل، تح. علي حيدر، دار الحكمة، دمشق، 1972، ص. 40

[2]– حمزة حسن، "عودة إلى المسند والمسند إليه في كتاب سيبويه"، ضمن الندوة الدولية: مجادلة السائد في اللغة والأدب والفكر، قسم اللغة العربية والآداب العربية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، دار المنظومة، تونس، ع.1، 2002، ص. 33

الأقسام فمحمول عليها وليس بأصل فالمحمول على الفاعل المبتدأ والخبر، واسم كان وأخواتها وخبر إنّ وأخواتها والمحمول على المفعول خبر كان واسم إنّ والحال والتمييز"([1]).

وتظهر إلى جانب قضية المسند والمسند إليه قضية الإعراب، والتي لها اتّصال وثيق بالدلالة، فـ "الإعراب أجلى خصائص العربية إذ جعله الله وشيا لكلامها، وحلية لألفاظها، وفارقاً في بعض الأحوال بين الكلامين المتكافئين والمعنيين المختلفين ومظهراً من مظاهر تحضُّر اللغات، وتمدناً وسبيلاً إلى الاقتصاد في التعبير عن الأغراض"([2])، فالكلمة إذا كانت منفردة خارج السياق كان لها معنى جزئي، وهو دلالتها الخاصة بها، وإذا حدث وأن انضمّت إلى غيرها من الكلمات مع مراعاة قوانين اللغة وشروط التركيب، أعطى لها التركيب معنى آخر، وتحقّق فيها الإعراب الفعلي.

كما يظهر أيضا المعنى النحوي من الحركات الإعرابية كالرفع والنصب والجر، مثل قوله تعالى:{إنَّ اللَهَ بَرِيء من المشركين ورَسُولهُ} (سورة التوبة، الآية 3)، فتغيّر هذه الحركات الإعرابية أحدث تغيّرا في المعنى كقولك: إنّ الله بريء من المشركين ورسولَهُ أو قولك أيضا: إنّ الله بريء من المشركين ورسولِهِ، فالحركات الإعرابية هي اللبنات الأولى للكشف عن المعاني، لكونها من الصفات والميزات التي تتبع الكلمة أو الجملة، إذ أنها تؤدي إلى زيادة المعاني اللغوية والصوتية والتركيبية والدلالية.

لهذا تظل قضية الدلالة والنحو، قضية مهمة لدى القدامى والمحدثين، وبفضلها اتّضح مفهوم العلامة في النحو العربي، أي صلة الإعراب بالمعنى، بحيث تسهم هذه القرينة الصوتية أو العلامة الإعرابية في بيان المعنى وتوضيحه، فالدلالة النحوية تحصل من خلال العلاقات النحوية القائمة بين الكلمات، والتي يتّخذ كلّ واحدة

[1]- أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد الجرجاني، الجمل، ص. 36

[2]- عبد العزيز ياسين عبد الله وآخرون، "الدلالة النحوية عند النحاة العرب"، مجلة آداب الرافدين، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الموصل، ع. 66، 1424هـ/2013م، ص. 16

منها موقعا معينا في التركيب حسب قوانين اللغة، إذ أنّ كلّ كلمة متواجدة في الجملة إلاّ ولها وظيفة نحوية، وذلك من خلال الموقع الذي تأخذه، فترتيب الكلمات في الجملة لا يكون عشوائيا، بل وفقا لقواعد وقوانين اللغة، فمعنى الجملة لا يأتي من المعنى اللغوي وحده، وإنما يكون بربطه بالتركيب، لأنّ المعنى الدلالي يشمل المعنى النحوي وطريقة التركيب، حيث يقول "أحمد سليمان ياقوت": "الدلالة النحوية هي التي تستمد من نظام الجملة وترتيبها ترتيباً خاصاً"([1]).

بناءً على هذا فإنّ الدلالة النحوية تكون نتيجة التأثير والتأثر بين الوظائف النحوية والألفاظ المناسبة لاستعمالها في بناء الجملة، وبذلك يحقّق ارتباطا وتماسكاً للعناصر اللغوية أولاً، ومن ثمّ للنص ثانياً، بالإضافة إلى معاني السّياق، وبهذا يكون للنحو الفضل الأكبر لبلوغ وتحقيق المعنى الدلالي وفهمه، و"علاقة النحو بالدلالة قديمة قدم النحو نفسه، وقد ارتبط كلّ واحد منهما بالآخر بأقوى الأساليب، ومن ثم كان النحو كلّه دلالة سواء كان علامات إعرابية أم أساليب كلامية أو حروفا وأدوات نحوية أو قرائن وسياقات"([2]).

وبهذا فإنّ بين النحو والدلالة علاقة وطيدة وقوية لا يمكن لأحدهما أن يستغني عن الآخر، إذ أنّ النحو هو الذي يمدّ الجملة معناها الأساسي، ويساهم في تحديد عناصر ذلك التركيب، وتوضيح معاني تلك الجمل.

انطلاقا ممّا ورد سالفا، فإنّ لكل كلمة داخل الجملة دور مهم، لذا يجب مراعاة الوظيفة النحوية لكل كلمة فيها، فتغير مكان الكلمات في الجملة يؤدي إلى تغير في المعنى أي تغير قصد الجملة، كما أنّ للسّياق دور مهم في تحديد دلالة الجملة، فهو يساعد القارئ على تلمّس المعاني المنبثة داخل الجملة والمخفية في ثنايا النص

---

[1]- زينب مديح، "الدلالة النحوية بين القدامى والمحدثين"، مجلة واسط للعلوم الإنسانية، كلية التربية الأساسية، جامعة واسط، ع. 12، (د . ت)، ص. 2

[2]- المرجع نفسه، ص. 3

وبين سطوره، ولقد شغل السّياق في البحث اللغوي المعاصر حيزاً واسعاً، واستحوذ دوره في تحديد المعنى، ممّا دفع الباحثين إلى وضعها في شكل نظرية ومنحها مكانة مرموقة بين النظريات.

هنا يحق لنا أن نتساءل ما المقصود بالسياق؟ وما هي أنواعه؟ وكيف يساهم في تبيان معاني التركيب؟ وكيف تتجلّى عناصره في كتاب "الفروق اللغوية"؟

الفصل النظري:

في مفهوم السياق وأنواعه.

. المبحث الأول: ماهية السياق.

1 . مفهوم السياق.

2 . السياق في التراث العربي والغربي.

2 – 1– السياق في التراث العربي.

2 – 2 – السّياق عند الغربيين.

. المبحث الثاني: فروع السياق وفاعليته.

1 . فروع السياق.

1 . 1 . السياق اللغوي.

1 . 2 . السباق غير اللغوي.

2 ـ فاعلية السّياق في تحديد المعنى.

. المبحث الأول: ماهية السياق.

1 . مفهوم السياق:

أ – لغة: سيتمّ التطرق في هذا المبحث للتعريف اللغوي للسياق في القرآن الكريم وفي المعاجم العربية.

. السياق في القرآن الكريم:

وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم بألفاظ مختلفة وهي:"(نَسُوقُ، سَيْقا، سَائِقُ، يُسَاقُونَ، المِسَاقُ)، ومنه:

. قوله تعالى: "ونسُوقُ المجْرِمِينَ إلى جَهنَمَ وِرْدا" (سورة مريم، الآية 86).أي "ونسوق الكفار إلى جهنم عطاشاً"([1]).

. وقوله تعالى: "أَولَمْ يَرَوا أنّا نَسُوقُ المِاءَ إلى الأَرْضِ الجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أنْعَامَهُم وأنْفُسَهُم أفَلاَ يبْصِرُونَ" (سورة السجدة، الآية 27)، أي "أوَلم ير هؤلاء المكذبون بالبعث أنا نرسل ماء المطر إلى القاحلة التي لا نبات فيها، فنخرج بذلك الماء زرعاً تأكل منه إبلهم وبقرهم وغَنَمهم، ويأكلون هم منه؟ أفلا يبصرون ذلك، ويدركون أن من أنبت الأرض القاحلة قادر على إحياء الموتى؟"([2]).

. وقوله تعالى: "وسِيقَ الّذِينَ كَفَرُوا إلى جَهَنَّمَ زُمُرًا"، (سورة الزمر، الآية 71)، بمعنى "وساق الملائكة الكافرين بالله إلى جهنم جماعات ذليلة"([3]).

---

[1]– جماعة من علماء التفسير، المختصر في تفسير القرآن الكريم، مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرياض، ط. 3، 1436، ص. 311

[2]–المرجع نفسه، ص. 417

[3]–المرجع نفسه، ص. 466

. وقوله تعالى: "وسِيْقَ الّذينَ اتَّقُوا رَبَّهُمْ إلى الجَنَةِ زُمُرًا"(سورة الزمر، الآية73)، أي "وساق الملائكة برفق المؤمنين الذين اتقوا ربهم بامتثال أوامره واجتناب نواهيه إلى الجنة جماعات مكرمة"([1]).

. وقوله تعالى: "فَسُقْنَاهُ إلى مَيّت"(سورة فاطر، الآية 9)،أي "فسقنا السحاب إلى بلد لا نبات فيه"([2]).

. السّياق في المعاجم العربية:

تتّفق العديد من المعاجم العربية حول هذه المادة، ففي مقاييس اللغة لـ **"أحمد بن فارس (ت 395هـ)"** جاء أنّ "السّين والواو والقاف أصل واحد، وهو حدو الشيء، يقال: سَاقَ يَسُوقُ سَوْقًا، والسيقة: ما استيق من الدواب، ويقال: سقت إلى امرأتي صداقها، وأسقته. والسُّوق مشتقة من هذا لما يساق إليها من كلّ شيء والجمع أسواق. والسّاقُ للإنسان وغيره، والجمع سوقٌ، وإنما سميت بذلك لأن الماشي ينساق عليها. ويقال امرأة سوقاء، ورجل أسوق، إذا كان عظيم السّاق" ([3]).

كما جاء في "لسان العرب" لـ **"ابن منظور"** أنّ "سوق: السّوْق: معروف ساق الإبل وغيرها يوقها سوقا وسياقًا وهو سائق، وسواق، شدّد للمبالغة. وفي الحديث: وسواق يسوق بهنّ، أي حاد يحدو الإبل فهو يسوقهن بحدائه، وسوّاق الإبل يقدمها، ومنه: رويدك، سوقك بالقوارير. وقد انساقت وتساوقت الإبل تساوقا إذ تتابعت وكذلك تقاودت فهي متقاودة ومتساوقة...والمساوقة: المتابعة كأن بعضها يسوق بعضًا، والأصل في تساوق

[1]- جماعة من علماء التفسير، المختصر في تفسير القرآن الكريم، ص. 466

[2]- المرجع نفسه، ص. 435

[3]- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، مج. 1، تح. عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، القاهرة، 1972، ص. 117

تتساوق، كأنها لضعفها وفرط هزالها تتخاذل ويتخلف بعضها عن بعض. وعن الأصمعي: السيّق من السحاب ما طردته الرّيح، كان فيه ماء أو لم يكن وفي الصحاح: الذي تسوقه الريح وليس فيه ماءٌ"([1])، أي النزع والتتابع.

أما في "القاموس المحيط" لـ "**الفيروز أبادي (ت 817هـ)**" فورد في مادة (س. و. ق) ما يلي: "الساق ما بين الكعب والركبة، ج سوق وسيقان وأسؤق، همزت الواو لتحمل الضمة. (ويوم يكشف عن ساق): عن شدة. والتفّت الساق بالساق): آخر شدة الدنيا بأول شدة الآخرة، يذكرون الساق إذا أرادوا شدة الأمر والإخبار عن هوله... وساقة الجيش مؤخّره. وساق الماشية سوقا وسياقة ومساقاً، واستاقها فهو سائق وسواق والمريض سوقا وسياقا: شرع في نزع الروح، وفلاناً: أصاب ساقه، وإلى المرأة مهرها: أرسله، كأساقه"([2]).

جاء في "أساس البلاغة" لـ "**الزمخشري (ت 467 هـ)**" حديث عن السياق، فقال: "ومن المجاز: ساق الله إليه خيراً، وساق إليها المهر، وساقت الريح السحاب. وأردت هذه الدار بثمن فساقها الله إليك بلا ثمن. والمحتضر يسوق سياقاً، وفلان في ساقة العسكر: في آخره، وهو جمع سائق كقادة في قائد، وهو يساوقه ويقاوده. وتساوقت الإبل: تتابعت، وهو يسوق الحديث أحسن سياق و"إليك يساق الحديث" وهذا الكلام مساقة إلى كذا وجئتك بالحديث على سوقه: على سرده"([3])، والمقصود بالسرد التوالي والتتابع، وبهذا يتبين أن المادة اللغوية لسوق بمعنى ربط السياق بالحديث في استعماله المجازي، وعلى هذا فإن كلمة "ساق" تثير في الذهن معنى تتابع شيء

[1]- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، مج. 10، دار صادر، بيروت، 1990، ص. ص. 166، 167

[2]- الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تح. مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط. 8، 2005، ص. 895

[3]- أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، ج.1، تح. محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط.1، 1998، ص. 484

لشيء آخر، واتصاله به وكما تثير معنى الارتباط والتسلسل والانتظام في سلك واحد، كما تثير هذه الكلمة معنى التآلف والتوارد والاتصال.

ب- اصطلاحا:

لعلّ العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي لكلمة السياق تتجلى في أنّ استخدام مصطلح السياق نابع من الظروف المحيطة بالكلام، سواء منها ما يتعلق باللغة وتركيبها أو الملابسات الخارجية، "ويتكون مصطلح السياق contexte من مقطعين text و con أي مع النسيج أو مع النص، حيث استعمل المصطلح الأول ليعني الكلمات المصاحبة للمقطوعات الموسيقية، ثم بعد ذلك أصبح يستعمل بمعنى النص، أي تلك المجموعات من الكلمات المتراصة مكتوبة ومسموعة، إضافة إلى معنى جديد متمثل فيما يحيط بالكلمة المستعملة في النص من ملابسات لغوية وغير لغوية. فالسياق يتكون من سابقة con تعني المشاركة والمصاحبة، أي وجود أشياء مشتركة تقوم بتوضيح النص"([3])، بمعنى أن النصوص مكونات للسياق، والذي يتم تكوينه وتحويله وتعديله بشكل دائم بواسطة النصوص التي يستخدمها المتحدثون في مواقف معينة، والعلاقة التي تجمعهما (النص والسياق) علاقة تلازمية يكون السياق يؤثر على النص ممّا يؤدي إلى فهم المعنى النصي.

يتجلّى ـ بناء على ما ورد سالفا ـ أنّ مفهوم السياق لدى القدامى ورد في ثلاثة صيغ، وهي:

- السياق هو الغرض، أي الغرض الذي سيق لأجله الكلام أو قصد المتكلم من إيراد الكلام، حيث يقول "السرخسي": "وأمّا النّص فما يزداد وضوحا بقرينة تقترن باللفظ من المتكلّم ليس في اللّفظ ما يوجب ذلك ظاهرا بدون تلك القرينة...وقال بعضهم النص يكون مختصا بالسبب الذي كان السياق له، فلا يثبّت به ما هو موجب

1- فطومة الحمادي، "السياق والنص استقصاء دور السياق في تحقيق التماسك النصي"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، ع. 2 ، 3، جانفي، جوان 2008، ص. 4

الظاهر،...في قوله تعالى: "وأحَلَ اللهُ البَيّعُ وحَرّمَ الرّبَا"(سورة البقرة، الآية 175)، فإنه ظاهر في إطلاق البيع نصّ في الفرق بين البيع والرّبا، بمعنى الحل والحرمة، لأن السياق كان لأجله لأنها نزلت ردّا على الكفرة في دعواهم المساواة بين البيع والرّبا، كما قال تعالى: "ذلك بأنّهُم قَالُوا إنّمَا البَيْعُ مِثْلَ الرّبَا""([1])، فالمراد بالسياق من خلال هذا التعريف هو الغرض الذي سيق لأجله الكلام، بدليل أنّ الحكم الآخر الثابت بالإشارة ثابت استنادا إلى النص، أو بعبارة أخرى هو الغاية من تسييق الكلمة المفردة داخل الجملة، وتسييق الجملة مع الجمل الأخرى، وتسييق هذه الجمل داخل الإطار الكلّي للنص.

❖ السياق هو الظروف والمواقف والأحداث التي قيل النص بشأنها، وأوضح ما عبّر به عن هذا المفهوم لفظا الحال والمقام لدى البلاغيين "ويحوي هذا النوع من السياق ما يعبّر عنه البلاغيون بالقرينة الحالية أو المقام، ومن هذه الناحية فإن السياق لا يمكن حصره في مصطلح محدّد، فهو يشمل – إلى جانب البعد الداخلي المتعلق باللّغة – كل القرائن الخارجة عن التعبير الحرفي للّغة من مرجعيات معرفية وخلفيات ثقافية وظروف اجتماعية وظروف الزمان والمكان وهذه القرائن – عموما – باعتبارها غير خاضعة للتعبيرات الحرفية للّغة – لا يمكن حصرها أو الإحاطة بها جملة، لأنها تخضع في كثير من الأحوال لخصوصيات المتخاطبين وتجاربهم الشخصية، وعلى هذا فإنّ إدراك هذه القرائن يتوقف على الكفاءات الشخصية"([2])، بمعنى أنّ فكرة المقام ومقتضي الحال من أهم الميادين التي دارت حولها الدراسات البلاغية، بحيث أنّ الكلام أو الحدث الكلامي لا ينفصل عن الموقف أو الظروف التي وجد فيها هذا الكلام،

[1]- محمد بن أحمد السرخسي، أصول السرخسي، ج.1، تح. أبو الوفاء الأفغاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.1، 1414، ص. 164

[2]- المهدي إبراهيم الغويل، السياق وأثره في المعنى، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، 2011، ص. 15

لذا كان على المتكلم أن يراعي هذه الظروف والمواقف أثناء التأدية الكلامية، "وإذا كان لهذه الظروف والمواقف هذا التأثير في النشاط اللغوي، فإنّ تحديد دلالة الكلام وتمثّل مزاياه لا يتمّان إلاّ بالرجوع إليها، ومعرفة طبيعتها وقد جاء في العبارة المشهورة: لكل مقام مقال"([1])، بمعنى أن المقام طبقات أو حصيلة الظروف الواردة في الوقت الذي تمّ فيه المقال، فالمقال يختلف بحسب اختلاف هذه المقامات، وما على المتكلم إلاّ مراعاتها، وإحراز المنفعة، فلا معنى للكلام بدون منفعة أو قصد.

❖ السياق اللغوي linguistic context، وتتجلى أهميته في أنه يحدّد الشروط التي يمكن أن تنتج فيها النصوص وتفهم وتخزّن وتحفظ أبعاد إنتاجها، حيث عرّفه "أولمان (Ullmann)" بأنّه "السياق الأمثل لدراسة المعنى وضمن السياق اللغوي نجدّ ما يسمى بالمصاحبات اللفظية أو التلازم اللفظي"([2])، فمهمة السياق اللغوي توضيح أبعاد الدلالة الغامضة في اللفظ وإزالة كل لبس عنها، ومن هنا يفهم أن السياق اللغوي هو النظر إلى طريقة تركيب العناصر اللغوية داخل التركيب.

يبدو أنّ اللغويين العرب المتأخرين صبّوا جلّ اهتمامهم على السياق، وحاولوا صياغته على شكل نظرية وجعلها ذات مكانة مرموقة وعالية بين النظريات اللّسانية الحديثة، والتي أسسها "فيرث (Firth)" "ولهذا يصرّح بأنّ المعنى لا ينكشف إلاّ من خلال تسييق الوحدة اللغوية أي وضعها في سياقات مختلفة، ويقول أصحاب هذه النظرية في شرح وجهة نظرهم أنّ "معظم الوحدات الدلالية تقع في مجاورة وحدات أخرى، وإنّ معاني هذه

[1]- المهدي إبراهيم الغويل، السياق وأثره في المعنى، ص.129.

[2]-نعيمة بوعافية، سياق الحال وأثره في توجيه الدلالة -تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور أنموذجا-، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في ميدان اللغة العربية والأدب، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، الجزائر، 2015-2016، ص. 23

الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلاّ بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها"([1])، فأغلب الوحدات اللغوية لا تتّضح قيمتها الدلالية إلاّ بمجاورتها بوحدات لغوية دالة أخرى، ودراسة معاني الكلمات تتطلّب تحليلا للسياقات والمواقف التي ترد فيها.

تعدّ هذه النظرية ذات مكانة واسعة في الدرس اللغوي الحديث، بحيث أثبت التحليل اللساني بكل مستوياته أنّه عاجز عن الوصول إلى المعنى الدلالي الكامل، دون الرجوع إلى السياق بكل ظروفه وملابساته، ومن هنا أخذت هذه النظرية مكانتها في الدرس اللغوي والتي اعتبرها "أولمان " حجر الأساس في علم المعنى.

2- السياق في التراث العربي والغربي:

يعتبر السياق وسيلة من الوسائل التي يعتمد عليها في دراسة النصوص، بحيث يؤدي دورا أساسيا في اكتشاف الغموض واللّبس في النصوص، إذ كان محل اهتمام الدراسات اللغوية، الصوتية، النحوية، والمعجمية، فالبحث في موضوع المعنى شارك فيه علماء ومفكرين كثر في مختلف الميادين كعلم النفس وعلم الاجتماع وعلم السياسة والآداب واللسانيات والفلسفة والبلاغة وعلم الأصول والأنتروبولوجيا وغيرها، كما كان كذلك من شغل الأدباء والنقاد، إذ أنّ العملية النقدية تستهدف إبراز جماليات النص الأدبي، وعليه فدراسة المعنى تتطلب تحليلا للسياقات اللغوية التي وردت فيه، والموقف الحالي الذي استعملت فيه، وعلى هذا الأساس فمصطلح السياق لم يكن جديدا، فقد وجد عند العلماء العرب (لغويين وبلاغيين ومفسرين وأصوليين)، كما وجد أيضا في الفكر الغربي عند (فيرث ومالينوفسكي ودي سوسير وجورج فندريس وجاكوبسون).

[1]- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط.5، 1998، ص. ص. 68 ،69

2 – 1– السياق في التراث العربي:

إنّ البحث عن بدايات السياق في التراث العربي يقتضي الوقوف على الإشارات الأولى عند اللغويين، والبلاغيين والمفسرين والأصوليين، والذي كان محل اهتمام عندهم، لما له من دور في تحديد المعنى العام للنصوص.

أ / السياق عند اللغويين:

وجّه اللّغويون عناية كبيرة لدلالة السياق في ثنايا كتبهم منذ بداية التأليف في اللغة والنحو، سواء على مستوى السياق اللغوي أو غير اللغوي، وهذا ما أشار إليه "هادي نهر"، يقول: "وإذا كان اللّغويون والنحويون العرب القدامى قد فطنوا إلى العناصر اللغوية التي تعين على تحديد الدلالة كطبيعة جرس الكلمة أو بنيتها الصرفية أو النحوية...ووقفوا مليّا على طبيعة النظام الذي تصاغ فيه الجملة الدالة –وهنا نكون مع السياق اللغوي– وبما يكتنف هذا السياق من ملابسات خارجية تشمل موقف المتكلم، وحال الخطاب والمتغيرات التي يجري فيها– وهنا نكون مع سّياق الحال–"([1])، وذلك يعني أنّ اللغويّين اهتموا بالعناصر اللغوية المتمثلة في المتكلم والمخاطب والعلاقة بينهما إلى غير ذلك ممّا يرتبط بالمقام من عناصر غير لغوية.

لقد تناول "سيبويه" السّياق بحيث اعتبره عنصراً هاماً يعين في تحديد المعنى وتوضيحه، ويؤكد أنّ وضع الألفاظ في غير موضعها دليل على قبح النظم وفساده، فكلّ تغير في الاستعمال يؤدي إلى تغير في الدلالة، "وقد أمكن اللّغويين والبلاغيين والنحويين العرب واستنادا إلى ما قرّره "سيبويه" في "باب الاستقامة من الكلام والإحالة "واهتمامهم بنظم الكلام، تنسيق العبارات، ورصد حركة الجملة من حيث إمكانية التصرف في مكوناتها تصرّفا أفقيا، تقديما أو تأخيرا، ذكرا أو حذفا وصلا أو فصلا، وغير ذلك من إمكانات التصريف في الجملة العربية وما يتمخّض عن ذلك من دلالات ...استنادا إلى ما ابتدأه سيبويه يتمكن بعض اللغويين والنحويين العرب فيما بعد

[1]– هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، ص. 285

من بناء نظرية متكاملة سياقية دلالية تؤكد وعيهم في وقت مبكر لأهمية تركيب الكلام على وفق السياق الذي يربطه بمقام استعماله"([1])، فالجملة عند "سيبويه" عبارة عن مجموعة من الوحدات اللّغوية التي تنتظم بعضها إلى بعض والتي تتخذ مواضعًا مناسبة في التركيب، فعلاقة السّياق بهذه التراكيب هو الأثر الذي يحدثه السياق في التركيب، أي زيادة أو حذف كلمات، مما ينتج عن هذا تنوع صياغات التراكيب وتغير المعنى والدلالة.

كما يتضح أثر السياق لدى القدماء اللغويين من خلال تناولهم لظاهرتين دلاليتين هامتين وهما: "المشترك اللّفظي" و"الترادف" "وكان اللغويّون قد عنوا بمسألة تركيب الألفاظ مع بعضها فتطرق سيبويه بعد أن أشار إلى أقسام الألفاظ من حيث الترادف والاشتراك"([2])، فالترادف من بين المسائل المعروفة عند اللّغويين وأئمة اللّغة، والذي يعنى به اتفاق كلمتين أو أكثر على معنى واحد، ويعدّ "مظهر ثراء في اللّغة، فهو حشد لغوي تترادف فيه الألفاظ وتتوالى على المعنى الواحد... وذلك التنوع في المترادفات العربية أمر استدعى انتباه اللّغويين على مرّ العصور، وأثار دهشة المستشرقين، فللماء مائة وسبعون اسما، وللسّيف ألف اسم"([3]).

يعدّ المشترك اللفظي من أهم الظواهر اللغوية الدلالية إلى جانب الترادف، فألفاظ اللغة من حيث دلالتها ثلاثة أنواع، وهي ([4]):

* المتباين: وهو أكثر اللغة، وذلك أن يدلّ اللفظ الواحد على معنى واحد.

[1]- هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، ص. 286

[2]- ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، مكتبة الملك فهد الوطنية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط.1، 1424، ص. 62

[3]- أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، تح. محمد إبراهيم ابراهيم سليم، دار العلم والثقافة، مدينة نصر القاهرة، مصر، ص. 17

[4]- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص. 145

* المشترك اللفظي: وهو أن يدلّ اللفظ الواحد على أكثر من معنى.

* المترادف: وهو أن يدلّ أكثر من لفظ على معنى واحد.

لقد كان المشترك اللفظي محلّ نقاش وجدل عند علماء اللغة القدامى، حيث عرّفه أهل الأصول .كما قال "السّيوطي" في كتابه "المزهر" . بأنّه "اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللّغة"([1])، نحو ذلك كلمة "عين" التي تحمل عدّة دلالات ومعاني، من ذلك: أنها حفرة في الأرض يخرج منها الماء، عضو في الرأس تتم به الرؤية، عين الجاسوس... كما عرفه أيضا "ابن فارس" بقوله: "وتسمى الأشياء الكثيرة بالاسم الواحد نحو عين الماء، وعين المال، وعين السحاب" ([2]).

ولم ينف اللغويّون المشترك اللفظي والترادف، بل اعترفوا بهما كظاهرتين دلاليتين لا يمكن إنكار السياق الذي وردت فيه تلك الكلمة لفهم المعنى واستنتاج الترادف والمشترك اللفظي، فالسياق هو الذي يعين على فهم المعنى، وبهذا يكون المشترك اللفظي والترادف عاملين فنّيين في ثراء اللّغة العربية وازدهارها.

ب /. السياق عند البلاغيين:

لقد شغل مفهوم السياق حيّزا كبيرا في الأعمال البلاغية، إذ يعدّ العامل الرئيسي الذي يعين البلاغيين على فهم نصوصهم، حيث انصبّ اهتمامهم على فكرتين أساسيتين شهيرتين، أصبحتا شعارا يهتف به كل ناظر في المعنى، وهي "لكل مقام مقال"، و"لكل كلمة مع صاحبتها مقام" "ومقتضي الحال مختلف، فإن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التنكير يباين مقام التعريف، ومقام الإطلاق يباين مقام التقييد، ومقام التقديم يباين مقام

[1]- نقلا عن أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص. 158

[2]. نقلا عن أحمد نعيم الكراعين، علم الدلالة بين النظر والتطبيق، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت لبنان، ط. 1، 1993، ص. 114

التأخير ومقام الذكر يباين مقام الحذف...و كذا لكل كلمة مع صاحبتها مقام، إلى غير ذلك([1])، وهو ما يعبر عنه عند القدماء بمراعاة المتكلم أحوال المخاطبين، وفي نظرية السياق بطرفي المحادثة، "فالخطيب عليه أن ينظر في حال كل طبقة ممن يتحدث إليه وأن يراعي ما يجب لكل طبقة من المقال، فإذا لقح ألفاظه ودقّق معانيه وكان يخاطب العامة من الناس خرج كلامه عن دائرة البلاغة لخلوه من المطابقة لمقتضي الحال وما يجب لكل مقام من المقال([2])، ويفهم من هنا أن منتج الكلام لابد أن يراعي أحوال المخاطب والجانب الاجتماعي للمتكلم والسامع وغيرهما من عناصر السياق، وإن كانت فكرة مقتضى الحال هي محور علم البلاغة، فمطابقة الكلام لمقتضى الحال هو استحضار ملابسات الكلام أي الأحداث والأحوال المتعلقة بالكلام.

ولتحصيل الدلالة التامة لابد من توفر المقام والمقال والسياق، فـ "الجاحظ" من الأوائل الذين أسّسوا لفكرة مقتضى الحال في البحث البلاغي، لأنّ تحليل المعنى يتوقف على الموافقة بين هذه العناصر المقال والمقام أو النص والسياق، ومعرفة المقام مهمة في فهم المقال، أيّ أنّ كلمة المقام تقتضي الظروف السياقية الاجتماعية المصاحبة للحدث الكلامي، فتتبع المقامات والأحوال لما يناسبها من تراكيب ضرورية، بالإضافة إلى النظم الذي يبيّن دور السياق في تحديد المعنى، لأنّ المناسبة تستلزم المخاطب بضرورة مراعاة علاقتها بالمخاطب، أيّ مناسبة المقام حسب الأشخاص، لأنّ الجملة الواحدة التي تحمل الإفادة قد تتغير بتغيّر المقام، ولابد من صياغتها صياغة واضحة من خلال الاعتماد على طرق النّظم لتوضيح المعنى.

[1]- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تح. محمد عبد القادر الفاضلي، الدار النموذجية المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ص.16.

[2]- فوزي السيّد عبد ربه عيد، المقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيان والتبيين، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، 2005، ص. 177

لقد سبق وأن عرّف "الجرجاني" النظم بقوله: "معلوم أنّ ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض والكلم ثلاث اسم وفعل وحرف وللتعليق فيما بينها طرق معلومة وهو لا يعدو ثلاثة أقسام تعليق اسم باسم وتعليق اسم بفعل وتعلق حرف بهما"([1])، بمعنى أنه ليس هناك نظم دون تركيب والمعلوم وجود عملية الإسناد (مبتدأ وخبر)، فالمبتدأ يستدعي الخبر، كما أنّ الفعل يحتاج إلى فاعل، وهذا ما سمّاه "الجرجاني" بالتعلق أثناء حديثه عن النحو، والذي منحه أهمية كبيرة في الدرس البلاغي، فالنظم عند "الجرجاني" هو تعليق للكلم، وهذا التعليق مشروط بسبب ما، إذ لا تعليق بين الكلم دون وجود علة تجعل من هذه اللّفظة بسبب من تلك.

كما أنه يعتمد على تتابع الألفاظ نطقا على تناسب الدلالات وتلاقي المعاني على الوجه الذي يقتضيه العقل، فنظرية "الجرجاني" قائمة على اختيار مجموعة من الوحدات الكلامية التي يحكمها النظام النحوي أثناء تنظيمها، حيث يقول: "وإذا كان لا يكون في الكلم نظم ولا ترتيب إلاّ بأن يصنع بها هذا الصنيع ونحوه وكان ذلك كله ممّا لا يرجع منه إلى اللّفظ شيء، لا وممّا لا يتصور أن يكون فيه صفته بأنّ بذلك أن الأمر على ما قلناه من أنّ اللفظة تبع للمعنى في النظم، وأن الكلم تترتب في النطق بسبب ترتب معانيها في النفس([2])، فالمقصود هنا أن النظم مجموعة من الألفاظ تخضع لقوانين علم النحو ومناهجه التي اتّبعها النحاة، وبهذا يكون النظم عنده مرتكزا على مراعاة النحو، لذا على منتج الكلام أن يضع كلامه بحسب ما يقتضيه علم النحو وقوانينه.

إنّ فكرة السياق والمقام والمقال ومقتضى الحال والنظم عند البلاغيين كانت أفكارا ناضجة عندهم، فلفظ السياق شاع استعماله بمعان مختلفة، فهو يستعمل للدلالة على الظروف والملابسات الخارجية، التي تستعمل هي بدورها لتأويل لفظة أو عبارة أو نص، ف "الجرجاني" وصف الاهتمام بالسياق بأنه علم شريف وأصل عظيم،

[1]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د. ط)، 1984، ص. 4

[2]- المرجع نفسه، ص. ص. 55، 56

وتتمثل عنايتهم بالسياق في دراسة التراكيب أو النظم، وأثره في تحديد قيمة الكلمة ودلالتها، من خلال السياق الذي وضعت فيه لتأدية قصد معين.

ج/ السياق عند المفسرين:

أدرك المفسّرون أهمية السياق منذ بداية التأليف في علوم القرآن، حيث استعانوا به كونه وسيلة مهمة من وسائل تحديد المعنى، يقول "تمام حسان": "وكان المستشرق يعرّف المعنى المعجمي للكلمة ولكنّه لا يعرف ما وراءها من (مقام) ... والمفسّرون قد فطنوا منذ زمن سحيق في القدم إلى الفرق بين ظاهر القرآن وباطنه، فكان فهمهم لهذا الفرق تفريقا منهم بين المعنى (المقالي) والمعنى (المقامي)، فإذا كان المعنى الدلالي يعتمد على هاتين الدّعامتين، فإنّ الشكل الآتي ربّما يوضح العلاقة بينهما توضيحا كافيا([1]):

المعنى الدلالي

المعنى المقالي:

وهو المكون من المعنى الوظيفي + المعنى المعجمي.

وهو يشمل القرائن المقالية كلما وجدت.

المعنى المقامي:

وهو المكون من ظروف أداء المقال، وهي التي تشتمل على القرائن الحالية (وكل ذلك يسمى المقام).

[1]- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط.1، 1994، ص. 339

من هنا يمكن القول بأنّ السياق أصل من أصول التفسير، التي يجب الاعتماد عليها في تفسير كتاب الله ظاهره وباطنه، فمعرفة السياق يقتضي على المفسّر معرفة ألفاظ اللغة العربية ومعانيها لتسهيل عملية التفسير، فالكشف عن المعنى لا يكون إلاّ بوضع الألفاظ في سياقات مختلفة، إذ يتحصّل المعنى بحكم العلاقة بين الألفاظ وما جاورها، كما أنّ دراسة المعنى تتطلب تحليلا واعيا للسياقات والمواقف التي ترد فيها الألفاظ.

يمكن تلخيص السياق عند المفسرين في النقاط الآتية ([1]):

. أن لا يغفل عن بعضه في تفسير بعض.

. أن لا يغفل عن السنة في تفسيره.

. أن يعرف أسباب النظم الاجتماعية عند العرب.

إنّ هذه العناصر الأربعة يمكن اختصارها في كلمة (المقام)، فلا ينبغي على مفسر آية أن يغفل عن المقام الذي قيلت فيه تلك الآية لتفسير معناها ومدلولها، "يقول صاحب "أصول التشريع الإسلامي": "فإذا غفل عن بعضه لم يسلم استنباطه من الزلل وتعرض عمله للفساد، فلا ينبغي مثلا أن يفسّر قوله تعالى: "يا أيّها الذين آمنوا لا تتّخذوا اليهود والنصارى أولياء" مع الغفلة عن قوله تعالى: "لا ينهاكم اللّه عن الذّين لم يقاتلوهم في الدّين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرّوهم وتقسطوا إليهم([2])، ولهذا بيّن علماء التفسير أنّ فهم المعنى القرآني لا يتحقق إلاّ بعد معرفة سياق الكلام الذي وردت فيه.

تكمن وظيفة السياق عند المفسرين في الكشف عن المعنى في النص القرآني، وذلك بغية الوصول إلى نتيجة مفادها وضوح مقصدية السورة أو الآية، ولهذا وضع المفسرون القدامى شروطا لمن يريد الخوض في هذا المجال، "وأكثر هذه الشروط يصبّ في السياق والمقام، وما يحيط بالنّص القرآني من ظروف وملابسات لابد

1. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص. 348

2- نقلا عن المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

للمفسر من الوعي بها قبل مباشرته في تفسير النص القرآني الكريم، فزيادة على اشتراطهم التمكن من دقائق العربية وأحكامها الصوتية والبنائية والتركيبية والدلالية ومعرفة أوجه الإعجاز القرآني على مستوى النظم، واللفظ، والدلالة، وما تجري عليه لغة القران الكريم من مجاز، وتشبيه، واستعارة... وغير ذلك ما يدخل في السياق اللغوي وما يتطلبه من استحضار النص القرآني جميعه عند تفسير بعضه، لأن القرآن يفسّر بعضه بعضا، ومعرفة أوجه السياق اللغوي وكيفية تحركها بما يؤكّد ارتباط آي الذكر الحكيم بعضها ببعض، حتى تكون كالكلمة الواحدة، منسقة المعاني، منتظمة المباني"([1]).

من هنا فالمفسّر عليه أن يكون على دراية بالسياق وعناصره التي تحيط بالنص القرآني من ملابسات خارجية، وذلك قبل البدء في التفسير، إذ لابد أن يكون عارفا ملمّا بمفردات اللغة العربية ومدلولاتها حسب السياق الذي ترد فيه وكل ما يطرأ عليها، سواء في الجانب الصوتي أو التركيبي أو الصرفي أو الدلالي ومعرفة أوجه الإعجاز القرآني على مستوى اللفظ والنظم والدلالة وغير ذلك ممّا يدخل في السّياق اللغوي وأحكامه ووجوهه.

واشترط علماء التفسير . إلى جانب هذا . جملة من الشروط التي تؤكد وعيهم بالسياق بأنواعه المختلفة من ذلك ما يلي ([2]):

_ المعرفة بأسباب النزول والأحداث والوقائع الملابسة لنزول الآية أو النّص القرآني المعيّن، وهذا على مستوى سياق الحال.

_ معرفة المناسبة القائمة في السّور المعينة.

_ معرفة النّاسخ والمنسوخ.

[1]- هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، ص. 269

[2]- ينظر المرجع نفسه، من ص. 270 إلى ص. 273

_ الاهتمام ببيان العلاقات التداولية الحاصلة بين آيات القرآن الكريم المتجاورة والمتباعدة، ومن بين هذه العلاقات: التفسير والبيان، أو ما أطلقوا عليه (التّتميم).

_ ضرورة معرفة ما كان على الإجمال وما كان على التفصيل من الكلام.

الظاهر أنّ مفهوم السّياق عند المفسرين أكثر وضوحا من غيرهم، حيث اعتمدوا منهجا في تفسير القرآن الكريم، والذي يلتقي في معظم التفاصيل مع نظرية السياق، فقد بيّن بعض المفسّرين دور الصوت والكلمة والتركيب والظروف المحيطة بالنص كأسباب النّزول وزمانه، وطرفي العملية التواصلية (المتكلم والمتلقي)، فكلّ عنصر من هذه العناصر لها دورها في تحديد المعنى العام، أو المعنى الدلالي للنص القرآني.

د/ السياق عند الأصوليين:

اهتم الأصوليون بفكرة السياق كغيرهم من علماء العرب القدماء من لغويين وبلاغيين ومفسرين، و"الأصوليون هم علماء أصول الفقه أو الفقهاء الذين تحدّثوا عن الأدلة الشرعية للأحكام الفقهية، وقد اهتم هذا الفريق من العلماء بالسياق اهتماما كبيرًا، واعتدوا به وسيلة للكشف عن المعنى المراد"([1]).

يعدّ مصطلح السّيّاق من المسائل اللغوية المهمة في ميدان البحث الأصولي اللّغوي وقد عبّر "بن عبد السلام (ت 660هـ)" عن ذلك بقوله: "السياق مرشد إلى تبيين المجملات، وترجيح المحتملات، وتقرير الواضحات. وكل ذلك يعرّف الاستعمال، فكل صفة وقعت في سياق المدح كانت مدحًا وكلّ صفة وقعت في سياق الذم كانت ذمًا. فما كان مدحًا بالوضع فوقها في سياق الذم صار ذمّا واستهزاء وتهكُّمًا بعرف الاستعمال" ([2])، بمعنى

[1]- ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، ص. 130

[2]- نقلا عن محمد المهدي حمامي رفاعي، السياق في كتب التفسير– الكشاف تفسير ابن كثير نموذجا – ، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، جامعة حلب، 1985،ص. 63

أن للسياق دور في تفسير النص ومعرفة المراد منه، كما يساهم أيضا في تحديد وتوضيح دلالات اللفظ من تقييد مطلق أو تخصيص عام أو تبيين مجمل، حيث قسّم علماء الأصول أصول الفقه إلى أربعة أقسام، وهي ([1]):

1- الأحكام الشرعية.

2- الأدلة الشرعية.

3- طرق الاستدلال (القواعد الأصولية اللغوية).

4- أحكام الاجتهاد.

ولما ارتبط الأصوليون باللّغة وازداد اهتمامهم بدلالات الألفاظ وعلاقتها بالمعاني، بات من الضروري تحليل هذه العلاقة، فرأوا أن يقسّموها أربعة أقسام، وهي ([2]):

1- اللفظ في المعنى الذي وضع فيه (الخاص، العام والمشترك).

2- اللفظ في المعنى الذي استعمل فيه (الحقيقة والمجاز).

3- اللفظ بحسب ظهور المعنى وخفائه (الظاهر والخفيّ).

4- اللفظ حسب طرق الوقوف على مراد المتكلم.

فالأصوليون صبّوا كلّ اهتمامهم على العلاقة القائمة بين اللفظ والمعنى، سواءً على المستوى المعجمي أو التركيبي أو السياقي، لأنه قد يلتبس المعنى، وبذلك يلجأ إلى السياق حتى يقضي على الغموض والتعقيد والإبهام، فلا يمكن فهم اللّفظ بمعزل عن السيّاق الذي نطق فيه.

يظهر ممّا سبق مدى اهتمام الأصوليين بالسياق، فهم من أشدّ علماء الشريعة حرصا وعناية به، وذلك من أجل الوصول إلى الأدلة الشرعية للأحكام الفقهية، ويمكن القول بأن "الإمام الشافعي (ت 254هـ)" أول من

[1] - علي أيت أوشان، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط. 1، 2000، ص. 114

[2] - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

تحدث عن السياق النصّي، ولقد عقد بابا في رسالته سمّاه "باب الصّنف الذي يبيّن سياقه معناه"، وقد ساق أمثلة من القرآن الكريم نحو: "قال الله تبارك وتعالى: {وَسْئَلْهُمْ عَنْ القَرِيَةِ التِي كَانَتْ حَاضِرَتُ البَحْرِ، إِذْ يَعْدُونَ فِي السَبْتِ، إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانَهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شرّعًا ويَوم لَا يسبتون لَا تَأْتِيهِمْ، كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسَقُونَ} [سورة الأعراف، 163]. فلما قال: (ويعدون في السبت) دالة على أنّه إنما أراد أهل القرية، لأنّ القرية لا تكون عادية ولا فاسقة بالعدوان في السبت ولا غيره، وأنه إنما أراد بالعدوان أهل القرية الذين بلاهم بما كانوا يفسقون"([1])، ومنه فإنّ السياق كان المرجع أو المأوى أو الأساس الأول الذي يعتمد عليه الأصوليون في تفسير نصوصهم.

بناء على ذلك فقد أفادوا منه في بيان المراد من المحتمل، معولين في ذلك على نوعي السياق: سياق النص وسياق الموقف، أي العناصر اللغوية وغير اللغوية وعلاقتها بين أجزاء النص، والظروف المرافقة له، وما تعوّد عليه العرب في كلامهم والإشارة دون نسيان المتكلم ووضع المتلقي من أساسيات السياق، وهذا كله له أهمية ممتازة في تأسيس العلاقات السياقية، واعتنوا من ناحية أخرى بالدلالة من أجل تحقيق الحكم الشرعي، فربطوا تلك المعاني بكل ما يحيط بها من ظروف، تساعد وتساهم في إبراز المعنى الدلالي، ومن هنا جاء ارتباط البحث الأصولي بنظرية السيّاق، التي ظهرت فيها أعمال كثيرة ومتنوعة في المباحث الأصولية.

[1]- ينظر محمد إدريس الشافعي، الرسالة، تح. أحمد محمد شاكر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط.1 ، 1938، ص. ص. 62، 63

لقد برز اهتمام الأصوليين بالسياق من خلال جملة من الأمور منها ما يأتي ([1]):

أ- تفطّن أكثرهم إلى أنّ اللغة ظاهرة اجتماعية لابدّ فيها من ملاحظة السياقين: اللفظي والحالي (المقامي)، والوقوف على طبيعة النص دلالياً، ولقد استعمل بعضهم مصطلح السياق في وقت مبكر ،كما هو واضح عند "الإمام الشافعي"- رضي الله عنه-.

ب- اهتمامهم بدراسة القرائن الحالية، المتمثلة في أسباب النزول والمواقف الملابسة لنصوص الحديث الشريف.

ت- تقسيمهم الألفاظ إلى: عام وخاص ومشترك والنص، على أنّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوصه، وقد يخرج اللفظ من العموم إلى الخصوص، كما هو الحال في بعض أسماء الشرط.

ث- تأكيدهم على أنواع التخصيص، كالاستثنائية والحالية والوصفية والبدلية والسببية، وغير ذلك ممّا أطلق عليه علماء البلاغة مصطلح: متمّمات الإسناد أو قيود الإسناد، وهي قيود دلالية حاسمة في الكلام.

ج- تقسيمهم الأمر والنهي إلى أقسام كثيرة تضارع ما جاء به البلاغيون من: وجوب وإرشاد وإباحة وإكرام وتعجيز وإهانة وتحريم وتكوين، وغير ذلك من الأقسام.

ح- اشتراطهم أمورًا محدّدة لا ينبغي أن يغفل عنها من يريد أن يستخرج أحكامًا شرعية أو فقهية من النصوص القرآنية، ومن بين هذه الشروط التي قالوا بها في تفسير النص القرآني المعين ما يأتي ([2]):

- ألاّ يغفل عن بعضه في تفسير بعضه.

- وألاّ يغفل عن السنة النبوية في تفسيره.

- وأن تعرف أسباب نزول الآيات.

- وأن تعرف النظم الاجتماعية عند العرب.

---

[1]. هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، ص. ص. 274، 275

[2]- المرجع نفسه، الصفحات نفسها.

وبناءً على هذا، ورغم اختلاف اتجاهات وانشغالات الأصوليين، إلاّ أنهم السّباقون إلى تناول هذا المصطلح (السياق)، فعلماء علوم القرآن اعتمدوا في دراستهم للنص القرآني وفهم معانيه ودلالاته على جانبي السّياق اللّغوي، أو ما يسمّى بسياق النّص، وسياق الموقف ويتمثل عندهم في أسباب النزول، أما علماء أصول الفقه فقد اعتمدوا على فكرة السّياق في بيان المعنى في النصوص الشّرعية، ولقد استدعى الأصوليون السّياق في مسائل مختلفة ومباحث متعددة، وذلك إيمانًا منهم بأهمية السّياق في الكشف عن مراد الشارع.

2 – 2 – السّياق عند الغربيين:

شغل السّياق في البحث اللّغوي المعاصر حيزاً واسعاً، واستحوذ دوره في تحديد الدلالة على انتباه الباحثين، لكونهم صبّوا كلّ اهتمامهم عليه حتى صار نظرية متكاملة، وبذلك استطاع أن يحتل منزلة مرموقة بين المدارس اللّسانية الحديثة، ومن بين اللغويين الغرب الذين تناولوا السياق بالدراسة: "سوسير Saussure"، "فندريس Vendryes"، "مالينوفسكي Malinowsky"، و"فيرث Firth".

2 . 2 . 1 . فردينان دي سوسير:

يعدّ "فردنان دي سوسير" من أشهر اللغويين الذين اهتموا باللغة والسّياق في العصر الحديث، إذ هو المؤسس الفعلي للسانيات الحديثة والمرجع اللّغوي للفكر البنيوي من خلال كتابه "محاضرات في اللسانيات العامة".

انطلق "دي سوسير" من منهجية واضحة أساسها أنّ اللغة جهاز من العلامات أو منظومة من العلامات، وبالتالي لم يدرسها على أنها مجموعة كلمات، وإنما على أساس أنها كلّ يتكون من مجموعة عناصر تربطها علاقات، وهذه العلاقة لا تمنح العناصر معنى في ذاتها، وإنما معناها في ارتباطها ببعضها، لذا فإنّ أيّ تغيير يصيب عنصراً منها يظهر أثره على سائر العناصر، بل على النظام كلّه، يقول "دي سوسير": "قيمة الكل هي في

أجزائه كما أنّ قيمة الأجزاء تتأتى من مكانتها في هذا الكلّ أو ذاك"([1])، والمقصود من خلال هذا أنّ "دي سوسير" اعتبر اللغة نظاما من العلامات والأدلة، فقد درس اللغة على أنها وحدات لغوية لابد أن ترتبط ببعضها البعض، فتمنح كل كلمة المعنى المقصود من سياقها، وهذا من خلال الارتباط الوثيق بين العناصر اللّغوية.

إنّ قيمة الكلمة ومعناها لا ينكشف إلاّ من خلال مكانتها والسّياق الذي استخدمت فيه "فلولا أن العقل يربط بين الصيغ المختلفة عن طريق المعاني لما كان للمجموعة الجديدة أيّ أساس ([2])، وذلك يعني أنّ الذهن هو الذي يساهم بشكل كبير في الربط بين هذه الوحدات، مع الأخذ بعين الاعتبار الكلمة التي سبقتها والكلمة التي لحقتها أو كليهما معاً، من أجل تحديد المعنى وتوضيحه.

لقد حدّد "دي سوسير" نظرته نحو العناصر اللغوية التي يتألف منها التركيب، ووضّح "العلاقات السياقية من حيث أنّ دلالة الكلمة يحكمها السّياق ونظام التسلسل المنطقي له بين السابق واللاحق من الكلمات، فحينما تدخل الكلمة في تركيب سياقي ما، فإنها تكتسب دلالتها من علاقاتها مع ما سبقها ولحقها من الكلمات، ومن خلال ضمنيتها تتشكل لها ملامح ومعاني سياقية تشكل لها هوية ما، لم تتحرر من سلطة ذلك السياق لتدخل في سياق آخر([3])، فللحصول على مدلول كلمة ما لابد أن يحكم عليها السّياق والتسلسل المنطقي بين كل ما يقابلها من سابق ولاحق من الكلمات، وبهذا تكتسب دلالتها ومعناها، من خلال علاقاتها التي تربطها ببعضها بعض مع الوحدات اللغوية الأخرى.

[1]-نقلا عن السعيد شنوقة، مدخل إلى المدارس اللسانية، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط. 1، 2008، ص. ص. 45، 46

[2]- فردينان دي سوسور، علم اللغة العام، تر. يوئيل يوسف عزيز، دار آفاق عربية، بغداد، ط. 1، 1985، ص. 188

[3]- فاطمة الشيدي، المعنى خارج النص أثر السّياق في تحديد دلالات الخطاب، دار نينوي، دمشق، (د. ط)، 2011، ص. 67

تناول "دي سوسير" فكرة السّياق من "وجهة نظره المائلة في ثنائية اللغة والكلام، فبعد أن قدّم اعتراضا فحواه: أنّ الجملة أحسن نموذج يمثل السّياق، إلاّ أنها من مشمولات اللّفظ (الكلام) لا اللغة ([1])، فاللغة والكلام مترابطان ومتكاملان، وليس من السهل أن يعزل واحد منها عن الآخر، واللغة في وجهة نظره تمثل نظاماً مجرداً من العلامات، ويتأسس هذا النظام من خلال العلاقات التي تشترك فيها كل أعضاء الجماعة اللّغوية، في حين يمثل الكلام الفعل الفردي للبنية الذي يمثل التحقق النطقي للبنية.

إنّ التركيب هو المنحى الأساسي الذي يساهم في إبراز السّياق، يقول "أبو تمام":

لا تنكرى عطل الكريم من الغنى فالسيل حرب للمكان العالي

فإنّ هذه الجملة يتغير معناها من حيث إحداث الأثر وتحريك المخيلة، وذلك لأن دخولها في هذا السّياق الجديد جلب لها طاقة مختلفة، فهذا السّياق أنتج لنا صورة خيلت إلى السامع أن الكريم إذا كان موصوفا بالعلو والرفعة في قدره، وكان الغني كالغيث في حاجة الناس إليه وعظم نفعه، وجب بالقياس أن يزل عن الكريم زليل السبيل عن الطود العظيم([2])، إذ يمكن للتركيب أن يتغير مدلوله ومعناه، وذلك عند إحداث تغيير أو إبدال للوحدات اللغوية في السّياق الذي وردت فيه، مستخدماً الذهن في ذلك، مما يؤدي إلى ظهور المعنى الذي يسبق إلى ذهن المتلقي، إذ أنه يتصور الكريم بأنه يتم بالعلو والرفعة في قدره، وانطلاقا من هذا وجب القياس.

كما أشار "دي سوسير" إلى أنّ الكلمة المفردة لا تحمل دلالة، إلاّ من خلال ضمّها مع وحدات لغوية أخرى، والتي يتم اختيارها عن طريق استعمال العقل، وذلك لتحقيق وتوضيح المعنى، أي اختيار الكلمة في العقل،

[1]-- ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، ص. 170

[2]- المهدي إبراهيم الغويل، السياق وأثره في المعنى، ص. 103

ثم اختيار الكلام المرتبط في هذه الدلالة، فالكلمة بحدّ ذاتها لا تحمل دلالة، إلاّ إذا ضمّت إلى كلمة أخرى تكوّن معها البناء أو التركيب، والكلمات المتفرقة لا معنى لها داخل التركيب إلاّ إذا اجتمعت في وحدات متداخلة([1]).

لقد تطرق "دي سوسير" في نظريته الاجتماعية في اللّغة إلى وضع ثلاثة تصورات متكاملة لتحقيق المعنى يعبر عنها بهذه المصطلحات: Le langage وla langue وLa parole، وفهم هذه التصورات أمر أساسي أولى لفهم نظريته في اللغة([2]):

1- إنّ ما يسميه "دي سوسير" Le langage (اللغة) هو اللّغة في أوسع معانيها، أي اللّغة باعتبارها ظاهرة إنسانية عامة.

2- أمّا ما يدعوه La langue (اللغة المعيّنة: أي العربية أو الإنجليزية...)، فهو يضم على وجه الخصوص نظام المفردات والنحو في أي عصر من عصور تاريخ لغة معيّنة، و La langue "هذه اللغة أو تلك"، عنده جماعية واجتماعية.

3- أمّا التصوّر الثالث الذي يعبّر عنه بكلمة La parole (الكلام) فيعنى به إظهار الفرد "للغة" La langue وتحقيقه إياها عن طريق الأصوات الملفوظة أو عن طريق العلامات المكتوبة، وما يدعوه La parole (الكلام) فردي وهو واقع تحت سيطرة الفرد.

اعتبر "دي سوسير" التصورات الثلاثة (اللغة والكلام واللسان) وسائل أساسية في وصف اللّغة، وليست مضمونا لها، فكلّ واحدة منها مستقلة بذاتها، والتي أخذت حيّزاً كبيراً في مقولاته، بحيث عدّ المصطلح الأول أوسع معنى، بوصف اللّغة ظاهرة إنسانية عامة، تختلف عن اللّسان، الذي يعدّه خاصاً مقارنة مع اللغة، وأنّ

[1]- علي حميد خضير، دلالة السياق في النص القرآني، أطروحة ماجيستير، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والتربية الأكاديمية العربية، الدانمارك، 2014، ص. 35

[2]- محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، بيروت، (د. ط)، (د. ت)، ص. ص. 301، 302

اللّسان لغة محددة بما فيها نظام مفرداتها وعناصرها المرتبطة كالنحو والصرف والمعجم، أمّا الكلام فيعني ما يترجمه الفرد من قواعد اللّسان، لكن يخضع للنظام الفردي للمتحدث.

بناء على هذا، فإنّ "دي سوسير" أولى لفكرة السّياق أهمية كبيرة، بحيث ربط السّياق باللغة، فالكلمة عنده لا ينكشف معناها، إلاّ من خلال مقابلتها لما هو سابق ولما هو لاحق بها أو لكليهما معاً، لأن الكلمة لا تؤدي معناها منعزلة عن السّياق الذي وردت فيه، إنّما تكون لها دلالة حيث توظف في اللّغة أو بالأحرى في الطريقة التي تستعمل بها أو الوظيفة التي تؤديها.

2 . 2 . 2 . جورج فندريس:

أولى هذا العالم اللّغوي الفرنسي أهمية كبيرة للسّياق، وقد عالج هذه الفكرة عندما تحدث عن المشترك في اللغة، وعدّه المميّز الوحيد في المشترك اللفظي، إذ أنّ السّياق يمنع تعدّد المعاني أو الوظائف، فيشكّل بالتالي العامل الحاسم الذي يحدّد المعنى المراد من اللفظ المشترك.

لقد أشار "فندريس" إلى "أنّ الكلمات تحمل أكثر من معنى واحد في وقت واحد وهذا ما يجعل القارئ أحد ضحايا الانخداع إلى حدّ ما، إذ لا يتماشى في الشعور من المعاني المختلفة التي تدل عليها إحدى الكلمات إلاّ المعنى الذي يعينه سياق النص، أما المعاني الأخرى فتمحى وتبدّد ولا توجد إطلاقا"([1])، وذلك يعني أنّ الكلمة الواحدة يمكن لها أن تحمل أكثر من معنى، وهذا ما يعيق القارئ في فهم معاني تلك الكلمات، وأن السّياق يمنع تعدّد المعاني والوظائف، إذ هو الذي يعطي للسّياق أهمية بالغة، ويستبعد المعاني الأخرى، أو بالأحرى لا يعتبرها موجودة أصلاً.

[1]- ينظر ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، ص. ص. 171، 172

وتنبّه "فندريس" إلى أنّ سياق النص هو الذي يوضح المعنى بدقة، لأنّ المعجم يقدّم المعنى الأساسي الكامل للكلمة فقط، بينما السياق هو الذي يعيّن قيمة الكلمة في الحالات التي وردت في ذلك النص، ف "فندريس" "يرى أنّ المعجم لا يسجّل إلاّ المعنى الأساسي الذي يطغى على ما عداه، والذي يعيّن قيمة الكلمة في كلّ الحالات إنما هو السّياق، والسياق هو الذي يفرض القيمة على الكلمة الواحدة، بالرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدل عليها، إذ هو الذي يخلص الكلمة من الدلالات الماضية التي تدعها الذاكرة تتراكم عليها، وهو يخلق لها قيمة حضورية ([1]).

كما يقول في موضع آخر: "فالكلمة لا تتحدّد فقط بالتعريف التجريدي الذي تحدّدها به القواميس، إذا يتأرجح حول المعنى المنطقي استعمالها وهي التي تُكَونُ قيمتها التعبيرية ([2])، ويفهم من هذا أنّ الكلمة يختلف معناها بحسب الموضع أو الموقع الذي وضعت في الجملة، أي بحسب اختلاف استعمالاتها في التراكيب اللغوية، مما يكسبها معاني مختلفة، فالكلمة تكتسب دلالتها من خلال السّياق الذي سيقت فيه، وذلك عندما تتشابك مع بعضها البعض، مما يزيد في اتّضاح معناها بدقة، إذ أنَّ السّياق يساعد الكلمة على تحديد المعنى الملائم لها، بالرغم من وجود العديد من المعاني التي تحملها تلك الكلمة، فمدلولها يختلف حسب اختلاف استعمالها، وبهذا فهي تكتسب دلالتها من خلال المكان الذي تأخذه في السّياق.

[1]– ينظر ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، ص. 172

[2]– نقلا عن محمد إسماعيل بصل وفاطمة بلة، "ملامح نظرية السياق في الدرس اللغوي الحديث"، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، جامعة سمنان، إيران، جامعة تشرين، سوريا، ع.18، 2014، ص. 4

من هنا فالكلمة تكتسب دلالتها من خلال موقعها في السّياق، ويسهم في تحديد معناها الدقيق كل ما يسبقها وما يليها من مكونات التركيب وعناصره وعلاقاتها بعضها ببعض، كما أنه يبعد الالتباس والإبهام والغموض في الدلالة، بحيث أشار "فندريس" إلى أنّ للسّياق وظائف متعددة، ومتمثلة في ([1]):

_ تعيين قيمة واحدة للكلمة.

_تخليص الكلمة من الدلالات المحتملة التي اكتسبتها من تراكم معرفي تاريخي.

_ خلق قيمة آنية للكلمة وتبديد باقي القيم، ويقصد توجهّه هذا بقوله أنّ كل كلمة تُزوّد في لحظة استعمالها تزويداً تاماً بقيمة وقتيّة تبعد عنها جميع القيم الناتجة من الاستعمالات الأخرى التي تصلح لها الكلمة.

بناء على هذا، فإنّ "فندريس" من العلماء الغربيين الذين سعوا إلى الاهتمام بالسّياق، بحيث هو الذي يساعد الألفاظ على توضيح المعنى الملائم لها وتحديده بدقّة، ومدلول هذه الألفاظ يختلف تبعا للموضع الذي تأخذه فيه، ولقد اهتم بسياق المقال (سياق النص)، وبيّن أنّ الكلمة داخل الاستعمال يكون لها معنى واحد فقط، والذي يعيّن هذا المعنى هو سياق النص.

وذكر "ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي" "أنّ السّياق عند دي سوسير وفندريس لا يتجاوز العلاقات النظمية والمعجمية في المتوالية الملفوظة المتسمة بالخطية (النص)، وبمعنى آخر إنّ السياق عندهما هو السياق اللّغوي، ولذلك حاول سوسير أن ينسبه إلى اللغة مرّة وإلى الكلام مرّة أخرى، لأنّ "النص" ليس صورة مجردة، أو يمكن تجريدها كالكلمة والجملة، باعتباره متوالية خطية كبرى، كما أنّ النص ليس إلاّ التنفيذ الفعلي "الكلام" لمعطيات النظام "اللغة"، ولذا كان بلومفيد يرى أنه "مظهر من مظاهر الاستعمال اللّغوي غير قابل للتحديد"([2]).

[1]– ناريمان براح، النظرية السياقية في الدرس اللساني قديما وحديثا– دراسة مقارنة–،مذكرة لنيل شهادة الماستر، كلية الآداب واللغات، قسم علوم اللغة العربية، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، 2014/2015، ص. 98

[2]– ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، ص. 173

من هنا فإنّ وجهات نظر العلماء المحدثين إلى السّياق مختلفة، ولكنهم ورغم ذلك لا يتجاوزون العلاقات النحوية والمعجمية المتطلبة في النصوص اللغوية في السياقات المختلفة لتحقيق المعنى، ولهذا يختلف استعمال السياق عند "جوزيف فندريس" و"دي سوسير"، بحيث ربط الأول السياق باللغة وحدها، بينما ربطه الثاني تارة باللغة وتارة أخرى بالكلام.

2 . 2 . 3 . مالينوفسكي:

لقد طبّق العالم الأنتروبولوجي "مالينوفسكي" سياق الموقف في دراساته اللغوية، وأدرك أنّ الكلام مرتبط بسياقات خارجية لا تنفصل عنه، حيث يقول أنّ الكلام المنطوق يكون له معنى فقط عندما يرد في سّياق ما، ويقرر بذلك رأيه في وظيفة اللغة واستخداماتها حين يذهب إلى أنّ اللغات الحية يجب ألاّ تعامل معاملة اللغات الميتة، تنتزع من سياق حالها، بل ينظر إليها كما استخدمها أفراد للصيد، أو الحرث، أو البحث عن السمك([1])،وذلك يعني أنّ "اللغة أسلوب عمل وليست توثيق فكر([2])، ويفهم من قوله أن المعاني التي توصل إليها من خلال ترجمته للنصوص كانت نتيجة لمراعاته السياقات الخارجية المحيطة بالكلام، إذ أنّ الكلام المنطوق يكون له دلالة من خلال السّياق الذي سيق لأجله، فالكلام عنده مرتبط بالمواقف والظروف الخارجية المحيطة بنص الكلام، فكان الهدف من الدراسة اللغوية التي أقامها هو دراسة الكلام في سياقه الحالي، و"(سياق الحال) أو (الماجري) هو جملة العناصر المكونة للموقف الكلامي أو للحال الكلامية، ومن هذه العناصر المكونة للحال الكلامية ما يلي ([3]):

[1]- ينظر ف .ر. بالمر، علم الدلالة إطار جديد، تر. صبري ابراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، (د. ط)، 1995،ص. 74

[2]- المرجع نفسه، ص. 75

[3]- محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص. 311

1 . شخصية المتكلم والسامع وتكوينهما الثقافي وشخصيات من يشهد الكلام غير المتكلم والسامع، ودورهم يقتصر على الشهود.

2 . العوامل والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة باللغة وبالسلوك اللغوي لمن يشارك في الموقف الكلامي، وكل ما يطرأ أثناء الكلام ممّن يشهد الموقف الكلامي من انفعال أو ضرب من ضروب الاستجابة.

3 . أثر النص الكلامي في المشتركين، كالاقتناع، وهكذا يتّضح أنّ من أهم خصائص سياق الحال إبراز الدور الاجتماعي الذي يقوم به "المتكلم" في الموقف الكلامي.

4 . إن نظرية اللغة التي تقوم على التصور الخاص بسياق الحال تشمل جميع أنواع الوظائف الكلامية.

يفهم من هذا أنّ سياق الموقف فيه مجموعة من العناصر، تكمن في المتكلم والمتلقي ومجموعة من العوامل الاجتماعية للغة، وكل ما يربطها بالإنسان لها تأثير ودور فعّال في النص الكلامي بين المتكلم والمتلقي، فاللغة التي تقوم على التصور تشمل جميع أنماط الوظائف الكلامية التي يؤديها المتكلم، واللغة التي يمارسها نوع من السلوك، وتؤدي وظائف عديدة غير إيصال الفكرة للطرف الآخر.

إنّ سياق الحال عند "مالينوفسكي" أداة تعين في فهم النصوص، ولقد استعمل مصطلح Context Of Situation سياق الحال (= الماجريات)، وكلمة Context (= السياق) كانت متداولة بين اللغويين من قبله ولا تزال متداولة بينهم، ولكن "مالينوفسكي" أضفى على الاصطلاح (سياق الحال) معنى خاصاً، لكونه يشمل أنواع النشاط اللغوي جميعاً كلاماً وكتابة([1])، أي أنه مرتبط بالكلام أو الكتابة، وكل ما يحيط به من متكلم وسامع والنصوص التي تصدر عنهم.

والسّياق عنده مرتبط بالمواقف والظروف المحيطة بنص الكلام الذي قيل فيه، فمعنى أي لفظة يعتمد اعتماداً كبيراً على السّياق الذي وردت فيه، ولقد "وجد مالينوفسكي نفسه أمام عدد من المشاكل اللغوية التي لا

[1]- ينظر محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص. 310

يجد تفسيراً لها في لغة جزر التروبرياند، مما جعله يربط بين كثير من العبارات والتعبيرات التي صعب عليه تفسيرها ترادفياً، فحاول ربطها بالموقف التي قيلت فيها([1])، بمعنى أنه ربط العبارات والجمل التي واجه من خلالها صعوبة في تحليلها وتفسيرها ترادفيا بالسياق الذي وردت فيه، أي بالظروف والملابسات الخارجية المحيطة بنص الكلام، وبهذا اعتبر سياق الموقف مجرد حلّ لتفسير هذه الصعوبات.

كما كان "مالينوفسكي" ضد فكرة أنّ اللغة وسيلة للتواصل بين الأفراد وأداة لتوصيل الأفكار، بل اعتبرها جزء من المكون الاجتماعي، ومع ذلك فقد كانت مقولاته "تشي بجملة من المبادئ الواضحة التي أثرت في الفكر اللغوي، حيث ذهب إلى أنّ اللغة ليست مجرد أداة لتوصيل الأفكار، بل هي في المكان الأول جزء من نشاط اجتماعي متّسق، وفي اللحظة التي تفصل فيها الكلمة عن سياق هذا النشاط الذي يغفلها أو عن سياق الموقف الذي تستخدم فيه تصبح كلمة جوفاء غير ذات مغزى، لأنّ الألفاظ لا يمكن أن توجد في فراغ"([2]).

إنّ اللغة في نظره ليست للتواصل فقط، ففي الوقت الذي تخرج الكلمة عن السّياق الذي قيلت فيه تصبح كلمة "جوفاء" دون معنى لا تحمل دلالات ومقصدية، أي أنّ هذه الكلمات لا تنقل المعنى، بل لها وظيفة اجتماعية، واعتبرها مجرد أسلوب عمل فحسب، وهذه الفكرة حسبه كانت تُرى على نحو واضح في الاحتياجات الأساسية للإنسان، وفي لغات الطفل أو الإنسان البدائي، وبالتالي كانت مرتبطة أكثر بالاحتياجات العملية للمجتمع البدائي([3])، وبهذا فإنّ سياق الموقف له تأثير وأهمية في معالجة وتحليل هذه اللغات البدائية، فنص الكلام والسّياق الذي قيلت فيه، أي سياق الحال، شيء واحد مرتبطان بعضهما ببعض، باعتبار السّياق هو الذي يساهم في فهم ألفاظ النص أو الكلام.

---

[1]- ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، ص. 183

[2]- المرجع نفسه، ص. 185

[3]- ينظر ف.ر. بالمر، علم الدلالة إطار جديد، ص. ص. 75، 76

من هنا يتبين دور اللّغة في المجتمعات البدائية، إذ أنها ترتبط ارتباطاً وثيقا بالمجتمع الذي يستخدمها، وأنها ليست وسيلة للتفاهم والتواصل فقط، بل أداة عاكسة للفكر، فهي ضرب من العمل وجزء من السلوك الإنساني، لا يمكن فهمه خارج أنشطة الإنسان الأخرى، وبهذا "ذهب مالينوفسكي وهو يواجه صعوبات في ترجمة آداب الشعوب البدائية، إلى أنه لا يمكن للنصوص أن تؤدي معنى إلاّ إذا وضعنا الكلمات في سياقها، لأن سياق الحال أو الظروف المحيطة بالحدث اللّغوي الذي استخدمت أو نطقت فيه، هي جزء متمّم لهذا الحدث [1]، أي لا يمكن للنصوص أن تؤدي معناها وتوضحه، إلاّ إذا كانت الألفاظ قد وضعت في سياقها، باعتبار سياق الحال له دور فعّال في فهم النصوص، وتأدية معانيها على أكمل وجه.

كما أنّ وظيفة اللغة عند "مالينوفسكي" تتمثل في أنّها أسلوب عمل، وليست مجرد أداة للتواصل فقط، وذلك مع الاحتفاظ بكونها وسيلة اتصال بين الناس، فكل ما يتكلم به الناس في نظره لا يقصد به أساسا للتواصل والتفاهم والإقناع أو إثارة العواطف، وإنما يستخدم لخلق شعور التفاهم الاجتماعي.

من هنا يمكن القول أنّ هذا العالم ارتكزت جلّ اهتماماته على اللّغة، باعتبارها نمطاً للسلوك وعلى مشكلات المعنى الثقافي، الذي يقرّ بأن الدور الرئيسي للغة لا يقتصر على التعبير عن الفكر والعمليات الذهنية، وإنّما لها وظيفة مهمة تؤدي دوراً فعالاً في السلوك البشري، وعلى هذا فهو لم ينكر اللغة التي هي أداة التفكير والتواصل فقط، بالعكس، فالحالات العقلية التي تشترك بين أفراد مجتمع ما في طابع معين، يصبح أنموذجاً نمطيا من خلال النُظم التي يشترك فيها أفراد ذلك المجتمع، اعتماداً على النظم والقيم والعادات التي تخص ذلك المجتمع، إذْ يكون ذلك من خلال وسيلة التفكير واللغة، وعلى هذا الأساس فوظيفة اللغة لا تنحصر في كونها وسيلة من

[1]- بوزبوجة عبد القادر، نظرية السياق عند اللغويين والبلاغيين العرب، رسالة دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة وهران، 2006/2007، ص. 14

وسائل إيصال الأفكار والتعابير، إذ هناك وظائف أخرى تؤديها لكونها نوع من السلوك البشري، ومعنى الكلمة لا ينكشف ولا يتضح إلاّ من خلال السّياق الذي استخدمت فيه.

2 . 2 . 4 . فيرث:

كانت فكرة السّياق التي طرحها الغربيون في دراساتهم الحديثة استمرارا لجهود العلماء العرب الذين لهم السبق في هذا المجال، "فانطلاقا منها ظهرت دراسات جديدة، تمخض عنها بروز علم جديد، والذي يتميز بخصائص ومبادئ افتقر لها الدرس القديم، ومن أهمها تأسيس مدارس مختلفة كان لها الدور الكبير في تثبيت دعائم هذا العلم، ومن بين هذه المدارس التي يشهد لها التاريخ بذلك، المدرسة الإنجليزية الاجتماعية التي يطلق عليها اسم المدرسة الفيرثية نسبة إلى "جون فيرث"، والذي يرجع إليه الفضل في تأسيسها وتثبيت دعائمها الحديثة، فقد كانت هذه النظرية الإسهام الحقيقي للغويين الغربيين في مجال الدراسات اللغوية بصفة عامة والدرس الدلالي بصفة خاصة"([1]).

تعتبر نظرية السياق عند "فيرث" أهم مباحث المدرسة اللغوية الاجتماعية، حيث وسّع نظريته بمعالجة الظروف اللغوية لتحديد المعنى، ومن ثم أثبت صدق المقولة بأنّ المعنى وظيفة السياق، وتعدّدت بعد ذلك المناهج اللغوية الغربية المختلفة لدراسة المعنى كالنظرية الإشارية، والنظرية التصورية، والنظرية السلوكية، ومع ذلك لم تستطع هذه المناهج أن تقدم فكرة السّياق كما قدمها فيرث([2])، يقول "ستيفن أولمان Stephen Ulmann" في هذا

[1]–نعيمة بن ترابو، ملامح النظرية السياقية عند اللغويين العرب، دراسة من منظور لساني، مذكرة ماجيستير في الأدب العربي، كلية الآداب واللغات، قسم الأدب العربي، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2009/2010، ص .ص 60،61

[2]– العيد جلولي،"مصطلح السياق في التراث العربي وعلم اللغة الحديث"،مجلة مقاليد، جامعة قصدي مرباح ورقلة، قاعدة بيانات الملخصات العلمية، الجزائر، ع.1، جوان 2011، ص. 6

الشأن: "إنّ نظرية السّياق إذا طبقت بحكمة، تمثل الحجر الأساس في علم المعنى، وتتسع دائرة السّياق بعامة، ويمتد نفوذه فيؤثر في جوانب متعدّدة في النص"([1]).

يعدّ "فيرث" أول من جعل اللسانيات علما معترفا به في بريطانيا، إذ انصبّ كلّ اهتمامه على الأصوات الوظيفية والدلالة، والتي عرفت بالنظرية السياقية، وفي ذلك تبنّى سياق الحال الذي جاء به "مالينوفسكي"، لكنه لم يكتف به، بل تعدّاه إلى دراسة لغوية، صوتية، صرفية، نحوية، ومعجمية لتكتمل الدراسة الدلالية، فنظريته "تنطلق في دراسة السّياق من خلال مجموعة الوظائف اللغوية: الصوتية – المورفولوجية – النحوية – المعجمية– الدلالية، فيدرس المعنى على المستويات جميعها، ويجب أن ترتبط بسياق الحال، ولقد أعطى فيرث اهتماماً كبيراً للسياق، وعدّه الأساس لعلم الدلالة([2]).

انطلقت النظرية السياقية عند "فيرث" من تصوره الخاص للمعنى اللغوي، يقول في ذلك "جون لاينز (John Lyons)": "لقد أقام "جي أر فيرث" نظريته الدلالية كلها على مفهوم السياق، واصفا ما دعاه بتقنيته في تحليل المعنى في اللغة، بأنها ترتيب الحقائق في سلسلة من السياقات وكلّ سياق ينطوي تحت سياق آخر، ولكلّ منها وظيفة بنفسها، وعضو في سياق أكبر وكلّ السياقات تندرج فيما يمكن أن نسمّيه سياق الثقافة"([3])، ويقصد من كلامه أن "فيرث" طوّر نظريته الدلالية استناداً إلى السياق، إذ لكلّ سياق دور ووظيفة وما يحمله من دلالات في اللغة، فسياق الثقافة يُنظم جميع السياقات بما فيها سياق الحال، وعلى هذا يمكن القول أنه يمكن لمفردة معجمية واحدة أن تؤدي وظيفتها بطريقة معينة، استنادا إلى السياق الذي تستعمل فيه، وبهذا فإنّ دلالة الكلمة لا تقتصر على معناها المعجمي، وإنما تشمل كل المعاني التي قد تتخذها في السياق اللغوي الذي ترد فيه.

[1]– فاطمة الشيدي، المعنى خارج النص، ص. 98

[2]– محمد إسماعيل بصل وفاطمة بلة، "ملامح نظرية السياق في الدرس اللغوي الحديث"، ص. 6

[3]– بوزبوجة عبد القادر، نظرية السياق عند اللغويين والبلاغيين العرب، ص. 14

كما كانت منطلقات هذه النظرية لدى "فيرث" رفض ثنائيات "دي سوسير"، حيث رأى استحالة تحقيقها من الناحية العلمية، يقول: "بما أننا نعرف القليل عن العقل ودراستنا هي دراسة اجتماعية في جوهرها، فسوف أكفّ عن احترام ثنائية الجسم والعقل، التفكير والكلام، وأكون راضيا بالإنسان ككل، يفكر ويتصرّف وسط أصدقائه كوحدة كاملة([1])، يتبين من خلال هذا الكلام أنه ضدّ هذه الثنائيات، وبهذا فقد وصف اللغة على أنها نشاط معنوي في سياق اجتماعي، وبرفضه لهذه الثنائيات كان كلّ تركيزه منصباً على دراسة المكوّن الاجتماعي لمختلف اللغات الإنسانية، إذ رأى أنّ اللغة لابد أن تدرس على أنها شكل من أشكال الحياة الإنسانية الاجتماعية، وليس عبر دراستها بمجموعة من الثنائيات ذات العلاقة الاعتباطية بينها، وإلى جانب هذا كانت أسس النظرية السياقية أيضا انطلاقاً من دراسة اللغة وربطها بالمكون الاجتماعي، إذ تعتبر وسيلة للتواصل الاجتماعي، ولا يمكن الاستغناء عنها، خاصة لكونها متعلقة بفهم المعاني الناتجة عن سياقات الكلام الاجتماعية المتعددة.

بناء على هذه المنطلقات تطورت النظرية السياقية، وذلك بصبّ كل اهتمامها على المعنى، فاعتبرت الهدف الأساسي للسانيات هو تتبع الدلالات، وذلك وفق المواقف والظروف المحيطة التي تتضمن الإرث الكلامي بالاستناد على اللغة، باعتبارها وظيفة التواصل بين القوم، وبهذا فإنّ اللّغة ترتبط ارتباطاً وطيداً بالمجتمع الذي يستخدمها، فهي جزء من السلوك الإنساني.

من هنا قامت نظرية "فيرث" على ثلاثة أركان أساسية في دراسة المعنى، وهي ([2]):

أولا: وجوب اعتماد اللّغوي على ما يسمّى بالمقام أو سياق الحال، ولقد حدّد "فيرث" العناصر الأساسية لسياق حال الحدث اللغوي بما يلي:

[1]- نقلا عن ناريمان براح، النظرية السياقية في الدرس اللساني قديما وحديثا – دراسة مقارنة-، ص. 70

[2]- محمد إسماعيل بصل وفاطمة بلة، "ملامح نظرية السياق في الدرس اللغوي الحديث"، ص. ص. 5، 6

1- المظاهر وثيقة الصلة بالمشاركين: أي المتكلمين والسامعين، وتتضمن أموراً ثلاثة وهي:

- ❖ كلام المشاركين، أي: الحدث الكلامي الصادر عنهم.
- ❖ الحدث غير الكلامي عندهم، ويقصد به أفعالهم وسلوكهم أثناء الكلام.
- ❖ شخصية المتكلم والسامع وتكوينهما الثقافي، وكذا من يشهد الكلام من غيرهم، إن وجدوا، وبيان مدى علاقتهم بالسلوك اللغوي، وهل يقتصر دورهم على مجرد الشهود؟ والنصوص التي تصدر عنهم.

2- الأشياء وثيقة الصلة بالموقف: وهي العوامل والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة البالغة، والسلوك اللغوي لمن يشارك في الموقف الكلامي، نحو: مكان الكلام وزمانه والوضع السياسي وغيرها، وكلّ ما يطرأ أثناء الكلام ممّا يتّصل بالموقف الكلامي أياً كانت درجته.

3- أثر الحدث الكلامي في المشتركين: كالإقناع أو الألم، أو الإغراء، أو الضحك وغير ذلك، وبذلك قدّم "فيرث" أسساً دقيقة لسياق الحال.

ثانيا: وجوب تحديد بيئة الكلام المدروس تحديداً دقيقاً، حتى تضمن عدم الخلط بين لغة وأخرى، أو لهجة وأخرى أو بين مستوى كلامي ومستوى آخر.

ثالثا: وجوب النظر إلى الكلام اللغوي على مراحل، لأنه مكوّن من أحداث لغوية مركبة، أو معقّدة، وهي فروع اللغة المختلفة، وإتّباع هذا المنهج يوفّر اليسر والسهولة في تحليل الأحداث اللغوية، والوصول إلى خواص الكلام المدروس، إذ تقود كلّ مرحلة إلى التي تليها وصولاً إلى المعنى الوظيفي.

يتّضح انطلاقا ممّا سبق أنّ أصحاب هذه النظرية عنوا كثيرا بدراسة المعنى من المناهج الخارجة عن اللغة، وجعل هذه الدراسة خاضعة للتحليل، فالسياق الذي تحدث فيه عملية التواصل يزودُ طرفي العملية التواصلية قدراً كافيا من المعلومات المتبادلة بينهم، ونوع سياق الحال الذي يجعل من المتلقي قادراً على التنبؤ بالمعاني.

كما يتّضح أنها نظرية كانت ترى بأنّ معنى الكلمة يبحث عنه في إطار سياقه اللغوي وظروف إنتاجه، فإذا أراد شخص أن يضع دلالة لكلمة ما، لابد له أن يضعها في سياقات ليحصل على معان مختلفة، فقد ركز "فيرث" في نظريته هذه على الوظيفة الاجتماعية للغة والتي كان أساسها سياق الحال الذي أتى به من الأنتروبولوجيا، والذي تحدث عنه "مالينوفسكي"، فـ"نقطة الانطلاق الحقيقية لفيرث تمثلت في الإفادة من جهود مالينوفسكي، وإفادته إفادة عظمى من هذه الجهود خاصة فيما يتعلق بسياق الموقف، إلاّ أنّ نظرته إلى هذا السيّاق كانت مختلفة إلى حدّ كبير، ذلك أنّ استعانة كلّ منهما بهذا النوع من السّياق في التفسير اللّغوي قد تأثرت تأثراً بيّناً بتخصص كلّ منهما"([1])، وبالرغم من اختلاف وجهات نظر العالمين حول فكرة السّياق، إلاّ أنّ هدفهما مشترك، ألا وهو تفسير النصوص اللغوية.

يقول "علي عزت": "إنّ كلا من مالينوفسكي وفيرث يستخدمان هذه النظرية بطريقة مختلفة، ويرجع هذا بالضرورة إلى أنّ مالينوفسكي كان عالما أنثروبولوجيا...بينما كان فيرث عالما لغوياً مهتماً بالثقافة الإنسانية بالدرجة التي تعينه على تكوين نظرية لغوية"([2])، فكلّ واحد منهما له وجهة نظر خاصة به، باعتبار "مالينوفسكي" عالم أنثروبولوجي، و"فيرث" عالم لغوي، فكلاهما يهتم بتحديد المعنى في ضوء السّياق الذي تستخدم فيه اللغة ولكن بطرق مختلفة، ولقد "اعترف فيرث بأنه مدين لمالينوفسكي ولكنه شعر أن سياق الحال بالنسبة إلى مالينوفسكي جزء من العملية الاجتماعية التي اعتبرها مستقلة عن السلسلة المنتظمة من الأحداث، وهي مجموعة الأحداث الواقعية والقابلة للملاحظة. وفضّل فيرث أن ينظر إلى سياق الحال على أنه جزء من أداة اللّغوي مثل المقولات النحوية التي يستخدمها بالضبط([3]).

[1]- ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، ص. 190

[2]- نقلا عن المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]- ينظر صلاح الدين صالح حسنين، الدلالة والنحو، مكتبة الآداب، ط.1، (د. ت)، ص. ص. 37، 38

وأكّدت النظرية السياقية أنّ تحديد دلالة الكلمة يحتاج إلى تحديد السياقات التي ترد فيها، بحيث تعتمد على منهج وطريقة أكثر موضوعية ومنطقية، ذلك أنه يقدم نموذجاً فعليا لتحديد دلالة الصيغ اللغوية "كما أن من اللغويين من اعتبر المنهج السياقي خطوة تمهيدية للمنهج التحليلي، ومن هؤلاء "أولمان"، الذي صرح بأن "المعجمي يجب أولا أن يلاحظ كل كلمة في سياقها –كما ترد في الحديث أو النص المكتوب-.بمعنى أننا يجب أن ندرسها في واقع عملي in operation (أي في الكلام)"([1])، ف "أولمان" من اللغويين الذين اعتبروا المنهج السياقي البداية الأولى لظهور أو لبزوغ المنهج التحليلي، بحيث يرى أنه على المعجمي أن يلاحظ جميع الكلمات التي وردت في النص المكتوب أو الحديث الشفوي، ومن ثم يقوم بدراستها في واقع عملي، ومن خلالها يستخرج العامل المشترك العام، وبعدها يدوّنه على أنه المعنى الذي تحمله تلك الكلمة.

بناءً على ذلك وصف "أولمان" منهج "فيرث" بأنه "منهج طموح إلى درجة لا نستطيع معها في كثير من الأحايين إلى تحقيق جانب منه فقط، ولكنه مع ذلك يمدنا بمعايير تمكننا من الحكم على النتائج حكماً صحيحاً([2])، ولهذا فإنّ "أولمان" يعدّ من العلماء الذين يسعون إلى الحرص والتنبيه على أنّ المنهجين (التحليلي والسياقي) ليسا متعاكسين ومتضادين، وإنما يمثلان خطوتين ومرحلتين متتاليتين في نفس الاتجاه لتحليل المعنى.

يتميّز المنهج السياقي إضافة إلى ذلك بمجموعة من المميزات، من ذلك ما يلي([3]):

. أنه – على حدّ تعبير "أولمان" - يجعل المعنى سهل الانقياد للملاحظة والتحليل الموضوعي، وعلى حدّ تعبير "فيرث" أنه يبعد عن فحص الحالات العقلية الداخلية، ويعالج الكلمات باعتبارها أحداثا وأفعالا وعادات تقبل الموضوعية والملاحظة في حياة الجماعة المحيطة بهم.

[1]- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص. 72

[2]- ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، ص. 194

[3]-ينظر أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص. 73

. أنه لم يخرج في تحليله اللغوي عن دائرة اللغة، فالبحث عن تفسير للظاهرة اللّغوية خارج إطار اللّغة يشبه البحث عن منفذ للخروج من حجرة ليس لها نوافذ ولا أبواب.

تظل هذه النظرية من النظريات الأساسية التي تسعى لدراسة المعنى المعجمي أو دراسة معنى الكلمة المفردة، باعتبارها الوحدة الكلامية الأساسية، ولقد نتج عن اختلاف النظريات وتنوعها إلى تنوع التعريفات والمناهج، وكذا اختلاف وجهات نظرهم نحو هذه النظرية"، ومع هذا فقد وجهت لها عدّة اعتراضات منها ([1]):

. أنّ "فيرث" لم يقدم نظرية شاملة للتركيب اللغوي، واكتفى فقط بتقديم نظرية للسيمانتيك، مع أنّ المعنى يجب أن يعتبر مركبا من العلاقات السياقية ومن الأصوات والنحو والمعجم والسيمانتيك.

. لم يكن "فيرث" محدداً في استخدامه للمصطلح السّياق context مع أهميته، كما كان حديثه عن الموقف situation غامضا غير واضح، كما أنه بالغ كثيراً في إعطاء ثقل زائد لفكرة السّياق.

. إنّ هذا المنهج لا يفيد من تصادفه كلمة ما عجز السّياق عن إيضاح معناها، فلن يفيده شيئاً أن تقول له إنّ هذه الكلمة ترد في السياقات الآتية، ولكنه يفيد الباحث الذي يريد أن يتتبع استعمالات الكلمة، واستخداماتها العملية في التعبيرات المختلفة.

يمكن القول في الأخير أنّ نظرية السّياق عند "فيرث" من النظريات أو التقنيات التي تسعى إلى تحليل المعنى في اللغة، بحيث نظر إلى اللّغة على أنها نتيجة علاقات متشابكة متداخلة، ليست وليد لحظة معينة، بما يصاحبها من صوت وصورة، ولكنها حصيلة المواقف الحيّة التي يمارسها الأشخاص في المجتمع، فالجمل تكتسب دلالتها في النهاية من خلال ملابسات الأحداث، أي من خلال سياق الحال، فالمعنى لا ينكشف إلاّ في السّياق الذي سيق لأجله الكلام، أي في إطار سياقه اللغوي وظروف إنتاجه.

1- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص. ص. 73، 74

وما يمكن استخلاصه في الأخير أنّ للسّياق مكانة متميزة في الدراسات اللّغوية القديمة والحديثة، وذلك لما له من أهمية في الكشف عن المعنى، وفهم مقاصد الكلام ودلالاته.

. المبحث الثاني: فروع السياق وفاعليته.

1 . فروع السّياق:

إنّ المعاني المختلفة التي تحملها الكلمة الواحدة، ناتج عن تعدد السياقات التي ترد فيها، فتحديد معنى الكلمة وتوضيحها لا يظهر إلاّ من خلال استعمالها في السّياق الذي وردت فيه، ومقابلتها للوحدات اللّغوية التي تقع مجاورة لها "ولاحظ النحاة أنّ بعض الألفاظ لا يستعمل إلاّ مقترنا بلفظ آخر وأنّ ألفاظ تختص بالدخول على قسم بعينه على أقسام الكلم وأنّ اللفظ في السّياق من شأنه نحوياً أن يصاحب من هو له معجمياً"([1])، فمعنى الكلمة يتحدّد تبعاً للسياقات التي تقع فيها، والسّياق في علم اللغة يشمل دراسة المستويات الصوتية، الصرفية، النحوية، المعجمية، بالإضافة إلى القرائن الخارجية والمتمثلة في: السياق العاطفي (النفسي)، سياق الموقف (المقام، الحال)، والسياق الاجتماعي (الثقافي).

1 . 1 . السياق اللّغوي Verbal context:

وهو السّياق الذي ينظر إلى أنّ الكلمة المفردة لا تحمل دلالة، إلاّ إذا اندمجت مع وحدات أخرى في السلسلة الكلامية، و"يقع هذا النوع من السّياق في حالة ما إذا وردت الكلمة الواحدة في عدد من الجمل (السياقات اللغوية) وتحمل في كلّ جملة معنى مغايراً لمعانيها في سائر الجمل الأخرى، ويمكن التمثيل لذلك بكلمة (يد)، التي تأتي في عدّة سياقات، فيختلف معناها في كلّ سياق([2]):

[1]- تمام حسان، اجتهادات لغوية، عالم الكتب، القاهرة، ط. 1، 2007، ص. 152

[2]- محمد سعد محمد، في علم الدلالة، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط. 1، 2002، ص. 40

- في قوله تعالى:{يَدُ اللهِ فَوقَ أيْدِيهِمْ} تعني العناية.

- في قوله صلى الله عليه وسلم:{وهُمْ يَدُ على مَنْ سِوَاهُمْ} تعني الاتحاد.

- وفي قولك: "لَهُ عَليّ يَد" تعني الفضل والتكرم.

- وفي قولك: "هَذَا رَجُلٌ طَوِيلٌ اليَدِ" تعني الكرم، وفي العامية تعني لص.

- وفي قولهم: "اسقط في يد" تعني الندم والتحيّر.

- وقولهم: "بايعته يدًا بيد" تعني نقدًا، هذا فضلا عن اليد المعروفة التي هي عضو من أعضاء جسد الإنسان.

إنّ معنى الكلمة يختلف باختلاف السّياق الذي وردت فيه، فمثلا: كلمة "يد الله" تدل على قدرة الله عزّ وجلّ، والتي لا توحي إلى اليد الحقيقية، فسياق النص "هو المحدود بحدود النص لا يتجاوزه، ويبدأ بالنظر في بنية الكلمة المفردة صوتيا وصرفيا وسياقها المعجمي، وتركيب الجملة وعلاقات الجمل، فيما عرف بالنظم في البلاغة العربية وينتهي بالنّص بوصفه سياقاً للجملة([1])، ويفهم من هذا أن سياق النص لا يتعدى إلى ما هو خارج النص، إذ أنه يهتم بما في داخله، وشأنه النظر في بنية الكلمة، أي في جوانبها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، وبذلك فسياق النص يشتمل الكلمات والجمل الموجودة فيه، والتي بدورها تكسبه توجيها دلالياً، وعلى هذا يندرج تحته عدة سياقات، منها:

أ – السياق الصوتي:

يهتم بدراسة الصوت داخل سياقه اللغوي، من حيث كمية الهواء اللاّزمة لإنتاج هذا الصوت، والجهر ودرجاته، والهمس وغيرهما، كما يهتم بدراسة ظاهرة الألفون، ودورها في بيان درجات التنوع للأصوات، بالإضافة إلى دراسة الفونيم، باعتباره وسيلة مهمة لتوزيع الأصوات وفق محتواها الوظيفي، فقيمة الفونيم تكمن في مهمته

[1]– عيد بلبع، السياق وتوجيه دلالة النص، دار الكتب المصرية، ط. 1، 2008، ص. 141

الوظيفية وتأثيره داخل منظومة السّياق"([1])، فالسياق الصوتي يعدّ من مظاهر السّياق اللّغوي، بحيث يهتم بدراسة الأصوات التي ترد داخل سياق معين، وذلك من خلال مراعاة طرائق إنتاج هذه الأصوات، أي كمية الهواء اللازمة لإنتاجه، والجهد الذي يبذله المتكلم، بالإضافة إلى دراسة الألفون والفونيم.

لقد تناول "ابن جنّي" سابقا دلالة الأصوات المفردة "في شكل موازنة ثنائية بين دلالة كلمتين، ونسبة الاختلاف بينهما إلى المقابل الثنائي بين صوتين مفردين كل واحد منهما في كلمة"([2])، فالمعنى يمكن أن يحصل عن طريق استبدال فونيم بفونيم آخر، مما يؤدي إلى تغير المعنى، نحو ذلك: "خضم وقضم، فالخضم لأكل الرطب كالبطيخ والقثاء وما كان نحوهما من المأكول الرطب. والقضم للصلب اليابس، نحو: قضمت الدابة شعيرها، ونحو ذلك. وفي الخبز- قد يدرك الخضم بالقضم- أيّ قد يدرك الرخاء بالشدة واللين بالشظف...فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب، والقاف لصلابتها لليابس حذوا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث"([3]).

والكلمة الصوتية هي وحدة مكونة من فونيمات وعناصر التنغيم والنبر، إذ هما عاملان مساعدان في فهم الجملة أو النص من خلال السياق، فالتنغيم يأتي غالبا في اللغة العربية والإنجليزية، الذي هو ناتج عن التذبذبات الصوتية التي تحدث على مستوى الجملة أو العبارة، يقول "فتح الله أحمد سليمان": "ويعتمد تحديد الدلالة المقصودة – بالإضافة إلى السّياق والمواقف- على التنغيم الذي يؤدي دوراً مهما في إكساب التراكيب الخبرية بعض المضامين الدلالية التي ما كانت لها في الأصل، فالجملة الخبرية "في الحديقة لص" يمكن أن تتحول إلى صورة من صور التحذير، إذا اعتمدت على التنغيم التحذيري، ونعني به أن يأتي التنغيم في السّياق دالاً على

[1]- ينظر فاطمة الشيدي، المعنى خارج النص أثر السّياق في تحديد دلالات الخطاب، ص. ص. 31، 32

[2]- ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، ص. 354

[3] - أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، ج. 2، تح. محمد على النجار، دار الكتب المصرية، (د . ت)، ص. ص. 157، 158

التحذير([1])، فلتحديد معنى كلمة ما والسّياق الذي وردت فيه لابد الاعتماد على ظاهرة التنغيم، لما لها من أثر في إعطاء الجمل والعبارات مضامين دلالية تدل عليها، ومن ذلك قولك: فكلمة "يا سلام" ننطقها للتهكم والسخرية، وننطقها بصوت مرتفع مع التطويل في الكلام للدهشة والاستغراب، وغالبا ما يطلق على التنغيم موسيقى الكلام، والذي يعنى بكيفية نطق الكلام بأنغام مختلفة، وهذه الأنغام تسهم في إيضاح المعنى الذي يقصده المتكلم.

أما النبر فهي ظاهرة صوتية، يظهر أثرها على مستوى المقاطع الصوتية، لتكسبها الوضوح الدلالي مقارنة ببقية المقاطع الصوتية المجاورة لها، حيث عرّفه "إبراهيم أنيس" بقوله: "هو نشاط في جميع أعضاء النطق في وقت واحد، فعند النطق بمقطع منبور نلاحظ أنّ جميع أعضاء النطق تنشط غاية النشاط"([2])، فالنبر هو ارتفاع الصوت ومن ذلك في قولك: "غلق"، "غلّق" ، فالكلمة الأولى تعني الغلق العادي، والثانية بالضغط تعني الغلق بشدة وقوة. وفي مثال آخر: "اشتريت قلماً بثلاثين ديناراً"، فإذا كان الضغط على القلم فإنّ التركيز منصب على القلم، أما إذا كان الضغط على كلمة "ثلاثين ديناراً "كان على ثمن القلم، وليس على القلم.

ب- السياق الصرفي (علم الصرف):

هو المظهر الثّاني من مظاهر السّياق اللّغوي، والوظيفة الصرفية "متعلقة بغيرها من الوظائف اللّغوية تعلقا لا يمكن فصله، فمن مظاهر تعلقها بالمظهر بالمستوى الصّوتي في الدرس البلاغي ربطهم بين الظّاهرة الصوتية والبنية الصّرفية للكلمة فيما عرف بالجناس الاشتقاقي، وربما كان ارتباطها بالمستوى المعجمي أشد نظرا لما تنتجه البنية الصّرفية من دلالة مستقلة بذاتها، مهما كانت محدودة فما تنتجه البنيات الصّرفية من دلالات يتفاوت،

[1]- فتح الله أحمد سليمان، مدخل إلى علم الدلالة، ص. 10

[2]-عفاف بن بوط، مستويات السياق اللغوي وأثره في توجيه المعنى- معلقة "عبيد بن الأبرص" أنموذجا-، مذكرة لنيل شهادة الماستر، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، 2014/2015، ص. 31

لنأخذ مثلا الفروق الدّلالية بين هذه البنيات (عَلِمَ-عِلْم- تعَلّم- تعليم- تَعَلّمَ- تعلّم"([1])، يظهر من خلال هذا التّعريف أن السّياق الصّرفي يعدّ العنصر الثّاني من السّياق اللّغوي، لما له من صلة تربطه بالوظائف اللّغوية، فمن المستحيل تفريقه عن هذه الوظائف، وبهذا فإنّ هذا المظهر له ارتباط وثيق وتعلّق بالبنية الصّوتية للكلمة، والّذي يعرف بالجناس الاشتقاقي، ومن الواضح أنّ هذا السّياق الصّرفي أشدّ ارتباطا بالمستوى الدلالي لما تحمله البنية الصّرفية من دلالات لكلمة ما، فمهما كانت محدودة فكلّ ما تنتجه البنية الصّرفية من معان ودلالات تختلف عن الأخرى مثل: عَلِم، عِلم، عَلّم.

يعتمد السّياق الصرفي، إلى جانب هذا، على وحدات لغوية لتحديد معنى كلمة ما، وذلك حسب السّياق الذي وردت فيه، فيهتم "بالمورفيمات، أو الوحدات الصرفية حرّة كانت أو مقيّدة، أو محايدة لا قيمة لها، إذا كانت ضمن سياق تركيبي معيّن أي تمارس وظيفتها داخل النص، مثل أحرف المضارعة وسواها"([2])، إذ أنّ السياق الصرفي ينصبّ اهتمامه على الوحدات اللّغوية الصرفية، والتي تحمل دلالة في لغة ما، سواء كانت حرّة ظاهرة في الكلام بدون قيود، أي مطلق مثل: "معلم"، بحيث يمكن أنْ يرد في أول الجملة كـ: "المعلمون درسوا"، ويمكن أيضا تأخيره كـ: "درس المعلمون"، وعند نقله تنتقل معه المورفيمات الخاصة به، بينما المقيّدة لا يمكن نقلها وإنما تبقى مرتبطة بالمورفيم الاشتقاقي، مثل: الألف واللام في كلمة: "المسلم"، والنون في كلمة: "المسلمون"، وبهذا فإنّ هذا النوع من السّياق يهتم بهذه المورفيمات إذا كانت لها صلة بالسياق التركيبي، وانطلاقا من ذلك تمارس مهمتها داخل النص، كأحرف المضارعة.

تقوم البنية الصرفية في اللغة العربية الفصحى على ثلاثة ركائز هامة وهي([3]):

[1]- عفاف بن بوط، مستويات السياق اللغوي وأثره في توجيه المعنى- معلقة "عبيد بن الأبرص" أنموذجا-، ص. 31

[2]- فاطمة الشيدي، المعنى خارج النص أثر السّياق في تحديد دلالات الخطاب، ص. 32

[3]- ينظر تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص. 82

. مجموعة من المعاني الصرفية التي يرجع بعضها إلى تقسيم الكلم، ويعود بعضها الآخر إلى تصريف الصيغ.

. طائفة من المباني بعضها صيّغ مجردة، وبعضها لواصق، وبعضها زوائد، وبعضها مباني أدوات، وقد يدل على المبنى دلالة عدمية بالحذف أو الاستتار.

. طائفة من العلاقات العضوية الإيجابية وهي وجوه الارتباط بين المباني، وطائفة أخرى من القيم الخلافية أو المقابلات، وهي وجوه الاختلاف بين هذه المباني.

تعدّ هذه الركائز دعائم أساسية ينبغي على اللغة العربية الفصحى أن تعتمد عليها، لتحقيق مفردات سليمة دلاليا، فالسياق الصرفي يهتم بدراسة بنية الكلمة، أي "دراسة المفردات لا بوصفها صيغاً أو ألفاظاً فقط، وإنما بحسب ما فيها من خواص تفيد في خدمة الجملة أو العبارة"([1])، ومعنى ذلك أنّ هدف السياق الصرفي هو دراسة المفردات لا على مستوى اللفظة فقط، وإنما يتعداه إلى ما يفيد الجملة، ولهذا اعتبر "بلومفيلد" "الكلمة هي أقلّ وحدة حرة، أي أصغر وحدة يمكن أن توجد منفردة، واقترح كذلك بأنه يجب أن ننظر إلى الوحدات التي تقل عن الكلمات ولا توجد منفردة وتحمل معنى على أنها المورفيم ... تتمثل في المثال الآتي: كتب وكاتب ومكتوب، وهل نعتبر الوزن وحدة أقل من الكلمة، لأنّ له معنى ولكنه لا يوجد منفرداً"([2])، بمعنى أنّ الكلمة هي أصغر وحدة لغوية يمكن أنْ ترد مستقلة ومنفردة تحمل معنى معين، ولقد اقترح "بلومفيلد" أنه لابد من النظر إلى الوحدات التي هي أقل من الكلمات، أي المورفيمات، للوصول إلى المعنى الذي تحمله، فعلى سبيل المثال: كتب وكاتب ومكتوب، والتي جاءت على صيغة الأوزان الصرفية: فعل، فاعل، ومفعول، وبهذا فالوزن عنده أقل من الكلمة، وتحمل في مضمونها معنى، ولا يمكن أن يأتي لوحده منفرداً.

[1]–خليل خلف بشير العامري، "السياق أنماطه وتطبيقاته في التعبير القرآني"، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، البصرة، مج. 9، ع. 2، 2010، ص. ص. 11، 12

[2]– صلاح الدين صالح حسنين، الدلالة والنحو، ص. 53

فالسّياق الصرفي يدرس بنية الكلمة من خلال ما يسبقها وما يلحقها من حروف زيادة، وهذه الزيادات كلما زيدت على كلمة أدت إلى تغير في المعنى، "فالمبنى الواحد متعدّد المعنى ومحتمل كلّ معنى مما نسب إليه وهو خارج السّياق"([1])، وعلى هذا تعدّ الفاء والعين واللام – الأصل- أي الجذر الثلاثي للكلمة، بينما تعدّ الكلمة التي زيدت عليها حروف الزيادة "الفرع"، وعلى سبيل المثال: كلمة سقى، عطر كلمات تعتبر الأصل، وهي على وزن فَعَلَ، وإذا أدخلنا عليها بعض أحرف الزيادة فإنّ المعنى سيتغير، نحو ذلك:

. "اسْتَفْعَلَ": والتي تدل على كثرة الطلب، نحو: سقى- استسقى.

. "مِفْعَالٌ": والتي تدل على كثرة المبالغة في الشيء، نحو: عطر- معطار.

يمثل السّياق الصرفي تنوع الوحدات الصرفية في أيّ تركيب لغوي، وتبعاً لذلك تتنوع دلالتها:

. فصيغ اسم الفاعل تدل على الفاعلية (من قام بالفعل)، مثل:

. ضَرَبَ على وزن فَعَلَ: ضرب ⟵ ضَارِبٌ ⟵ اسم فاعل جاء على وزن فَاعِلُ.

. وصيغ اسم المفعول تدل على المفعولية (ما وقع عليه الفعل الفاعل)، مثل:

. وَعَدَ على وزن فَعَلَ: ضرب ⟵ مَوْعُودٌ ⟵ اسم مفعول جاء على وزن مَفْعُولٌ.

. وكذلك صيغ المبالغة والتفضيل، فكل واحدة دلالتها وتأثيرها في الكلام.

ج- السياق النحوي (علم النحو):

يمثل النحو العربي المعاصر معيارًا لغويا يعتمد عليه المتكلمون، لتحقيق التفاهم والاتصال المتنوع فيما بينهم، والتعبير عن سائر أغراضهم، بحيث يقوم بتحليل بنية الجملة تحليلاً لغويا، لإبراز عناصر تركيبها واندماج هذه العناصر مع بعضها البعض، للكشف عن معنى يفيد تلك الجملة، وذلك من خلال مراعاة السّياق الذي

[1]- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص. 163

وردت فيه "فالسّياق النحوي هو معيار تحديد الدلالة، فالمعنى المعجمي قد يتعدّد للكلمة الواحدة، بل قد تعني الكلمة المعنى وضدّه ولا يتحدّد هذا إلاّ بالسّياق"([1]).

إنّ تحديد موقع كلمة ما في التركيب يعين على تحقيق دلالتها أو معناها، فقد يكون للكلمة الواحدة عدّة معان، وذلك عند ورودها في سياقات مختلفة، فهناك الوظيفة النحوية لكل كلمة داخل الجملة، ولو لم يؤد تغيير مكان الكلمات في الجملة (تغيير الوظيفة النحوية) إلى تغيير المعنى، ما كان هناك فرق بين قولك: طارد الكلبُ القطَ، وطارد القطُ الكلبَ.""([2])، ويفهم من هذا أنّ الوظيفة النحوية تتمثل في المهام التي تؤديها الوحدات اللغوية في سياق جملة معينة، فترابط هذه الوحدات مع بعضها البعض ضمن تركيب معين، وأخذها لكل منها موقعها الخاص، بمراعاة نظامها النحوي، وذلك لتحدّد وظيفتها النحوية، ففي الجملة الأولى يتّضح أن الكلب هو من يطارد القط، بينما في الثانية العكس، فتغير موقع الكلمة في الجملة يؤدي إلى تغير الوظيفة النحوية، وعلى سبيل المثال: كلمة: "أحمد" تتغير وظيفتها حسب الموقع الذي تأخذه في التركيب، من ذلك:

- أحمد تلميذ ذكيّ ⟵ موقع كلمة "أحمد" في هذا المثال ورد مبتدأ.
- حضر أحمد درسه ⟵ موقع كلمة "أحمد" في هذا المثال ورد فاعلا.
- رأيت أحمد بين زملائه ⟵ موقع كلمة "أحمد" في هذا المثال ورد مفعولا به.

فالسّياق لا يقتصر فقط على بيان موقع الوحدات اللّغوية داخل التركيب، إذ لابد من تحديد معناها لأجل تحقيق وظيفتها النحوية، "قد تتفق كلمات الجمل المتشابهة، ولكن يكون الاختلاف في توزيع المعلومات القديمة (الموضوع) والجديد (المحمول) مثل ([3]):

[1]- عبد بلبع، السياق وتوجيه دلالة النص، ص. 150

[2]- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص. 13

[3]- المرجع نفسه، ص. ص. 13، 14

- الثعلب السّريع البني كاد يقتنص الأرنب.
- الثعلب البني الذي كاد يقتنص الأرنب كان سريعًا.
- الثعلب السّريع الذي كاد يقتنص الأرنب كان بنيّا.

يتبيّن من خلال هذه الأمثلة أنّ هذه التراكيب تحمل الكلمات نفسها، ولكن عند تغيّر مواقعها في الجملة يصاحبها تغير في المعنى، فالجملة الأولى تركز على الفريسة التي كاد أن يقتنصها الثعلب، أما الجملة الثانية كان التركيز على سرعة الفريسة، بينما الجملة الأخيرة كان التركيز على لون الفريسة، وبهذا فتغير مواقع الكلمات أدى إلى تغير دلالتها.

يقوم النظام النحوي في اللغة العربية على عدّة ركائز أساسية في بناء التراكيب اللغوية، وهي([1]):

. طائفة من المباني النحوية العامة التي تسمّى معاني الجمل أو الأساليب.

. مجموعة من المعاني النحوية الخاصة أو معاني الأبواب المفردة، كالفاعلية والمفعولية والإضافة وغيرها.

. مجموعة من العلاقات التي تربط بين المعاني الخاصة حتى تكون صالحة عند تركيبها لبيان المراد منها، وذلك كعلاقة الإسناد والتخصيص (وتحتها فروع)، والنسبة (وتحتها فروع)، والتبعية (وتحتها فروع أيضا)، وهذه العلاقات في الحقيقة قرائن معنوية على معاني الأبواب الخاصة، كالفاعلية والمفعولية.

. ما يقدمه علما الصوتيات والصرف لعلم النحو من قرائن صوتية أو صرفية، كالحركات والحروف ومباني التقسيم ومباني تصريف.

. القيم الخلافية أو المقابلات بين أحد أفراد كل عنصر مما سبق وبين بقية أفراده.

بناء على هذا فإنّ السّياق النّحوي يتقاطع مع المستويات الأخرى (الصوتي، الصرفي، الدلالي)، وذلك لكونه يساهم في تحديد المعاني النحوية المستفادة من الجمل والأساليب، فمن المستحيل الاستغناء عن العناصر

[1]-تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص. 178

النحوية لما لها من أثر في تبيان دلالة السّياق النصّي، "ولا يمكن بحال نكران تأثير دلالة سياق النّص اللّغوي، وسياق الموقف الملابس له على العناصر النّحوية من حيث الذّكر والحذف، والتقديم والتّأخير، التعريف والتّنكير...أحوال الإسناد الخبري وأحوال المسند إليه، وأحوال المسند، وأحوال متعلقات الفعل والقصر والفصل والوصل، الخبر والإنشاء والإيجاز والإطناب والمساواة([1])، وعلى سبيل المثال:

– التقديم والتأخير، نحو: قتل الصّياد الأسد، وقتل الأسد الصّياد. فالجملة الأولى دلّت على أنّ القاتل هو الصّياد (الإنسان)، أما المقتول فهو الفريسة (الأسد)، أما الجملة الثانية فحدث فيها تقديم وتأخير بين الوحدات اللّغوية، وصاحب ذلك تغيرا في المعنى، فأصبح الصّياد مقتولاً، والأسد قاتلاً، وبهذا فإنّ تغيّر مواقع الكلمات داخل التركيب أدّى إلى تغيّر دلالتها ومعناها.

– أسلوب الاستفهام، نحو: كم كتاباً قرأتَ؟ فهذه الجملة دلّت على السؤال والاستفسار عن شيء لا يعلمه السّائل، أي يستفسر عن عدد الكتب التي قرأها.

– أسلوب التّعجب: نحو: ما أجمل فصل الربيع؟ فهذه الجملة دلّت على تلهّف الشخص لفصل الربيع وتفضيله عن الفصول الأخرى، بمعنى آخر التعبير عن دهشته ومدى إعجابه بهذا الفصل.

– المسند والمسند إليه، نحو: زيد أخوك، زيد في الجملة ورد مبتدأ وهو المسند إليه، وأخوك ورد خبرا وهو المسند، فبينهما علاقة إسنادية لا يستغنى الأول عن الآخر، فوجودهما معاً يحدّدان الغرض من الكلام.

من هنا فإنّ تغير مواقع الكلمات في التركيب، تبعاً لما يصاحبها من قواعد نحوية، تساعدها في تنظيم الكلام وترتيبه، والوصول إلى الغرض المقصود منه، فالكلام "شبكة من العلاقات القواعدية التي تحكم بناء

[1]– محمد حماسة عبد اللّطيف، النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي– الدلالي، دار الشروق، القاهرة، ط. 1، 2000، ص. 113

الوحدات اللّغوية داخل النص، وفيها تقوم كل علاقة بمهمة وظيفية، تساعد على بيان الدلالة من خلال القرائن النحوية، كالإعراب الذي يعتبر قرينة سياقية تتعاون جاهدة مع غيرها في رسم شبكة البيانات الدلالية"([1]).

د- السّياق المعجمي:

يعدّ السّياق المعجمي المظهر الرابع من مظاهر السّياق اللّغوي، فمن المعروف أنّ في النص ألفاظ غامضة ومضامين مبهمة، فلكل منها معنى معجمي ومعنى سياقي، يتحدد من السّياق ذاته، ومعنى هذه الألفاظ تُستقى من المعاجم، لكونها تحتوي على الكثير من معاني الكلمات، التي لا يصعب على الفرد فهمها واستيعابها، والمعجم "كتاب يضم أكبر عدد من مفردات اللّغة مقرونة بشرحها وتفسير معانيها على أن تكون المواد مرتبة ترتيباً خاصاً، إما على حروف الهجاء أو الموضوع والمعجم الكامل هو الذي يضم كل كلمة في اللّغة مصحوبة بشرح معناها واشتقاقها وطريقة نطقها وشواهد تبين مواضع استعمالها"([2])، فالمعجم يحوي مفردات اللّغة مرتبة ترتيباً خاصاً، إما حسب الحروف الألف بائية أو حسب الموضوع، والتي تحمل شروحات لها.

ترجع أهمية المعجم إلى أنه يحتوي على معاني الكثير من الألفاظ، التي لا يمكن أن يحيط بها فرد واحد من أفراد تلك اللّغة، مهما بلغ حرصه على استقصاء وبحث هذه الكلمات، ومفردات اللّغة تتوزع بين أفراد المجتمع، فكل واحد بحسب بيئته وثقافته، نحو ذلك: كلمة "الطشاش" فهي كلمة مبهمة وغامضة يصعب على القارئ فهمها واستيعابها، وذلك إلاّ بعد اللجوء إلى المعجم لمعرفة معناها، والتي تدل على "ضعف البصر"، فوظيفة المعجم تكمن في([3]):

. المحافظة على سلامة اللّغة.

[1]- فاطمة الشيدي، المعنى خارج النص أثر السّياق في تحديد دلالات الخطاب، ص. 32

[2]- عبد القادر أبو شريفة، علم الدلالة والمعجم العربي، دار الفكر، عمان، ط. 1، 1989، ص. ص. 113، 114

[3]-المرجع نفسه، ص. 114

. جعل اللّغة قادرة على مواكبة العلوم والفنون.

. الكشف عن معاني الألفاظ المجهولة والغامضة.

. معرفة ظواهر لغوية كالمشترك اللفظي والأضداد.

. معرفة أصل الفظ واشتقاقاته.

. تاريخ اللفظ وتطوره واختلاف استعماله.

. معرفة كون اللفظة عامية أو فصيحة.

. الوقوف على ألفاظ مهجورة غير مستعملة.

لا يمكن تحديد معنى الملفوظات إلاّ من خلال السّياق الذي استخدمت فيه، فالسياق مستوى من مستويات التحليل اللّغوي وفيه تتحدّد دلالة الكلمة، ولذلك لا يمكن معرفة معنى الكلمة ووظيفتها إلاّ بوجودها في سياق لغوي معين "وتأتي علاقة السّياق بالمعنى من كون العديد من الملفوظات لا يمكن تحديد معناها بدقة إلاّ بمعرفة سياقها الذي وردت فيه، فعادة ما يسأل شخص عن معنى كلمة، فيضطر إلى التساؤل عن سياقها الذي وردت فيه، وفي هذا الصدد يقول "بيير غيرو (Pierre Guirraud)": "إنّ الغموض الذي يلفّ العلامة المتعددة الدلالات يزول حين توضع في سياقها"([1])، وذلك يعني أنّه هناك علاقة قوية بين السّياق والمعنى، حيث أنّ المعنى كثيرا ما يظهر من خلال عناصر السّياق، فمعنى الكلمة في المعجم متعدّد، ومحتمل، لكن معناها في السّياق واحد لا يتعدد، وذلك لسببين، وهما([2]):

. وجود قرائن فيه تعين على التحديد (قرائن المقال).

. ارتباط كل سياق بمقام معيّن يحدّد عنده في ضوء القرائن الحالية.

[1]- علي أيت أوشان، السّياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، ص. 39

[2]- خليل خلف بشير العامري، "السياق أنماطه وتطبيقاته في التعبير القرآني"، ص. ص. 49، 50

إنّ اجتماع معاني المفردات وعلاقتها مع بعضها البعض داخل السّياق، يعين القارئ على إنتاج المعنى العام، والكشف عنه، من خلال النص الذي وردت فيه تلك المفردات، وهذا ما يعرف بالسّياق المعجمي "وهو مجموعة العلاقات الصوتية التي تتضافر من أجل تخصيص الوحدة اللّغوية ببيان دلالي معين، يمنحها القدرة على التركيب، وفق أنظمة اللغة المعينة. وهذه الوحدة تشترك في علاقات أفقية مع وحدات أخرى لإنتاج المعنى السياقي العام للتركيب"([1]).

بناءً على هذا فإنّ للسياق أنماطاً متعددة والتي تنطوي تحت نوعين رئيسين ومهمين وهما:

– السياق اللغوي (الداخلي)، والذي يندرج تحته مستويات متنوعة، والمتمثلة في السّياق الصوتي والصرفي (علم الصرف) والنحوي (علم النحو) والمعجمي.

– السّياق غير اللغوي (الخارجي)، والذي يتضمن السّياق النفسي (العاطفي الانفعالي) وسياق الموقف (المقام) والسّياق الثقافي (الاجتماعي).

1 . 2 . السّياق غير اللّغوي The non-linguistic context:

يتمثل هذا السّياق في الظروف والملابسات الخارجية عن اللّغة، والذي يكمن دوره في إنتاج النصوص واستقبالها، وذلك استناداً إلى الدلالات الخارجية، ففهم النص وإعطاء مدلوله لا يتوقف على جمالية الوحدات اللغوية، ومدى ترابطها على شكل تراكيب، وإنما الظروف الخارجة عن نطاق اللّغة تعين في توضيح دلالته، يقول "المهدي إبراهيم الغويل": "إنّ تفهم أبعاد العمل الأدبي وتعمق دلالاته لا يتمّان بالوقوف عند جماليات الألفاظ وتراكيبها فقط، بل لابد من الاهتمام بالجوانب الأخرى الخارجة عن نطاق اللّغة التي تساعد على تفهم العمل

[1] – فاطمة الشيدي، المعنى خارج النص أثر السّياق في تحديد دلالات الخطاب، ص. 32

وتعمق دلالته وتوسع من نطاق تأملنا لهذا العمل. فكما أنّ للمعنى في العمل الأدبي علاقته القوية بالبناء اللّغوي للعبارة وكذلك له علاقته بالقرائن الخارجية التي تعدّ بمثابة التربة التي استنبت فيها"([1]).

إنّ السّياق غير اللغوي متعلق بالظروف والملابسات الخارجية المحيطة بالنص، يقول "أولمان"،"أن السّياق اللغوي هو السّياق الأمثل لدراسة المعنى وضمن السّياق اللغوي نجد ما يسمى بالمصاحبات اللفظية أو التلازم اللفظي ([2])، أي أنّ دور السّياق اللغوي يكمن في تحديد المعنى وتوظيفه، وإزالة الغموض والإبهام الذي يعتري اللفظة، ولا بد من النظر أيضا فيما يحيط بإنتاجها من ظروف وملابسات، أي المقام الذي قيل فيه الكلام بجميع عناصره، من متكلم ومستمع، وغير ذلك من الظروف المحيطة والمناسبة التي قيل فيها ذلك الكلام "ويشمل أيضا جملة من الملابسات والأحوال والظروف القائمة في الإطار الزماني والمكاني لعملية التخاطب، لكن المشكلة هي استحالة حصر القرائن الخارجية على التعبير الحرفي للغة، لأنها كثيرة ومتشعبة وغير خاضعة لمعيار معين ([3])، بمعنى أنّ السّياق غير اللغوي هو الملابسات والأحوال التي تصاحب النص وتحيط به، أو هو كلّ ما يحيط باللفظ من ظروف تتصل بالمتكلم والمستمع والمكان والزمان الذي قيل فيه هذا الكلام، فكلّ هذه الظروف تعطي لهذا الكلام أو الأحاديث دلالتها التي يولّدها هذا النوع من السياق، الذي يهتم بالعوامل الخارجية، أي ظروف إنتاج النص، والمتمثلة في الزمان والمكان والثقافة، أي ثقافة أو فكرة المتلقي والمستمع.

أشار "فيرث" إلى أنّ المعنى يتحقق عن طريق هذه الظروف الخارجية، "فالسياق يتحدّد وفق منظور تلك المرسلة، وما تقوم به من إعداد صياغي منظّم للرسالة، التي تهدف من ورائها إلى رصد، وتسجيل الأحداث في

[1]- المهدي إبراهيم الغويل، السياق وأثره في المعنى دراسة أسلوبية أكاديمية، ص. 109

[2]- نعيمة بوعافية، سياق الحال وأثره في توجيه الدلالة تفسير التحرير والتنوير، ص. 29

[3]- مراد حاج محند، السياق ودوره في استنباط الأحكام النقدية والتراثية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، كلية الآداب والعلوم لقسم الأدب العربي، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، 25 جانفي 2012، ص. 32

محيطها الخارجي، كما يعنى في صيرورته بمقتضيات الأحوال التي تدونها تلك الصياغة، لتحقيق عملية التواصل ضمن منظومة العلاقات السياقية، والضمنية التي يوحي بها ذلك السياق"([1])، إذْ أنه لا يمكن غضّ النظر عن القرائن والظروف الخارجية، لأنها تساهم في تحديد المعنى وتوضيحه، فدراسة المعنى لا يتوقف فقط على دراسة الوحدات اللّغوية، بل حتى العناصر الخارجية الأخرى لها وظيفتها في توصيل ما يُرادُ به إلى المتلقي، وبذلك يتحقق التواصل بين الطرفين.

من هنا فللسياق غير اللّغوي أهمية كبيرة، والتي تكمن في معرفة مكانة وقيمة الجمل والعبارات، لما يوجد في النفس والمجتمع، "وتكمن أهمية الاطلّاع على السّياق الخارجي في معرفة قيمة العبارات ومدى إسهامها في فتح المجال لمعرفة أسرار النفس والمجتمع، وبهذا يكتسب النص إلى جانب جمال النسق – قيمته الفنية –"([2])، فالدراية بهذا النوع من السّياق يعين في دراسة النصوص والأعمال الأدبية وفهمها، وهذا اعتماداً على سياقها العام وبمساعدة الظروف والعوامل الخارجية المحيطة بالنص.

إنّ دراسة نص ما أو عمل أدبي ما، لابد الأخذ بعين الاعتبار ربط هذا النص أو العمل بمنتجه وسامعه والظروف الخارجية المحيطة به، فبدون هذا لا يكون عند المتلقي صورة كاملة عن هذا العمل، يقول "المهدي إبراهيم الغويل": "وخلاصة ما يمكن قوله هو أنّ دراسة النتاج الأدبي وتذوقه لا يمكن تحققهما التحقق الكامل إلاّ بربط هذا النتاج بمبدعه ومتلقيه والظروف الاجتماعية المنغمس فيها، لأنه بدون هذا الربط لا تتكون لدينا إلاّ صورة جزئية لا تتوافق وطبيعة الأدب"([3])، ومن هنا فالتطور الذي وصل إليه السياق لم يكن في الوحدات والعناصر اللّغوية فقط، وإنما الفضل يعود أيضا في إيضاح الدلالة للصيغة اللّغوية إلى جوانب أخرى كالملامح الفيزيولوجية

[1]- فاطمة الشيدي، المعنى خارج النص أثر السّياق في تحديد دلالات الخطاب، ص. 69

[2]- المهدي إبراهيم الغويل، السياق وأثره في المعنى دراسة أسلوبية أكاديمية، ص. 109

[3]- المرجع نفسه، ص. 110

النفسية التي تصاحب المتكلم، والظروف الخارجية المحيطة به، أي أنه "لم يعد يقتصر على الجانب اللّغوي في إيضاح دلالة الصيغة اللّغوية، وإنما وجدت جوانب أخرى قد تنحسم معها الدلالة المقصودة للكلمة، كالوضع والمقام الذي يحدث فيه التواصل أو الملامح الفيزيولوجية والنفسية للمتكلم التي تصاحبه"([1]).

بناءً على ما ورد سالفا فإنّ هذا النمط من السياق، تمثله جملة من العوامل والظروف والملابسات الخارجية والاجتماعية والحالة النفسية للمتكلم والمتلقي في الموقف الكلامي، فدراسة معنى النص لا يقتصر فقط على مجاورة الكلمات ومقابلتها لبعضها البعض، وإنما تجاوز ذلك إلى تحليل المعنى وتوضيحه، استناداً للوظائف اللّغوية والاجتماعية والملابسات الخارجية المحيطة بنص الكلام، وبهذا فإنّ هذا النوع من السياق يشمل ثلاثة أنواع من السياقات، والمتمثلة في السياق النفسي (العاطفي الانفعالي)، سياق الموقف (المقام)، السياق الثقافي (الاجتماعي).

1 . 2 . 1 . السياق النفسي (العاطفي الانفعالي):

يهتم بدراسة المعنى الذي يعبر من خلال شعور المتكلم، والذي يحدّد طبيعة استخدام الوحدات اللّغوية بين دلالتها العاطفية، فالمتكلم هنا يحدد قوته وانفعاله في ذلك، فيقتضي ذلك مبالغة لكي تكون طريقة أدائه كافية لشحن المفردات بالعديد من المعاني والدلالات الانفعالية والعاطفية، وبذلك فهو يتولى الكشف عن المعنى في الوحدات، ويختلف من شخص إلى آخر، وغالبا ما يعتمد هذا النوع من السياق على طبيعة المتكلم، فالكلام هو السبيل الواضح لإبراز عاطفة المتكلم، يقول "أحمد مختار عمر": "وأما السياق العاطفي فيحدّد درجة القوة والضعف في الانفعال، مما يقتضي تأكيداً أو مبالغة أو اعتدالاً. فكلمة LOVE الانجليزية غير كلمة LIKE رغم اشتراكهما في أصل المعنى وهو "الحب" وكلمة "يكره" العربية غير كلمة "ببغض" رغم اشتراكهما في

[1]– منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله و مباحثه في التراث العربي– دراسة–، ص. 89

أصل المعنى"([1])، فالكلام هو السبيل لإبراز عاطفة المتكلم وانفعاله، فينعكس على طريقة أدائه، وانطلاقا من ذلك يبين نوع الدلالة إذا كانت ضعفاً أو قوة أو انفعالاً والتي تفيد دلالته العاطفية بشكل خاص، فكلمة "الحب" تتعدد معانيها حسب درجة الانفعال، فحب الأم يختلف عن حب الأخ، وبالتالي تختلف معاني الحب باختلاف درجة الانفعال، بالرغم من أنهما يشتركان في أصل المعنى.

كما أنّ للغة أثر في التعبير عمّا يدور في مخيلة الفرد من أحاسيس وتعابير، فكلّ شخص يختلف عن الآخر في طريقة شعوره، وبذلك فإنّ تلك الألفاظ التي ترد في نص الكلام تؤدي وظيفة خاصة بالمبدع، و"بما أنّ اللّغة هي مادة التعبير عما يجول في ذهن الفرد من أفكار ومشاعر فقد تختلف من شخص إلى آخر، فهي تعدّ منعكساً لهذه الأفكار والمشاعر تخضع لها وتتلون بلونها، ولذا فإنّ الألفاظ في العبارة أو النص قد تتجاوز معانيها الإشارية ... وتؤدي هذه المعاني وظيفة تعبيرية خاصة... والغاية من دراسة هذا النوع من السياق – السياق النفسي– تتمثل في التفريق بين المعنى النفسي والمعنى المنطقي، فالمعنى النفسي يختلف باختلاف الأفراد فهو ذاتي يخالف المعنى المنطقي الذي يتميز بالموضوعية"([2]).

إنّ الهدف من دراسة السياق هو بيان الفرق بين المعاني النفسية والمعاني التي تعتمد على المنطق في تحليلاتها للتراكيب اللّغوية، فمن يهتم بدراسة السياق لابد أن يلتفت إلى طريقة الكلام وصوته والحالة الفيزيولوجية لمنتج الكلام، لكي لا يتعارض مع سياق الحال، وهنا لابد من النظر في الكلمة التي يوظفها في السّياق والأثر العاطفي والانفعالي الذي يتركه من خلال توظيفه لتلك الألفاظ. وهذا الأمر يعتمد على شعور وحس المتكلم التي يستشعرها أثناء أدائه وتوظيفه في السّياق، فـ "الكلام قبل أن يخرج إلى مستوى اللسان أو قبل أن يكتب على الورق يكون فكرة متخمرة في ذهن صاحبه ونفسيته، إلاّ أن مناط الاهتمام هنا يتركز حول الآثار التي يتركها المبدع

[1]– أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص. ص. 70، 71

[2]– المهدي إبراهيم الغويل، السياق وأثره في المعنى دراسة أسلوبية أكاديمية، ص. 112

على كلامه، لأن كل متكلم لا يستطيع التخلص من تأثير الخبرات والتجارب الكامنة في نفسه، بل ربما تصبح هذه الخبرات والتجارب هي المسيرة لعملية الإبداع فيتغلب الجانب الذاتي عن الجانب الموضوعي"([1]).

بهذا يمكن القول أن السياق العاطفي هو الانفعالية والعواطف التي لها صلة بالضعف أو القوة أو التفاعل، لكونه يحدّد دلالة الكلمة ويوضح طريقة استعمال وتوظيف هذه الكلمة، مع العلم أن الكشف عن هذا المعنى يختلف من فرد إلى آخر، أي حسب طبيعة المتكلم، فهو الذي "يحدّد دلالة الصيغة أو التركيب من معيار قوة أو ضعف الانفعال، فبالرغم من اشتراك وحدتين لغويتين في أصل المعنى، إلا أنّ دلالتها تختلف، مثل ذلك الفرق بين دلالة الكلمتين "اغتال" و"قتل"، بالإضافة إلى القيم الاجتماعية التي تحددها الكلمتان، فهناك إشارة إلى درجة العاطفة والانفعال التي تصاحب الفعل، فإذا كان الأول يدل على المغتال ... فإنّ الفعل الثاني يحمل دلالات مختلفة عن الأول وهي دلالات تشير إلى أنّ القتل قد يكون بوحشية وأن آلة القتل قد تختلف عن آلة الاغتيال فضلاً على أن المقتول لا يتمتع بمكانة اجتماعية عالية"([2]).

1 . 2 ـ 2 . سياق الموقف (المقام) Context of situation:

يعدّ سياق الموقف من مظاهر السياق غير اللّغوي، فالكلام أو الحدث الكلامي لا ينفصل عن الموقف والظروف التي قيل فيها هذا الكلام، ولهذا كان لزاماً على المتكلم أن يراعي هذه الظروف والمواقف "وإذا كان لهذه الظروف والمواقف هذا التأثير في النشاط اللّغوي فإنّ تحديد دلالة الكلام وتمثل مزاياه لا يتمان إلاّ بالرجوع إليها ومعرفة طبيعتها وقد جاء في العبارة المشهورة "لكل مقام مقال"([3])، فلكي يتحقق ويتضح المعنى لابد على المتكلم

[1]- المهدي إبراهيم الغويل، السياق وأثره في المعنى، ص. 113

[2]- منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي- دراسة-، ص. 94

[3]- المهدي إبراهيم الغويل، السياق وأثره في المعنى، ص. 129

أن يراعي المقام الذي سيق الكلام لأجله، لذا فإنّ لكل مقام مقالاً، وكلمة المقام يعنى بها "حصيلة الظروف الواردة في الوقت الذي تمّ فيه المقال، وما يعتري الموقف من ملابسات لها تأثير في الحدث اللّغوي"([1]).

ويعني سياق الموقف "الموقف الخارجي الذي يمكن أن تقع فيه الكلمة، مثل استعمال كلمة – يرحم- في مقام تشميت العاطس:- يرحمك الله- (البدء بالفعل) وفي مقام الترحم بعد الموت: -الله يرحمه- (البدء بالاسم)، فالأولى تعني طلب الرحمة في الدنيا، والثانية طلب الرحمة في الآخرة، وقد دلّ على هذا سياق الموقف إلى جانب السياق اللّغوي المتمثل في التقديم والتأخير"([2])، والمراد بذلك أنّ سياق الموقف هو السياق الذي يهتم بالعوامل الخارجية كالزمان والمكان الذي حدث فيه الكلام، بالإضافة إلى كل ما يحيط بالكلام، ولهذا عبّر عنه بصيغ مختلفة منها: المقام، الحال، والموقف، وكانت العرب تولي أهمية كبيرة لهذه الظروف والمواقف أثناء محادثاتهم حتى اشتهرت لديهم هذه المقولة الشهيرة: "لكل مقام مقال"، والتي تعني فهم ومراعاة كل ما هو متعلق ومرتبط بالكلام، إضافة إلى فهم بيئة المتكلم التي يقع فيها، فإنّ بعض الألفاظ أو العبارات لا تقال إلاّ في مواقف معينة فمثلاً شخص قال لصاحبه:

- "عظم الله أجرك "، فهذا يدل على موقف عزاء لوفاة أحد ما عزيز عليه (جنازة).
- "كل عام وأنت بخير"، دليل على موقف متعلق بمناسبة من المناسبات المباركة (عيد).
- "ألف مبروك"، فهذا يتعلق بأمر أو حدث سعيد حصل للمخاطب (التخرج).

من هنا فإنّ صورة المقال تختلف بحسب المقام الذي قيلت فيه، بحيث يمكن لمقال واحد أن يحمل عدّة دلالات، وذلك باختلاف المقامات التي قيلت فيه، فعبارة "يَا سَلاَمْ" . مثلا . صالحة لأنْ تدخل في مقامات كثيرة، فمن الممكن أنْ تقال في مقام للسخرية والتهكم والتوبيخ، ومقام الإعجاب والاستغراب وغيرها.

[1]- المهدي إبراهيم الغويل، السياق وأثره في المعنى، ص. 130

[2]- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص. 71

يتكون سياق الموقف من جملة من العناصر والتي تشكل حلقة متكاملة ومترابطة، أي أنّ أثناء العملية التخاطبية لابد من توفر المتكلم، كما يستدعي ذلك أيضا متلقي يتلقى ذلك الكلام لكي يتحقق التواصل، فكل واحد منهما يقوم بدور سياقي، ويستند بعضها على بعض "يمكن إطلاق حكم مفاده أن عناصر الموقف الرئيسية هي([1]): المتكلم، المخاطب، الكلام (النص)، معضدات الكلام، الزمان والمكان، وتعدّ هذه العناصر سلسلة مترابطة لا يمكن الفصل بينها، أي بين عنصر وعنصر آخر، وهذه العناصر عادة ما تكون داعماً وسنداً يعتمد عليها لبناء نص ما أو فهم مقصدية كلام ما.

1 . 2 . 3 . السّياق الثقافي (الاجتماعي)Context of culture:

يتميز هذا النوع من السّياق بمهام مستقل عن سياق الحال الذي يقصد به عادة المقام أو الموقف، وذلك من خلال المعطيات الاجتماعية الحضارية، إذ لا يمكن غضّ النظر عن هذا السياق ضمن معطيات المقام، وعادة ما يظهر السياق الثقافي أو الاجتماعي من خلال استخدام وحدات لغوية معينة في مستوى لغوي معين، وانطلاقا من ذلك تحدّد دلالة ومعنى الكلمة المستعملة المرتبطة بذلك السّياق، فصلة الترابط بين الكلمات التي استخدمت فيه تؤدي إلى انتمائها إلى حضارة معينة أو عرق، سواء كان دينيا أو سياسيا أو اقتصاديا، "فكلمة مثل loking glass تعتبر في بريطانيا علامة على الطبقة الاجتماعية العليا بالنسبة لكلمة mirror، وكذلك كلمة rich بالنّسبة لكلمة wealthy، وكلمة عقيلته تعدّ في العربية المعاصرة علامة على الطبقة الاجتماعية المتميّزة بالنسبة لكلمة زوجته مثلاً"([2]).

من هنا يفهم أن السياق الثقافي يحدّده المحيط الاجتماعي، ومفاهيم وتعابير هذا المجتمع تختلف باختلاف طبقات الأفراد، فمثلا كلمة عقيلته في المثال الذي ذكر في قول "أحمد مختار عمر" يختلف شرحه باختلاف

[1]- ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، ص. 598

[2]- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص. 71

الطبقات التي يعيشون فيها، فلو وضعت الكلمة في سياقها الأصلي لكان مفهوما متفقا، بالرغم من وجود الاختلاف بين طبقات الأفراد، وهذا باعتبار السياق الذي تتخلله القرائن.

بهذا فإن السياق الثقافي هي النّظم والعادات التّي تحيط بالوحدة اللّغوية (الكلمة)، وانطلاقا من هذا تأخذ دلالة معيّنة، فـ "هي القيم الثقافية والاجتماعية التي تحيط بالكلمة إذ تأخذ ضمنه دلالة معيّنة. وقد أشار علماء اللّغة إلى ضرورة وجود هذه المرجعية الثّقافية عند أهل اللّغة الواحدة لكي يتم التّواصل والإبلاغ، وتخضع القيم الثّقافية للطّابع الخصوصي الذّي يلوّن كلّ نظام لغوي بسمة ثقافية معينة([1]).

بناءً على هذا يعتبر السّياق الثّقافي القاعدة والنواة الأساسية التي تعين في عملية التّرجمة، إذ لا يمكن التّخلي عنه، بل على المترجم أن يعتمد السّياق الثّقافي للنّص، حتّى يتمكن في ترجمة مضمون النّص "فإذا اعتمد المترجم التّرجمة الحرفية في اللّغة لا يصل إلى المعنى المنشود، إلاّ بالاعتماد على السّياق الثّقافي ... وليس السّياق الثّقافي مجرد ألفاظ ساكتة وإنما متوالية لا نهائية من المعاني لأنه يتصل بثقافات أخرى"([2])، وبعبارة أخرى "فكلّ كلمة تكتسب دلالاتها وإيحاءاتها من التّجارب والأحداث الاجتماعية التّي تمر بها وعلى قدر ما تمرّ به من هذه التّجارب والأحداث تكتسب ظلالها الدّلالية وتترامى حدودها وتتضّح صورتها في الأذهان"([3]).

من هنا يمكن القول مهما كان العمل الأدبي أو إنتاج نص ما ذاتيا متعلّقا بالشّخص المبدع، فإنّه لا يمكن أن ينعزل عن النّظم والجوانب الاجتماعية التّي يتعايش صاحبها في البيئة التّي ولد فيها، "وإذا كانت البيئة الاجتماعية والثّقافية لها دور هام في ترسيخ القيم والأفكار العامة لدى الأفراد فإن لها نفس الدّور في اختيار طرائق التعبير والتفكير الخاصة بكل فرد حسب طبيعة تكوينه الثّقافي، إذ أنّ تفاوت طرائق التّعبير وتباين أفق الخيال بين

[1]- منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي- دراسة-، ص. ص. 94، 95

[2]-- ناريمان براح، النظرية السياقية في الدرس اللساني قديما وحديثا- دراسة مقارنة-، ص. 20

[3]- المهدي إبراهيم الغويل، السياق وأثره في المعنى دراسة أسلوبية، ص. 137

المبدعين مرجعه إلى التّجارب الشّخصية المكتسبة من البيئة، حيث تنعكس هذه التّجارب وما تحمله من خبرات خاصة على العمل الأدبي"([1])، أي السّياق الثّقافي الذي ينتمي إليه الكلام يمكن إيجاد كلمة واحدة لكن في مجالات أخرى، على سبيل المثال كلمة (الجذر) عند اللغويين العرب تعني الحروف الأصول، فكلمة (كتب) جذرها (ك، ت، ب)، أمّا عند علماء النّبات فيقصد منه جذر النّبات، وهو جزء غائر في الأرض، وبهذا فالمعنى يستقى حسب المجال الذّي وردت فيه.

2 ـ فاعلية السّياق في تحديد المعنى:

إنّ للسياق دور حاسم وفعّال في تبيان مفهوم الألفاظ وتوجيه معانيها، كما "يعدّ حجّة المحتج ومقصد الفهم في المعنى، فقد لا يجزي اللفظ عن المعنى المقصود، إلاّ بالقرائن أو بالسياق، لأنّ اللفظ يحتمل أوجها بالتعبير، كما أنه يصل إلى المتلقي بصورة مختلفة، فضلاً عن أنّ الوضع الذي يساق به الكلام له أثر واضح، ولذلك أولى علماء العربية الاهتمام به، كما أنّ السّياق دُرس في أمم مختلفة وبألوان مختلفة"([2])، ويفهم من هذا أنّ السّياق يساهم بشكل كبير في تحديد معاني الألفاظ، وقدرة المتلقي على فهمها واستيعابها، بمعنى أنّه يبحث في ترابط المعاني بألفاظها، وذلك لتوضيح معنى اللفظة بدقة، باعتبارها تحمل أوجها مختلفة أثناء التعبير عنها، ولتوضيح ذلك لابد من وضعها في سياقات متنوعة، وهذا ما يجعلها تكتسب معان متعددة.

يساعد السّياق القارئ على فهم المعاني المخفية في ثنايا النّص "وبما أنّ لكل نص سياقه، فإنّ التفاعل مع هذا النّص لا يتمّ إلاّ بموجب هذا السّياق الذي يشكل لدى المتلقي قوة ساحرة تؤثر فيه، وهذا ما يجعل السامع للقرآن يدرك لأول وهلة أنّه ليس كلاماً عادياً، وأنه متميز عن غيره من الكلام"([3])، يتضح من خلال هذا

[1]– المهدي إبراهيم الغويل، السياق وأثره في المعنى دراسة أسلوبية، ص. ص. 142، 143

[2]– علي حميد خضير، دلالة السياق في النص القرآني، ص. 29

[3]– المهدي إبراهيم الغويل، السياق وأثره في المعنى دراسة أسلوبية، ص. 20

أنّ هناك تفاعل بين النّص والسّياق، فالقارئ لا يستطيع فهم النّص، إلاّ إذا تعرّف على سياقه ومن ثم يحاول الكشف عن خفاياه وتحليل شفراته التي يتميز بها عن غيره من النصوص للوصول للمعنى الدقيق، فسامع القرآن سيدرك للوهلة الأولى أنّه ليس نصاً عاديا، إنّما هو- نص قرآني- والذي هو متميز عن غيره من النصوص، "فكلّ نص لابد أن يتسم بالتماسك بين المتواليات في داخله والسّياق يقوم بدور الربط بين أجزاء النص عن طريق تراكيب اللّغة أو عن طريق السّياق الخارجي للنص"([1])، فكل نص يختلف عن الآخر، فمثلاً النّص الأدبي يختلف عن النص القرآني، على الرغم من أنهما يتميزان بخاصية الترابط والتماسك بين التراكيب، وذلك من خلال العلاقات المختلفة، وكذا السّياق الذي يقوم بربط أجزاء هذا النّص، إما عن طريق ربط التراكيب اللغوية أو عن طريق السّياق الخارجي للنص.

والسّياق له دور عظيم أيضا في الكشف عن المعنى المراد، لما فيه من ترابط وتماسك بين الوحدات اللّغوية، ولقد عدّد "أولمان" أنماط لوظائف السّياق وذكرها فيما يلي([2]):

. السّياق وحده كفيل بتوضيح ما إذا كانت الكلمة ينبغي أن تحمل على أنها تعبير موضوعي صرف أو تعبير عاطفي انفعالي، ويتضح هذا في مجموعة معينة من الكلمات نحو: (حرية، عدل) فيما تشحن بمضمونات عاطفية وغيرها مما له مضمون مؤثر.

. السّياق وحدة أداة تعيين حدود ومجال الكلمة في أي موقف معين، ككلمة (انجليزي) التي يتسع مجال استعمالها باعتبارها مصطلحاً لغوياً عاماً منه مصطلحاً قومياً في مقابل (ايرلندي واسكتلندي).

---

[1]- المهدي إبراهيم الغويل، السياق وأثره في المعنى دراسة أسلوبية، ص. 41

[2]- نقلا عن فتحي إبراهيم عبد الله عثمان، السياق وأثره في تحديد دلالة المشتقات- دراسة تطبيقية في سورة يوسف -، رسالة ماجستير في اللغة العربية، تخصص دراسات لغوية ونحوية، كلية اللغات، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، 1436هـ/2015م، ص. ص. 14، 15

. السّياق وحده يوجّه دلالات الكلمات ذوات المعاني المركزية الثابتة في الاستعمال، فالسياق يحدّد المقصود بكلمة (قريب) قرابة رحم أو مسافة.

. السّياق وحده قادر على تحديد معنى واحد من بين معاني الكلمة خارج التركيب، مثل الفعل: (أدرك)، الذي يحمل معاني متعددة وغير محددة تؤدي إلى الغموض، وبمراعاة السّياق الواقع فيه الفعل يتأكد المقصود (لحق) أو(عاصره) أو(رأى) أو(بلغ).

. السّياق وحده يكشف المقصود من الكلمات المتفقة النطق مثل: SEA / SEE، وهو ما يسمى بالمشترك اللفظي الذي يتلاشى غموضه وصمام الأمان الذي يتمثل في السّياق.

تعدّ هذه أهم الوظائف الأساسية التي أشار إليها "أولمان"، والذي اعتبر السّياق من بين الوسائل الفعّالة التي تعين القارئ على فهم معاني الكلمات التي ترد في سياق معين، وبناءاً على هذا فإنّ للسياق دور بارز في فهم النص واستيعابه، وذلك نظراً للأهمية التي يحملها في تحديد دلالة المفردات داخل الجملة، حيث يساهم في إزالة الغموض والإبهام عنها، ويضبط دلالتها فالقيمة الدلالية للمفردات تكمن في معناها، وانطلاقاً من هذا تتضح أهمية السّياق فيما يلي:

. لم يعد يقتصر السياق على الجانب اللغوي في إيضاح دلالة الصيغة اللغوية، وإنما يضاف إليها جوانب أخرى كالوضع والمقام الذي يحدث فيه التواصل أو الملامح الفيزيولوجية النفسية للمتكلم([1])، فدراسة المعنى تتطلب تحليلاً واعياً لمختلف السياقات والمواقف التي ترد فيها الألفاظ، حتى ما كان منها غير لغوي، كطبيعة الكلام ودلالاته المختلفة وأثره الفعلي على المتلقي، وشخصية المتكلم والمتلقي والظواهر اللغوية الاجتماعية المحيطة بالنص.

. "السياق هو المعنى الذي يؤديه النص، ولا ينكر أنّ دلالات السّياق تجعل الجملة ذات الهيئة التركيبية الواحدة بمفرداتها نفسها إذا قيلت بنصها في مواقف مختلفة، تختلف باختلاف السياق الذي ترد فيه مهما كانت بساطة

[1]- ينظر منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي- دراسة-، ص. 93

الجملة."([1])، فالكشف عن المعنى لا يكون إلاّ بوضع الألفاظ في سياقات مختلفة، إذ يتحصل المعنى بحكم العلاقة بين الألفاظ وما يجاورها.

[1]- أحمد مصطفى أحمد الأسطل، أثر السياق في توجيه شرح الأحاديث عند ابن حجر العسقلاني، رسالة ماجستير في علم اللغة الحديث، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، الجامعة الإسلامية غزة، 2011، ص. 126

الفصل التطبيقي:

السياق في الفروق اللغوية.

. المبحث الأول: نبذة تاريخية شاملة على المؤلف وعن الكتاب.

1 . التعريف بمؤلف "الفروق اللّغوية".

2 . كتاب الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري:

. المبحث الثاني: مقاربة دلالية لكتاب الفروق اللّغوية.

1 . معايير أبي هلال العسكري الدلالية.

المبحث الأول: نبذة عن حياة "أبي هلال العسكري وكتاب "الفروق اللغوية".

1 . التعريف بمؤلف "الفروق اللّغوية":

1 . 1 . حياته وسيرته:

يعدّ "**أبو هلال العسكري**" من أئمة البلاغة وعلوم العربية، ومن أبرز العلماء الذين عملوا على تبيان الفروقات بين الألفاظ المترادفة، معتمداً في ذلك على مجموعة من المعايير الدلالية، إذ قام بتأليف العديد من المؤلفات، ومن بين هذه المؤلفات معجم "الفروق اللغّوية"، الذي صنّفه في مفردات اللّغة ومعانيها، **ف "أبو هلال العسكري** "هو الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري أبو هلال، الشاعر الناثر الأديب الفقيه، عارفوه بالعلم والفقه معاً، وكان الغالب عليه الأدب والشعر، وذكروا أنّه كان ابن أخت "**أبي أحمد العسكري**"، وأنه تتلمذ عليه، ووافق اسمه اسم شيخه، واسم أبيه، وهو عسكري أيضا، وكلاهما ينتمي إلى "عسكر مكرم" من كور الأهواز، ووصفوه بالعلم والعفة، فكان يذهب إلى السوق احترازاً من الطمع والدناءة والتبذل، ويبيع الثياب، حين رأى بضاعته من الأدب كاسدة أمام رواج بضاعة خاله وأستاذه"([1]).

لقد قضى "**أبو هلال العسكري**" أغلب أيام حياته في "عَسْكَرْ مُكْرَمْ"، وهي المدينة التي ولد فيها، والتي ذكرت في أغلب أبياته الشعرية، ولقد أشار محقّق كتاب "الوجوه والنظائر" إلى ذلك فقال: "ولد أبو هلال العسكري في بلدة – عسكر مكرم–، وهي بلدة من كورة الأهواز في بلاد فارس شرق العراق، والذي أطلق عليه اسم العسكري نسبة إلى بلده، عاش أبي هلال العسكري في القرن الرابع للهجرة وهو من أزهى عصور الحضارة

[1]– ينظر أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، تح. محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة، (د. ط)، 1997، ص. 10

العربية، وأغناها في العلم والثقافة"([1])، ويعد "أبو أحمد العسكري "و"**أبو هلال العسكري**" من العلماء اللذين أنجبتهم هذه المدينة وحاولوا تطويرها والمحافظة على تراثها، حيث "أخذت هذه المدينة تنمو وتزدهر، وتعمر بالناس، حتى كان من أبنائها العلماء الأعلام، الذين كانت لهم اليد الطولي في خدمة العلم، وحفظ تراث العروبة، حتى أدوه إلى الأمة العربية، وأضافوا إليه ما لديهم من معرفة، وما وهبوا من قدرة على التذوق والتصرف"([2]).

هناك العديد من المؤلفات لم يرد فيها تاريخ ميلاد ووفاة "**أبي هلال العسكري**"، فقد ذكرت بعض المصادر أنه ولد سنة (310هـ) وعاش في القرن الرابع الهجري، وهو . وحسب ما أثبتته الدراسات . العصر الذي تميز بإلمام علمائه بالعلوم اللغوية والشرعية والفلسفية، وذلك بسبب كثرة المجالس واستماع العلماء لبعضهم البعض، وكثرة الترحال([3])، وأمّا وفاته فقد أشار إليه بعض اللغويين في أقوالهم، ومن هؤلاء "ياقوت الحموي الرومي"، يقول: "وأما وفاته فلم يبلغني فيها شيء غير أني وجدت في آخر (كتاب الأوائل) من تصنيفه: وفرغنا من إملاء هذا الكتاب يوم الأربعاء لعشر خلت من شعبان سنة خمس وتسعين وثلاثمائة"([4])، وبهذا فإنّ الكثير من المصادر القديمة القليلة لم تحدّد متى ولد، ولا متى توفي "**أبو هلال العسكري**"، وذلك بسبب بعده وانعزاله عن الدنيا، واهتمامه بالعلم الذي سلب له كل وقته.

---

[1]- ينظر أبو هلال العسكري، الوجوه والنظائر، تح. محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط. 1، 2007، ص. ص. 12،13

[2]- بدوي أحمد طبانة، أبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية، مطبعة مخيمر، القاهرة، ط .1، 1952، ص. 21

[3]-ينظر نجوى حفصة ووسيلة وسطاني، ظاهرة الترادف في كتاب الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري، مذكرة لنيل شهادة الماستر، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، 2018،2019، ص. 28

[4]- ياقوت الحموي الرومي، معجم الأدباء، ج. 1، تح. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط. 1، 1993، ص. 921

كان "**أبو هلال العسكري**" لا يملك ما يكفيه للعيش بهناء أو ما يسدّ رمقه، لذلك اضطر لكسب الرزق عن طريق بيع وشراء الكتب، بالرغم من أنّ هذه المهنة لا تليق به ولا بأدبه، وظل يبزز في قوله ([1]):

جُلُوسِي فِي سُوقٍ أَبِيعُ وأَشْتَرِي دَلِيلُ عَلَى أَنَ الأنَـــامَ قُرُودُ

وَلاَ خَيْرَ فِي قَومٍ تَذُلُ كَرَامَهُمْ ويَعْظَمُ فِيهِمْ نَذْلُهُمْ ويَسُـــودُ

وتَهْجُــوهُمْ عَنِي رَثَــاثَةَ كِسْوَتِي هِجَــاءَ قَبِيحــاً مَا عَليهِ مَزِيدُ

وكان "**أبو هلال العسكري**" مهتما بالعلم وتأليف كتب متنوعة المواضيع، على الرغم من قلة الإمكانيات، إلاّ أنه ظل يحاول ولم يستسلم، ولكن أحس بأنّه لم يأخذ حقه من نعمة الحياة، وهذا ما جعله يتألم ويحس بالحسرة على ما فاته "وكان من نتائج ترفع أبي هلال بنفسه، واحترازه من الطمع أنه عاش في ضيق وإقتار وقلة من المال، وكان مع ذلك يعرف نفسه ومكانته في العلم، ويحس في قرارة نفسه أنه لم يأخذ حقه من نعمة الحياة وبهجتها وكان يألم لذلك أشد الألم، ولكن الألم ما كان يجديه نفعاً، ولا يغنيه شيئاً، فكان ينفت آلامه في شعره، كما في هذه الأبيات ([2]):

إِذَا كَانَ مَالِي مَالَ مَنْ يَلْقِطُ العَجَمِ وحَالِي فِيكُمْ حَالَ من حَاكَ أَو حَجَمَ

فَأَيْنَ انْتِفَاعِي بِالأَصَـــــالَةِ والحَجِي ومَـــــا رَبِحْتُ كفَي من العِلْمِ والحُكْمِ

ومَنْ ذَا الذي في النَاسِ يُبْصِرُ حَالَتِي فَلاَ يُلْعَنُ القَرْطَـــــــاسُ والحِبْر والقَلَمْ.

لقد كان من بين العلماء الكبار المهتمين باللغة وبالخصوص الشعر والأدب، حيث "كان عارفا باللغة ويعد عالما من علمائها الكبار. وكان مشغوفاً بالدرس والبحث ومطالعة الكتب. ولذلك كان يحب فصل الشتاء

[1]- أبو هلال العسكري، ديوان المعاني، ج. 1، مكتبة القدامى، القاهرة، (د. ط)، 1352 هـ، ص. 3

[2]- أبو هلال العسكري، التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، تح. عزة حسن، دار طلاس، دمشق، ط. 1، 1969، ص. ص. 12، 13

ولياليه الطويلة الباردة، لأنه كان ينصرف فيها إلى الدرس والقراءة. وله قصيدة جيدة غريبة في مدح فصل الشتاء، وتفضيله على غيره من الأزمنة يقول فيها ([1]):

ولَيَـــــــــالِ أَطْلَن مُدَة دَرسِي مِثْلَمَا قَد مَدَدْنَ في عُمْر لَهَوِي

مَرّ لِي بَعْضَهَـــــا بِفِقهِ، وبَعْضُ بين شِعْر أخَذْتُ فيـــه ونَحْـو

وحَدِيثُ كَـــأَنَهُ عَقد ريّـــــا بتُّ أرْويهِ لِلْرِجَـــالِ وتَرْوِي

في حَدِيثِ الرِجَـــالِ رَوْضَـــةُ أَنَسبَـــاتَ يَرْعَى بِأَهْلِ نُبُل وَسَرْو

كانت شخصية **"أبي هلال العسكري"** قوية لها أثر عظيم في اللغة العربية، لما له من مميزات لها الفضل في براعته وتفوقه في درس الشعر والنثر وتعقب مذاهب الشعراء، ولا يكاد القارئ يرى في نثره عبارة غامضة، وإنما يمضي في الشرح باستعمال لغة سهلة، لكنه "لم ينتفع بأدبه ولا شعره، فلم يكسب مالاً ولا رزقاً، بل عاش حياته فقيراً معوزاً، متأسفاً على ضياع أدبه بين الناس وعلى حياته معهم، يقول في هذا الصدد ([2]):

إذَا كَانَ مَالِي مَالِ مَنْ يَلْقِطُ العَجَمَ وحَالِي فِيكُمْ حَالَ مَنْ حَاكَ أو حَجْمَ

فأَيْنَ انْتِفَاعِي بالأَصَـــالَةِ والحَجِى ومَـــا رَبِحْتُ كَفَي عَلى العِلْمِ والحَكَمِ

ومَنْ ذَا الذِي فِي النَاسِ يُبْصِرُ حَالَتِي ولاَ يَلْعَنَ القُرْطَـــاسَ والحِبْرِ والقَلَـــمِ

وكان يتاجر في الثياب لكي يكسب رزقه ويسدّ حاجاته "قال السلفي: (وكان يتبزز احترازاً من الطمع والدناءة) وقال الباخرزي في دمية القصر وقوله من مستطرف الأسجاع: (بلغني أنّ هذا الفاضل كان يحضر السوق، ويحمل إليها الوسوق، ويحلب در الرزق ويشري، بأن يبيع الأمتعة ويشتري، فأنظر كيف يحدو الكلام

[1]- ينظر أبو هلال العسكري، التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، ص. ص. 13، 14

[2]- ينظر أبو هلال العسكري، الفروق في اللغة، تح. لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط. 4، 1980، ص. 6

ويسوق، وتأمل هل غض من فضله السوق، وكان له في سوقة الفضلاء أسوة، أو كأنه استعار منهم لأشعاره كسوة"([1]).

بهذا فإنّ "**أبا هلال العسكري**" عالم من العلماء الكبار، عزيز النفس، قوي القلب، صابر، ومترفع عن الدنايا، ويعتمد على نفسه لكسب العيش، وذلك عن طريق بيع الثياب على الرغم من أنّ هذه المهنة لا تليق به وبأدبه، وثمة أمر لا يمكن إغفاله وهو أنه قضى شطراً كبيراً في حياته في الدرس والتأليف، واستطاع أن يضع مجموعة من المصنفات، متناولاً فيها مواضيعاً مختلفة، كاللغة والأدب، وكلّ مؤلفاته يذكر فيها أبيات شعرية من تأليفه، لكونها تفيد الأديب في ثقافته.

1 . 2 . شيوخه وتلاميذه:

كان "**أبو هلال العسكري**" من أبرز العلماء اللغويين والرواد الذين ساهموا كثيراً في مجالات البلاغة والنقد والأدب، وذلك كان بفضل شيخه "**أبي أحمد العسكري**"، وقد أخذ وتعلم منه الكثير، وتأثر بآرائه الأدبية والنقدية، ومهما يكن فثمة إشارات كثيرة في مصنفاته إلى أساتذته وشيوخه الذين كان لهم الفضل الكبير في تأليفه للكتب المتنوعة المجالات.

أ . شيوخه ([2]):

- "والده "**عبد الله بن سهل بن سعيد**"، و"**العسكري**" يقول: (وجدت بخط أبي رحمة الله، قال القناني القداحة بقية تبقى في القدر من المرق).

[1]- أبو هلال العسكري، الفروق في اللغة، ص. 7

[2]- سهيل محمد حسين جعفر الأرناؤوطي، الأساليب البلاغية في شعر أبي هلال العسكري، رسالة مكملة لدرجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، قسم اللغة العربية، كلية التربية، جامعة بغداد ابن رشد، 2010، ص. 18

- **"أبو أحمد العسكري"**، هو الحسن بن عبد الله بن سعيد بن إسماعيل بن يزيد بن حكيم العسكري أبو أحمد اللغوي، قال السلفي: (كان من الأئمة المذكورين في التصرف من أنواع العلوم والتبحر في فنون الفهوم، ولا شك في أنّ أبا أحمد العسكري الذي كان قريب **"أبي هلال"** هو خاله، فقد صحبه طويلاً وروى عنه كثيراً، قال القفطي وهو يتحدث عن أبي أحمد- له من الأتباع والأصحاب علماء أعلام كأبي هلال-)".
- **"الحسن بن سعيد بن يحي"** هو عم أبيه، يروى عنه **"أبو هلال"** في جمهرة الأمثال، وديوان المعاني.
- **"أبو القاسم عبد الوهاب بن إبراهيم بن محمد الكاغدي"** و**"أبو هلال"** يذكره في معظم مصنفاته.
- **"أبو القاسم بن شيران"**، وقد نعته **"العسكري"** في جمهرة الأمثال، الفقيه، وهو فقيه وأديب وراويه للأخبار، ويبدو أنّه من شيوخه القريبين إلى نفسه فهو يترحم عليه ويذكره بحب وإعجاب".

ب . تلاميذه([1]):

ذكر "الصفدي" في "الوافي بالوافيات" أنّ ممن روى عنه: أبو سعد السمان الحافظ بالري.

- أبو الغنائم بن حماد المقرئ إملاء.
- أبو حكيم أحمد بن إسماعيل بن فضلان العسكري.
- مظفر بن طاهر الأستري، وآخرون.

1 . 3 . ثقافته:

لا بد . وقبل الحديث عن ثقافة **"أبي هلال العسكري"** . من الإشارة إلى ثقافة أستاذه **"أبي أحمد العسكري"**، الذي ساهم بشكل كبير في تثقيف وتكوين عقلية **"أبي هلال العسكري"**، حيث "كان أبو أحمد عالماً باللغة حتى أقترن اسمه بها فقيل أبو أحمد اللّغوي، وفي تراجمه دلالة واضحة على طول باعه في اللّغة، والتبحر

[1]- أبو هلال العسكري، الوجوه والنظائر، ص. 13

في معرفة دقائقها تبحراً لم يتسن لكثير غيره من العلماء، وهو أديب متبحر في معرفة الأدب وفنونه. وله قدرة بارعة على التمحيص والنقد والموازنة واستخلاص عناصر الجودة وأسباب الضعف فيما يعرض من الروايات والأحكام التي اهتدى إليها أسلافه من النقاد والرواة"([1]).

لقد ورث "**أبو هلال العسكري**" كل هذه الثقافات عن أستاذه "**أبي أحمد العسكري**"، فحاول نقل علمه وتسجيله في مؤلفاته، فكان يعتمد عليه بشكل كبير، يقول "بدوي أحمد طبانة" في ذلك: "كان أبو هلال العسكري كما كان أستاذه أبو أحمد أديبا يجيد في فني المنظوم والمنثور، يعرف اللغة، ويعرف دقائق النحو، ويعرف أنساب العرب، ووقائعهم وأيامهم وأحوالهم العامة، فقد أخذا من كل فن بطَرَف كما يقول ابن خلدون"([2])، لذا فإنّ هذه العلوم اللسانية جعلت "**أبا هلال العسكري**" كاتباً وناقداً وعالماً لغوياً وأدبياً، وإضافة إلى ما يتميز به من ذوق رفيع، وجودة إنتاجاته الأدبية.

1 . 4 . مؤلفاته:

كان "**أبو هلال العسكري**" في عصره إماماً في العلم والأدب، وعنى كثيراً بمعارف سابقيه، وأضاف إليها، وأثر بها فيمن جاء بعده، فالمكتبات العربية لا تخلو من مؤلفاته، وهذا يدل على تمكنه وسعة ثقافته، ولقد ذكر"بروكلمان (Carl Brockelmann) من مؤلفاته أربعة وعشرين (24) مؤلفا، وهي على الوجه الآتي([3]):

. جمهرة الأمثال– ط–.

.كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، أو المختصر في صناعتي النظم والنثر– ط–.

. ديوان المعاني في أثنى عشر بابا– ط– جزأن.

[1]– ينظر بدوي أحمد طبانة، أبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية، ص. 34

[2]– ينظر المرجع نفسه، ص. 37

[3]– أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص. ص. 13، 14

.كتاب المصون(وليس له بل لخاله أبي علي).

.كتاب المعجم في بقية الأشياء- ط-.

.كتاب الزواجر والمواعظ (عزى إلى خاله).

. شرح ديوان أبي محجن الثقفي- ط- أصدرته مكتبة القرآن.

.كتاب الأوائل- ط-.

. معرفة الفروق في اللغة، أو الفروق اللغوية، وهو ما نحن بصدد دراسته.

. رسالة في ضبط وتحرير مواضع من ديوان الحماسة لأبي تمام، وهذه النسخة هي:(الرسالة الماسة فيما لم يضبط من الحماسة).

. النوادر في العربية (وهي جوابات على مسائل كثيرة في اللغة والأدب).

.كتاب الكرماء، نشر في القاهرة 1353هـ بعنوان: فضل العطاء على العسر.

. التلخيص في معرفة أسماء الأشياء.

. الحث على طلب العلم.

. ما احتكم فيه الخلفاء إلى القضاة.

. المعرب عن المغرب ومنه رسالة فيما يشق على الإنسان ثم إذا اعتاده سهل.

. تفسير القرآن- خمس مجلدات-.

. أشعاره.

. محاسن النثر والنظم من الكتابة والشعر.

. مجموعة رسائل العسكري.

ومما ذكره هو من مصنفاته:

. كتاب الدينار والدرهم (ذكره في كتاب الكرماء).

. صنعة الكلام (ذكره في كتاب الأمثال).

. شرح الفصيح (ذكره في كتاب الأمثال).

هذه هي أهم الكتب التي ألفها "**أبو هلال العسكري**"، وأفنى حياته فيها، ولقد تعدّدت مواضيعها وكثرت، يقول "بدوي أحمد طبانة": "وهذه الكتب على كثرتها وتعدد أسمائها لا تخرج عن دائرة ثقافة أبي هلال التي تمحض لها، وأنفق فيها حياته، وأعني بها الثقافة الأدبية بمفهومها في العصر الذي عاش فيه، أو هي بشيء من التوسع: كتب لغة وكتب أدب بالمعنى العام وهو الإنتاج العلمي الذي يصور في الكلام ويدون في الكتب، والمعنى الخاص وهو الكلام الجيد الذي يحدث في نفس قارئه وسامعه لَذَة فَنَية، سواءاَ كان هذا الكلام شعراً أم نثراً أم ما يحتاج إليه من الشرح والتفسير، أم ما يبين ما فيه من عناصر الحسن أو الرداءة"([1]).

1 . 5 . شعره:

كان "**أبو هلال العسكري**" كثير التأليف في مختلف الفنون من الثقافة العربية، فقد كان يجيد الشعر كثيراً، "ولأبي هلال شعر جيد، ويبدوا أنه كان شاعراً مجيداً، يكثر من نظم الشعر ويحسنه، وقد ذكرت المصادر التي ترجمت له أن له ديوان شعر"([2])،"شعر رقيق مر بعض المأثور منه، وفي (ديوان المعاني) طائفة كبيرة من منظومه، لو ضم بعضها إلى بعض لكان منها ديوان نفيس، فهو حين يعرض الجيد من مأثور القول للعرب في

[1]- بدوي أحمد طبانة، أبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية، ص. 40

[2]- أبو هلال العسكري، التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، ص. 14

جاهليتها وإسلامها يدلى بدلوه في الدلاء فينشد لنفسه في الأغراض المختلفة"([1])، يقول في كتابه هذا في تفضيله الشتاء عن غيره من الأزمنة([2]):

فترت صبوتي وأقصر شجوى وأتـــــاني السرور من كل نحو

إنّ روح الشتاء خلص روحي من حرور تشوى الوجوه وتكوى

برد المـــــاء والهـواء كأن قد سرق البرد من جـــوانح خلو

ريحه تلمس الصـــدور فتشفى وغمـــــاماته تصـــوب فتروى

لست أنسى منه دمائة دجن ثم من بعده نضـــــارة صحو

وجنـوبا تبشر الأرض بالقطر كمـا بشر العليـــــــل ببرو

وغيومـــا مطرزات الحواشي بوميض من البـــــــروق وخفو

كلما أوخت السماء عـراها جمع القـــــطر بين سفل وعلو

وهي تعطيك حين هبت شمالاً برد مـــــاء فيهـــا ورقة جـو

وتـــرى الأرض في ملاءة ثلج مثـــل ربط لبسته فـــوق فـرو

فاستعار العراء منها لبـــــاساً سوف يمنى من الريـــاح ينضو

فكأن الكـــافور موضع ترب وكأن الجمـــــان موضع قـرو

وليـــــال أطلن مدة درسى مثلما قد مددن في عمر لهوى

مر لي بعضهـــا بفقه وبعض بين شعر أخذت فيـــه ونحـو

[1]- بدوي أحمد طبانة، أبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية، ص. 46

[2]- أبو هلال العسكري، ديوان المعاني، ص. ص. 4، 5

يفهم من هذا أنّ "**أبا هلال العسكري**" كان يحب ويفضل فصل الشتاء، لأنّ لياليه طويلة وباردة، وحينها يستغل هذه الليالي الطويلة في القراءة ونسج شعره بكل أريحية وهدوء.

ويقول في معنى قوله صلى الله عليه وسلم: (كفى بالسلامة داء)([1]):

مَا خير عيش صفوه يكدره لابد أن يشكوه من يشكره

والمرء ينسى والمنـــايا تذكره يميته بقـــــــاؤه فيقبـــــره

وكسره منـــه الذي لا يجبره يطويه من مـــداه مالا ينشره

في كل مجرى نفس يكـــرره يهدم من عمرك مـالا تعمره

ولقد ألّف كتابه "الصناعتين"، والذي يقصدُ به صناعة الشعر وصناعة النثر، وفي كتابه هذا لم يفرق بينهما، بل جمع بينهما تحت باب واحد، حيث كان يدعم أقواله ويستشهد بأبيات شعرية كثيرة.

1- كتاب الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري:

1.2. عنوان الكتاب:

عُرف لهذا الكتاب أكثر من تسمية والتي ذكرت في المصادر التي ترجمت لـ "**أبي هلال العسكري**"، وهذه العناوين هي ([2]):

.كتاب الفرق بين المعاني: معجم الأدباء 263/2، وخزانة الأدب 112/1، وهدية العارفين 273/5.

.كتاب الفروق: أنباء الرواة 189/4، قال عنه القفطي: "كتاب حسن فرق فيه بين معاني الكلمات".

.كتاب الفروق في اللغة: خزانة الأدب 112/1.

[1]- أبو هلال العسكري، الصناعتين الكتابة والشعر، تح. علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ط. 2، 1971، ص. 45

[2]- نجوى حفصة ووسيلة وسطاني، ظاهرة الترادف في كتاب الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري، ص. 30

. معرفة الفروق اللغوية: بروكلمان 25/2.

. الفروق اللغوية: بروكلمان 253/2.

. الفروق: نوادر المخطوطات لتيمور باشا.

2 . 2 . الجذور التراثية لمفهوم الفروقات اللّغوية:

تعدّ فكرة البحث في الفروق في اللّغة من المجالات العلمية والبلاغية المهمة في الدراسات اللغوية، فقد برزت هذه الفكرة على أيدي علماء العربية منذ الزمن القديم، حيث حاولوا شرح الألفاظ اللغوية المتقاربة في المعنى والكشف عن هذه الألفاظ لما تحمله من فروقات دلالية وبلاغية بينها، ولهذا وضعت مؤلفات كثيرة في هذا المجال والتي لا يمكن للباحث الراغب في ضبط المعاني والدلالات الاستغناء عنها.

ولعلّ أشهر ما ألف في هذا المجال كتاب "**الفروق اللغوية**" للإمام الأديب واللّغوي "**أبي هلال العسكري**"، والذي "أشار إليه بروكلمان في موسوعته بين مؤلفاته ورسائله التي جاوزت العشرين باسم: "معرفة الفروق في اللغة" أو "الفروق اللّغوية" وذكره أنه نشر بالقاهرة سنة 1935م والذي يتكون من ثلاثين بابا، مشيراً فيه أبي هلال العسكري إلى أنّ اختلاف العبارات والأسماء يوجب اختلاف في المعاني، ولقد قدم لرأيه هذا بمقدمة ذكر فيها الشاهد على أنّ اختلاف العبارات والأسماء يصاحبه اختلاف في المعاني في كل لغة، ثم تعرض إلى تبيان الفرق بين هذه المعاني المختلفة، وذكر ثمانية أشياء"([1]).

[1]- ينظر أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص. 11

[2]6- ربيع محمد محمد حفني، "معايير أبي هلال العسكري الدلالية ودورها في إثبات الفروق اللغوية (دراسة وصفية)"، مجلة المقري للدراسات اللغوية النظرية والتطبيقية، كلية العلوم الإسلامية، جامعة كارابوك، مج.4، ع.2، 2021، ص. 3

يعدّ هذا الكتاب من أشهر الكتب التي تحاول الكشف عن الفرق بين الألفاظ المترادفة، وهذا المصطلح "الفروق اللغوية" يتكون من شقين وهما: الفروق الذي يعدّ الموصوف واللّغوية التي تعد الصفة "لفظ (الفروق) صيغ على وزن (فَعُولٌ) أحد أوزان جموع الكثرة، ودلالة الكثرة هذه تعود لسببين([1]):

1 . السبب الأول، وهو الأرجح وهو كثرة الألفاظ المترادفة التي يبحث عن أوجه الفروق بينها.

2 . السبب الثاني، وهو تعدّد السمات الدلالة الفارقة في كل لفظ، وهذا الاحتمال أقل من سابقه، فكثير من الألفاظ لا يأتي الفرق بينها إلاّ من وجه واحد أو اثنين. ومادة (ف. ر. ق) التي أشتق منها هذا الجمع، هي أصيل صحيح يدل على تمييز وتزييل بين شيئين.

يقول "ابن فارس" في "معجمه مقاييس اللّغة" في هذا الصدد: "الفاء والراء والقاف أصيل صحيح يدل على تمييز وتزييل بين شيئين. من ذلك الفَرْقُ: فرق الشعر، يقال: فرقته فرقًا. والفِرْقُ: القطيع من الغنم. والفِرْقُ: الفلق من الشيء إذا انفلقَ، قال الله تعالى:{فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فَرْقٍ كَالطَّوْدِ العَظِيمِ}"([2])، بينما لفظة (اللّغوية) التي أسندت إلى الفروق والتي اشتقت من اللّغة، واللّغة من أدق تعاريفها الذي أشار إليه الجرجاني في كتابه الخصائص في باب "القول على اللّغة "وأما حدّها (فإنها أصوات) يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"([3]).

يعرف "الفيروز أبادي" اللّغة في معجمه "القاموس المحيط" بقوله: "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم ج: لُغَاتٌ ولُغُونٌ. ولغا لغوا: تكلم، وخاب، وثريدته: رواها بالدسم. وأَلْغَاهُ: خيبه. واللّغوُ واللّغَا، كالفتى: السقط،

[2]- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، مج. 1،ص. ص. 493، 494

[3]- ابن جنّي، الخصائص، ج.1، ص. 33

وما لا يعتد به من كلام وغيره، كاللّغوي، كسكرى، والشاة لا يعتد بها في المعاملة. {لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ باللَّغْو} أي: بالإثم في الحلف إذا كفرتم"([1]).

والتركيب (الفروق اللّغوية) مصطلح يحاول التفريق بين الألفاظ المتقاربة في المعنى "فالفروق اللّغوية يقصد بها: السمات الدلالية الفارقة بين المفردات المتقاربة المعاني، ومن الباحثين من جعل الفروق اللّغوية علماً قائماً بذاته. وعرّفه بأنه: "العلم الذي يبحث في الفصل والتمييز من حيث الدلالة بين الألفاظ المتقاربة تقارباً شديداً في لهجة واحدة وفق ضوابط ومعايير معينة"([2]).

عني علماء اللّغة عناية كبيرة بالألفاظ، وبذلوا جهوداً كبيرة، واعتمدوا على وسائل كثيرة لإثبات أنّ المعاني تختلف باختلاف ألفاظها، وحاولوا الكشف عمّا بينها من فروق لغوية دقيقة، وقد ألّف "**أبو هلال العسكري**" كتابه (الفروق اللّغوية) لإثبات الفروق بين الألفاظ ولإبطال الترادف، يقول في هذا الصدد في كتابه (الفروق في اللّغة) في باب (الإبانة عن كون اختلاف العبارات والأسماء موجب لاختلاف المعاني في كل لغة، والقول في الدلالة على الفروق بينها): "الشاهد على أن اختلاف العبارات والأسماء يوجب اختلاف المعاني، إنّ الاسم كلمة تدل على معنى"([3]).

[1]- الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ص. 1331

[2]- ربيع محمد محمد حفني، معايير أبي هلال العسكري الدلالية ودورها في إثبات الفروق اللغوية (دراسة وصفية)، ص. 3

[3]- أبو هلال العسكري، الفروق في اللغة، ص. 13

كان هذا الكتاب ذا قيمة كبيرة عند علماء اللّغة "فهو من الكتب التي لاقت رواجاً وشهرة بين أهل اللّغة، وحلت الصدارة عندهم، خصوصًا في علم الدلالة، لما حمله هذا الكتاب في ثناياه من تميز دلالي عجيب بين الألفاظ التي توهم الترادف، فهو كتاب الفروق الأول، وكل الكتب التي بعده في بابه عالة عليه، ومفتقرة إليه"([1]).

لقد أحسن "**أبو هلال العسكري**" تبويب كتابه هذا وتنظيمه، حيث قسّمه إلى ثلاثين (30) باباً، وبيّن في كل باب الفروقات الدلالية بين الكلمات المتقاربة في المعنى وتتمثل هذه الأبواب في([2]):

- الباب الأول: في الإبانة عن كون اختلاف العبارات والأسماء موجبا لاختلاف المعاني في كل لغة، والقول في الدلالة على الفروق بينها.
- الباب الثاني: في الفرق بين ما كان من هذا النوع كلاماً.
- الباب الثالث: في الفرق بين الدلالة والدليل والاستدلال وبين النظر والتأمل، وبين النظر والرؤية، وما يجري مع ذلك.
- الباب الرابع: في الفرق بين أقسام العلوم، وما يجري مع ذلك من الفرق بين الإدراك والوجدان، وفي الفرق بين ما يضاد العلوم ويخالفها.
- الباب الخامس: في الفرق بين الحياة والنماء، والحي والحيوان، وبين الحياة والعيش والروح–وما يخالف ذلك، وفي الفرق بين الحياة والقدرة والاستطاعة والقوة والقدرة، وما يقرب من ذلك، والفرق بين ما يضاده ويخالفه.
- الباب السادس: في الفرق بين القديم والعتيق، والباقي والدائم، وما يجري مجرى ذلك.

[1]– حمد محمود موسى الزواهرة، الفروق اللغوية عند الراغب الأصفهاني في كتابه المفردات وأثرها في دلالات الألفاظ القرآنية، رسالة مكملة للحصول على درجة الماجستير، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 2008، ص. 177

[2]– أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، من ص. 316 إلى ص. 320

- الباب السابع: في الفرق بين أقسام الإرادات وما يقرب منها، وبين أقسام ما يضادها ويخالفها، وبين أقسام الأفعال.
- الباب الثامن: في الفرق بين الفرد والواحد، وما يجري مع ذلك، وفي الفرق بين ما يخالفه من الكل والجمع، وما هو من قبيل الجمع من التأليف والتصنيف والنظم، والتنضيد، والممارسة والمجاورة، والفرق بين ما يخالف ذلك من الفرق والفصل.
- الباب التاسع: في الفرق بين المثل والشبه، والعديل والنظير، وما يخالف ذلك من المختلف والمتضاد، والمتنافي، وما يجري في ذلك.
- الباب العاشر: في الفرق بين الجسم والجرم، والشخص والشبح، وما يقرب من ذلك.
- الباب الحادي عشر: في الفرق بين الأصل والأس، والجنس، والنوع، والصنف، وما يقرب من ذلك.
- الباب الثاني عشر: في الفرق بين القسم، والحظ، والنصيب، وبين السخاء والجود، وأقسام المعطيات، وبين الغنى والجدة، وما يخالف ذلك من الفقر والمسكنة.
- الباب الثالث عشر: في الفرق بين العز والشرف، والرياسة والسود، وبين الملك والسلطان، والدولة والتمكين، والنصرة والإعانة وبين الكبير والعظيم، والفرق بين الحكم والقضاء، والقدرة والتقدير، وما يجري مع ذلك.
- الباب الرابع عشر: في الفرق بين الإنعام والإحساس، وبين النعمة والرحمة والرأفة، والنفع والخير، وبين الحلم والصبر، والوقار والتؤدة، وما بسبيل ذلك.
- الباب الخامس عشر: في الفروق بين الحفظ والرعاية والحراسة، وما يجري مع ذلك، والفرق بين الضمان والوكالة والزعامة، وما يقرب من ذلك.
- الباب السادس عشر: في الفرق بين الهداية والصلاح والسداد، وما يخالف ذلك من الغي والفساد، وما يقرب منه.

- الباب السابع عشر: في الفرق بين التكليف والاختبار، والفتنة والتجريب، وبين اللطف والتوفيق، وبين اللّطف واللطف، وما يجري مع ذلك.
- الباب الثامن عشر: في الفرق بين الدين والملة، والطاعة والعبادة، والفرض والوجوب والحلال والمباح، وما يجري مع ذلك.
- الباب التاسع عشر: في الفرق بين الثواب والعوض، وبين العوض والبدل، وبين القيمة والثمن، والفرق بين ما يخالف الثواب من العقاب والعذاب والألم والوجع، وما يجري مع ذلك.
- الباب العشرون: في الفرق بين الكبر التيه، والخبرية والزهو، وبين ما يخالف ذلك من التذلل والخضوع والخشوع والهون، وما بسبيل ذلك.
- الباب الحادي والعشرون: في الفرق بين العبث واللعب والهزل والمزاح، والاستهزاء والسخرية وما يخالف ذلك.
- الباب الثاني والعشرون: في الفرق بين الحيلة والتدبير، والسحر والشعبذة، والمكر والكيد، وما يقرب من ذلك وبين العجب والأمر، وما بسبيله.
- الباب الثالث والعشرون: في الفرق بين الحسن والوضاء، والبهجة والطهارة، والنظافة، وما يخالف ذلك من القبح والسماجة وغير ذلك.
- الباب الرابع والعشرون: في الفرق بين الإرسال والإنفاذ، وبين النبي والرسول.
- الباب الخامس والعشرون: في الفرق بين الزمان والدهر، والأجل والمدة، والسنة والعام، وما يجري مع ذلك.
- الباب السادس والعشرون: في الفرق بين الناس والخلق، والعالم والبشر، والوري والأنام، وما يجري مع ذلك، والفرق بين الجماعات وضروب القرابات.
- الباب السابع والعشرون: في الفرق بين الإظهار، والإفشاء، والجهر.

- الباب الثامن والعشرون: في الفرق بين الطلب والسؤال، والروم والاقتضاء، وما يجري مع ذلك، والفرق بين البعث والإنفاذ وما يقرب منه.
- الباب التاسع والعشرون: في الفرق بين غاية الشيء ومداه، ونهايته وحدّه وآخره وما يجري مع ذلك.
- الباب الثلاثون: في الفرق بين أشياء مختلفة.

2 . 3 . الباعث إلى تأليف هذا الكتاب:

يعتبر كتاب الفروقات اللّغوية من أهم الكتب التي صنّفها "**أبو هلال العسكري**"، إذ يعدّه علماء اللغة من أهم مراجع اللغة العربية، لكونه يحتوي على الكثير من المعلومات اللغوية في معان الكلمات، وقد كانت الحاجة إلى هذا الكتاب هو فهم معاني الكلمات وتفسيرها، ووضع الفروقات بينها، وذلك لتفيد الأديب والقارئ في ثقافته.

جاء في الفروق أنّ "الباعث له على تأليفه أنه لم ير نوعا من العلوم، وفنا من الآداب إلا وقد صنف فيه كتب تجمع أطرافه، وتنظم أصنافه إلا الكلام في الفرق بين معان تقاربت حتى أشكل الفرق بينها، نحو العلم والمعرفة، والفطنة والذكاء، والإرادة والمشيئة إلخ...فإنه لم ير في الفرق بين هذه المعاني وأشباهها كتابا يكفي الطالب، ويقنع الراغب مع كثرة منافعه فيما يؤدي إلى المعرفة بوجوه الكلام، والوقوف على حقائق معانيه، والوصول إلى الغرض فيه" ([1])، وذلك يعني أنّ "**العسكري**" يقرّ ويؤكد بوجود فروق بين معاني الألفاظ رغم تقاربها دلاليا، وهذا التقارب يكون في الترادف، ومثال ذلك: العلم والمعرفة، فبالرغم من اختلاف اللفظين لكن المعنى متقارب، وذلك لأجل مساعدة الأديب وتثقيفه ولسهولة فهم واستيعاب هذه الكلمات، لينجز بحثه بأحسن وجه.

[1]- أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص. 12

وذكر "محي الدين محسن" أنّ "**أبا هلال العسكري**" يقر "بوجود تقارب دلالي بين لفظ ولفظ ولكن هذا التقارب لا يعني التطابق، بل يعني أنّ ثمة مساحة دلالية للتمايز قد تكون هذه المساحة أقل من مساحة الاشتراك الدلالي. الفروق التي تجعل كل حقيقة هوية متميّزة واضحة وأبو هلال يطلق على تلك الأسماء المجردة مثل الفطنة والذكاء وغيرها. إنّ العمل على تحديد الفروق الدلالية بين الألفاظ يكون في الوقت نفسه عملاً ووسيلة إلى تحديد الفروق الدلالية بين المفاهيم، وبعبارة أخرى إنّ توضيح العلاقات الدلالية القائمة بين الألفاظ وتمييز العناصر الفارقة بينها هما الشرطان الضروريان لاكتشاف دقة المعنى"([1]).

لقد كان "**أبو هلال العسكري**" حريصًا ومهتمًا بالفروق اللّغوية بين الكلمات، والسبب الذي جعله يهتم بذلك كان اعتقاده بأنّ اختلاف العبارات لابد أن يكون فيه اختلاف في المعاني، بمعنى أن كل كلمة تحمل دلالة خاصة بها فـ "**أبو هلال العسكري**" وضع الباب الأول من كتابه الفروق اللّغوية وذلك لإظهار الاختلاف في العبارات والأسماء وبين معانيها، حيث يقول: "الشاهد على اختلاف العبارات والأسماء يوجب اختلاف المعاني: أن الاسم كلمة تدل على معنى الإشارة، وإذا أشير إلى شيء مرة واحدة فعرف، فالإشارة إليه ثانية وثالثة غير مفيدة وواضع اللّغة حكيم لا يأت فيها بما لا يفيد، فإن أشير منه في الثاني، والثالث إلى خلاف ما أشير إليه في الأول، كان ذلك صواباً فهذا يدل على أن كل اسمين يجريان على معنى من المعاني، وعين من الأعيان في لغة واحدة فإنّ كل واحد يقتضي خلاف ما يقتضيه الآخر، وإلاّ كان الثاني فضلاً لا يحتاج إليه"([2]).

ويقصد "**أبو هلال العسكري**" بذلك أنّ الاختلاف عائد إلى معنى الترادف، فلا يمكن للعبارة أو الاسم أن يحمل الدلالة نفسها، وإنّما ثمة فارق دلالي بينهما، بالرغم من التشابه النسبي بينهما، فإذا كان التشابه مستحيلا

[1]- ينظر محي الدين محسب، التحليل الدلالي في الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري- دراسة في البنية الدلالية (معجم العربية)، دار الهدى، ألمنيا، (د. ط)، 2001، ص. ص. 10، 11

[2]- أبو هلال العسكري، الفروق اللّغوية، ص. 22

بين كلمتين، أي أن الاسم إذا أشير إليه مرة ثانية فإنّ التشابه فيه مستحيل، مما سيؤدي إلى فارق لغوي بينها، فبعض علماء اللّغة يستبعد أن تشبه الكلمة نفسها في الموضعين المختلفين، كما يمكن أن ترد مجموعة من الألفاظ يمكن أن تحل محلّ الأخرى، وذلك في سياقات معينة، وهنا سيكون هناك ترادف بينها، أي وجود كلمات تتبادل مواقعها مع بعضها، دون أن يطرأ تغيير في المعنى، بالرغم من اختلاف العبارات والأسماء، فيبدو أنّ الاختلاف راجع لدلالة الترادف.

ويقول في موضع آخر: "كما لا يجوز أن يدل اللفظ الواحد على معنيين، فكذلك لا يجوز أن يكون اللفظان يدلان على معنى واحد، لأنّ في ذلك تكثيرًا في اللغّة، قولنا: فعلت يفيد خلاف ما يفيد أفعلت في جميع الكلام إلاّ ما كان من ذلك لغتين فقولك: سقيت الرجل يفيد أنك أعطيته ما يشربه، أو صببت ذلك في حلقه، واسقيته يفيد أنك جعلت له سقيًا أو حظا من الماء"([1]).

يتضح من خلال القول أنه يستبعد أن يكون للفظ الواحد معنيين، كما ينفي أيضا أن يكون للفظين معنى واحد، وعلى سبيل المثال الدلالة التي يحملها الفعل "فَعَلَ" تختلف عن دلالة الفعل "أَفْعَلْتُ"، وكذلك الشيء نفسه في الفعل "سَقَيْتُ وصَبَبْتُ" ثمة فارق دلالي بينهما، فقولك: سقيت الرجل يدل على أنّك أعطيته يشرب الماء، في حين قولك: صببت ذلك في حلقه دليل على أنّك جعلت له نصيبًا من الماء، وعلى هذا الأساس يتبين أنّ اختلاف الألفاظ ينجر عنه اختلاف في المعاني.

بناءً على هذا يعدّ كتاب "**الفروق اللّغوية**" لـ "**أبي هلال العسكري**" موضوعاً مهما، لكونه يعين في تقريب معاني الكلمات، وتحديد الفروقات بين الألفاظ، وتحديد معانيها وصولاً لحقائقها، فالفروقات الدلالية بين الكلمات هي أداة مهمة لتحديد الفروقات اللغوية لمفاهيم هذه الكلمات، وكان هذا الموضوع في غاية الأهمية لما

[1]- ينظر أبو هلال العسكري، الفروق اللّغوية، ص. ص. 23، 24

يبينه من مقاصد الكلام وغايته، فـ "**أبو هلال العسكري**" يقر بوجود تقارب دلالي بين الألفاظ، وينكر في الوقت نفسه بوجود ترادف تام، وذلك للوصول إلى الغرض من هذا الكلمات.

من هنا فإنّ هذا الكتاب يهدف إلى إيقاظ الحس اللغوي وتثقيف الأديب، وذلك من خلال تقويته في عقول الأدباء، كما أنه يدعو إلى تنمية مواضعها، وذلك للتعبير عن معاني الكلمات بوضوح، فقد كان هذا الكتاب يعرض الفرق بين معان متقاربة مثل: (العلم، المعرفة) و(الغضب، السخط) و(الحسن، الجمال).

2 . 4 . أسلوبه:

يعدّ أبو "**هلال العسكري**" شاعرا وناقدا بلاغيا خدم العربية بكتبه ومؤلفاته، فهو أحد أولئك الذين وضعوا اللبنات الأولى في صرح البلاغة، وكتابه "**الفروق اللغوية**" من أعظم مؤلفاته النقدية والعلمية التي عالجت الأدب، إذ يعتبر هذا الكتاب ذو شأن عظيم وأهمية كبيرة من حيث مضمونه بين الكتب الأخرى، إذ بيّن فيه الفروقات اللّغوية بين المترادفات، وعند نسجه وتأليفه لهذا الكتاب استخدم أسلوبا مميزا، قصد إقناع القارئ والأديب ونفعه، بالرغم من قلة الأخبار عنه، ولكنه سعى جاهداً، وخلق للمكتبة العربية مجموعة من المؤلفات تتضمن فروعا مختلفة، وهذا دليل على أسلوبه الخاص المميز "جاء أسلوبه – كما أراد له – مشتملاً على ما فيه الكفاية به من غير إطالة ولا تقصير، تاركاً الغريب الذي يقل تداوله ليكون الكتاب وسطا وخير الأمور الوسط"([1])، بمعنى أنه استخدم الأسلوب الذي يرغبه بعيداً عن الإطالة فيه، تاركاً الكلمات الغامضة والمبهمة، قصد أن يكون الكتاب ذو شأن ونفع عظيم، فقد كان أسلوبه أنيقا وجميلا، وطريقة عرضه للكتاب كانت منظمة وواضحة، وذلك يدل على ثقافته وذكائه وخبرته الواسعة في مختلف المجالات.

[1]– أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص. 12

2-5- منهجه:

يعدّ هذا المعجم من المعاجم الداعية إلى تحديد الفروق الدقيقة من المترادفات اللفظية، بحيث اعتمد على منهج منّظم وواضح في عرضه لهذا الكتاب، فـ "المنهج الذي رسمه لنفسه واضحٌ أيضا في نهاية الفصل الأول من الباب الأول الذي عقده في الإبانة عن موضوع البلاغة في اللّغة وما يجري معه من تصرف في لفظها والقول في الفصاحة وما يتشعب منه، إذ يختم هنا الفصل بقوله: وليس الغرب في هذا الكتاب سلوك مذهبي المتكلمين وإنّما قصدت فيه مقصد صَنّاع الكلام من الشعراء والكتاب، فلهذا لمْ أطل الكلام في هذا الفصل"([1]).

لهذا يعتبر هذا الكتاب من المراجع القيّمة التي لا يمكن للباحث الاستغناء عنه في إعداد بحوثه، وذلك لما يحتويه من المعلومات اللغوية الكثيرة لتوضيح معاني الألفاظ، وقد رتب هذه الألفاظ "حسب ترتيب المعاني أو الموضوع، فهي تفيد في الحصول على لفظ أو ألفاظ لمعنى من المعاني، وتعرض غرض من أغراضه المعاجم وهو مساعدة الترجمة، والبحث العلمي، وتعين المشتغلين بتحقيق النصوص العربية القديمة، وواضعي المصطلحات للعلوم والفنون"([2]).

واهتم "**أبو هلال العسكري**" في ترتيب معجمه بوضع تعريفات وفروقات لبعض الألفاظ المتقاربة في المعنى، والتي وضعها في كل باب، وكان ترتيب أبوابه حسب الموضوع، وذلك بهدف البحث في أصول المعاني، ومحاولة إرجاعه إلى أصل وضعه اللغوي، وقد ألّف هذا الكتاب للتفريق بين الكلمات المتقاربة دلاليًا على أساس

[1]- بدوي أحمد طبانة، أبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية، ص. 100

[2]- كورنياوان، "منهج معجم الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري"، مجلة لسان الضاد، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، مج.2، ع. 2، 2015، ص.97

كشف العلاقات الدلالية بينها، ومحاولة إظهار الفروق بينها، فمسألة دلالة الألفاظ على فروق دقيقة ليست وليدة العصر، بل كان للعلماء يد في الكشف عنها وتتبعها في اللّغة([1]).

2 . 6 . مجالاته:

تناول "أبو هلال العسكري" في معجم "**الفروق اللغوية**" ثلاثة مجالات أو اتجاهات، وهي ([2]):

1 . ما يعرض منه في كتاب الله تعالى.

2 ما يجري في ألفاظ الفقهاء والمتكلمين.

3 ما يدور بين الناس من محاورات.

1. 7 . الآراء النقدية حول ظاهرة الفروق اللّغوية:

شغلت قضية الترادف حيزاً واسعًا في علوم اللّغة، حيث اختلفت اتجاهات اللغويين من القدامى والمحدثين اختلافًا كبيرًا حول وقوع هذه الظاهرة في اللّغة أو عدم وقوعها، وقد تباينت آراؤهم بين مثبت ومنكر.

❖ ومن القدامى والمحدثين القائلين بظاهرة الترادف نجد:

- "ابن جني (ت 392هـ)"، الذي أيّد الترادف، وجعله من خصائص العربية، فخصّ له بابًا في كتاب "الخصائص"، سمّاه (باب في ايراد المعنى المراد، بغير اللفظ المعتاد)، يقول: "اعلم أنّ هذا موضع قد استعملته العرب، واتبعتها فيها العلماء. والسبب في هذا الاتساع أن المعنى المراد مفاد من الموضعين جميعًا، فلما أذنا به وأديا إليه سامحوا أنفسهم، في العبارة عنه، إذ المعاني عندهم أشرف من الألفاظ"([3]).

---

[1]- محمد ياس خضر الدوري، دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني، مذكرة لنيل درجة دكتوراه فلسفة في اللغة العربية /لغة، كلية التربية، جامعة بغداد، 2005، ص. 11

[2]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]- ابن جنّي، الخصائص، ج. 2، ص. 466

ويقول في موضع آخر: "وهذا ونحوه عندنا هو الذي أدّى إلينا أشعارهم وحكاياتهم بألفاظ مختلفة، على معان متفقة، وكان أحدهم إذا أورد المعنى المقصود بغير لفظه المعهود، كأنه لم يأت إلاّ به، (ولا عدل) عنه إلى غيره، إذ الغرض فيهما واحد، وكل واحد منهما لصاحبه مرافد"([1]).

- "إبراهيم أنيس"، وهو أيضا من مؤيدي ظاهرة الترادف، حيث يقول:" ومهما حاول بعض الاشتقاقيين من علماء اللّغة كابن دريد وابن فارس وأمثالهما، أو بعض الأدباء من أصحاب الخيال الخصب الذين يلتمسون من ضلال المعاني فروق بين مدلولات الألفاظ، حاول هؤلاء إنكار وقوع الترادف في ألفاظ اللّغة العربية، فليس بغير هذا من الحقيقة الواقعة شيئًا، فالترادف قد اعترف به معظم القدماء وشهدت له النصوص، وإن كان بعض الذّين قالوا به قد غالوا فيه، فمنهم من يقول لنا إنّ للأسد نحو 500 كلمة، وللثعبان نحو 200 كلمة، وللسيف 50 كلمة..."([2]).

لقد اشترط "إبراهيم أنيس" لتحقيق الترادف شروطاً، والمتمثلة في ([3]):

. اتحاد العصر. ولذا فهو لا يوافق من نظروا إلى كل عصور اللغة نظرة واحدة، ويرى أن مرور الزمن قد يخلق فروقًا بين الألفاظ، كما قد يؤدي إلى تناسي هذه الفروق.

. اتحاد البيئة اللّغوية، أي أن تكون الكلمتان تنتميان إلى لهجة واحدة، أو مجموعة منسجمة من اللهجات، ولا يصح التماس الترادف –كما فعل الأقدمون– من لهجات العرب المتباينة، حين عدّوا الجزيرة العربية كلها بيئة واحدة.

. الاتفاق في المعنى بين الكلمتين اتفاقًا تامًا، على الأقل في ذهن الكثرة الغالبة لأفراد البيئة الواحدة.

[1]– ابن جنّي، الخصائص، ج. 2، ص. 468

[2]– ينظر إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط. 5، 1984، ص. 211

[3]– ينظر أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص. 227

. اختلاف الصورة اللفظية للكلمتين بحيث لا تكون إحداهما نتيجة تطور صوتي عن الأخرى، ومن أمثلة الترادف التي حققت الشروط عنده: أثر وفضل، حضر وجاء، بعث وأرسل.

❖ ومن المنكرين من القدامى والمحدثين لظاهرة الترادف نجد:

- "ابن درستويه"، ويعتبر من أشدّ المنكرين لظاهرة الترادف والقائلين بالفروق اللغوية بين الكلمات، يقول "جلال الدين السيوطي": "لا يكون فعل وأفعل بمعنى واحد، كما لم يكونا على بناء واحد إلاّ أن يجيء ذلك في لغتين مختلفتين، فأما من لغة واحدة فمحال أن يختلف اللّفظان والمعنى واحد كما يظن كثير من اللغويين والنحويين وإنّما سمعوا العرب تتكلم بذلك على طباعها وما في نفوسها من معانيها المختلفة، فطنوا أنها بمعنى واحد، وتأوّلوا على العرب هذا التأويل من ذات أنفسهم، فإنّ كانوا صدقوا هذا التأويل فقد أخطئوا عليهم في تأويلهم وليس يجيء شيء من هذا الباب إلاّ على لغتين متباينتين، أو يكونا على معنيين مختلفين"([1]).
- "أحمد مختار"، ويعدّ هذا العالم من العلماء المنكرين لظاهرة الترادف، حيث يقول: "يقصد بالترادف التام الذي يسمح بالتبادل بين اللفظين في جميع السياقات، دون أنْ يوجد فرق بين اللفظين في جميع أشكال المعنى (الأساسي والإضافي والأسلوبي والنفسي والإيحائي)، وهذان اللفظان داخل اللغة الواحدة، وفي مستوى لغوي واحد، وخلال فترة زمنية واحدة، وبين أبناء الجماعة اللغوية الواحدة، فالترادف غير موجود على الإطلاق"([2]).

1- ينظر عبد الرحمان جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج.1، شرحه وضبطه وصححه محمد أحمد جاد المولى بك وآخرون، دار التراث، القاهرة، ط.3، 2008، ص. ص. 384، 385

2- ينظر أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص. ص. 227، 228

- **المبحث الثاني: مقاربة دلالية لكتاب "الفروق اللغوية".**

– معايير أبي هلال العسكري الدلالية:

يعتبر "**أبو هلال العسكري**" من أعظم وأبرز الأدباء وعلماء العربية المنادين بالفروق بين الألفاظ المترادفة، فقد اعتمد في كتابه "الفروق اللّغوية" على مجموعة من المعايير الدلالية للتفريق بين الكلمات، التي تجمع بينهما مساحة دلالية مشتركة، و"يتطلب تحديد الفروق الدلالية بين ألفاظ اللّغة إلى معايير علمية دقيقة ومحددة كي يستطيع الباحث إتباعها والوقوف على السمات الدلالية المميزة لكل لفظ، وقد أضحت الحاجة لتلك المعايير العلمية الدقيقة ضرورة منهجية ليتمكن من إظهار الفروق اللّغوية بين الألفاظ المترادفة، وبتلك الفروق يستطيع الباحث تحديد ماهية العلاقات الدلالية بين الألفاظ من جهة ومن جهة أخرى يقدم وصفاً علمياً دقيقاً لمكونات المعنى"([1]).

ويعدّ "**أبو هلال العسكري**" أوّل من وضع الفروق الدلالية بين الكلمات، وحاول وضع معاييراً لذلك، وقد أشار في مستهل كتابه "**الفروق اللّغوية**"، إلى أهم القواعد والأدوات التي تعين في تحديد الفروقات اللّغوية بين الألفاظ، وهذه المعايير هي([2]):

- اختلاف ما يستعمل عليه اللفظان اللذان يراد الفرق بين معنييهما.
- اعتبار صفات المعنيين اللذين يُطلَب الفرق بينهما.
- اعتبار ما يؤول إليه المعنيان.
- اعتبار الحروف التي تعدّى بها الأفعال.

[1]– ينظر ربيع محمد محمد حنفي، "معايير أبي هلال العسكري الدلالية ودورها في إثبات الفروق اللّغوية دراسة وصفية"، ص. 2

[2]– محمد محمد داود، معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم، دار غريب، القاهرة، 2008، ص. 10

- اعتبار النقيض.
- اعتبار الاشتقاق.
- ما توجيه صيغة اللفظ من الفرق بينه وبين ما يقاربه.
- اعتبار حقيقة اللفظين أو أحدهما في أصل اللّغة.

تعدّ هذه المعايير أهم الاعتبارات التي اعتمدها "**أبو هلال العسكري**" للتفريق بين الكلمات التي تقاربت معانيها، وقد مثلنا لهذه المعايير ببعض النماذج المقتبسة من كتابه "**الفروق اللّغوية**" والمتمثلة في:

المعيار	النماذج	الصفحة
1-اختلاف الاستعمال اللغوي.	-الفرق بين التعليم والتلقين.	82
	الفرق بين العلم والإدراك.	89
	-الفرق بين العلم والمعرفة.	80
	-الفرق بين البصر والعين.	82
2-اختلاف صفات المعنيين.	-الفرق بين الحلم والإمهال.	201
	-الفرق بين الكذب والخرص.	45
	-الفرق بين الخجل والحياء.	244
	-الفرق بين الحزن والكآبة.	267

3-اختلاف ما يؤول إليه المعنيين.	-الفرق بين الأخذ والتناول.	139
	-الفرق بين المزاح والاستهزاء.	254
	-الفرق بين العبث واللّعب واللّهو.	254
	-الفرق بين الجد والانكماش.	256-255
4-اختلاف الحروف التي تعدى بها الأفعال.	-الفرق بين العفو والغفران.	236-235
	-الفرق بين الهداية والنجاة.	210
	-الفرق بين الحدوث والإحداث.	133
	-الفرق بين الإحباط والتكفير.	236
5-اختلاف النقيض.	-الفرق بين الحفظ والرعاية.	18
	-الفرق بين التضاد والتناقض.	44
	-الفرق بين الأعلى وفوق.	185
	- المختلف والمتضاد.	157
	-الفرق بين السكون والحركة.	147
6-اختلاف الاشتقاق.	-الفرق بين السياسة والتدبير.	27
	-الفرق بين الرزق والغذاء.	167
	-الفرق بين الحكم والقضاء.	190
	-الفرق بين القراءة والتلاوة.	64 -63

7-صيغة اللفظ.	-الفرق بين السؤال والاستفهام.	37
	-الفرق بين الضُّعف والضَّعف.	116
	-الفرق بين الإرادة والتحري.	126-125
	-الفرق بين الطلب والاقتضاء.	289
8-حقيقة اللفظين في أصل اللغة.	-الفرق بين الولد والابن.	282-281
	-الفرق بين البلاء والنقمة.	240
	-الفرق بين الحنين والاشتياق.	28
	-الفرق بين الصعود والارتفاع.	184

. اختلاف الاستعمال اللغوي:

اعتبر "**أبو هلال العسكري**" هذا المعيار، أول معيار يعتمد عليه في تبيان الفرق بين الألفاظ "والمراد بهذا الضابط أنّ استعمال أهل اللغة لكل لفظة من الألفاظ، التي يدعى الترادف فيما بينها استعمالاً لا يستعمل في غيرها، من حيث التعدية بنفسها أو بغيرها، أو تعديتها لمفعول واحد أو أكثر، يدل دلالة واضحة على الفرق بينهما في المعنى، وهو ما يعرف عند علماء اللغة (باختلاف النمط التركيبي)، فإنّ اختلاف النمط التركيبي موجب لاختلاف المعنى وما تحمله كل لفظة من دلالة"([1])، فكل اختلاف في الألفاظ يؤدي إلى اختلاف في التركيب مما يؤدي إلى تغير في المعنى، وقد مثل "**أبو هلال العسكري**" لهذا المعيار بـ:

[1]- محمد محمود موسى الزواهرة، الفروق اللغوية عند الراغب الأصفهاني في كتابه المفردات وأثرها في دلالات الألفاظ القرآنية، ص. 21

. **الفرق بين التعليم والتلقين**: "أن التلقين يكون في الكلام فقط، والتعليم يكون في الكلام وغيره، تقول لقنه الشعر وغيره، ولا يقال لقنه التجارة والنجارة والخياطة وأخرى، فإنّ التعليم يكون في المرة الواحدة والتلقين لا يكون إلاّ في المرات وأخرى، فإنّ التلقين هو مشافهتك الغير بالتعليم، وإلقاء القول إليه ليأخذه عنك ووضع الحروف مواضعها والتعليم لا يقتضي ذلك، ولهذا لا يقال: إنّ الله يلقن العبد كما يقال: إنّ الله يعلمه"([1]).

يتبين من خلال هذا أن هناك فارق دلالي بين لفظتي التعليم والتلقين، حيث يعتبر التلقين كل ما يدل على كلام وقول ينطق به، أي التلقين ينطبق على الكلام والقول فقط، بينما التعليم يمكن أن ينطبق على غيره من الكلام، وعلى سبيل المثال يمكن القول: لقّنه الشعر، أي قال الشعر نطقاً عبارة عن كلام، ولا يصح أن ندمج كلمة التلقين للتجارة وغيرها، كأن تقول: لقنه التجارة، فهذا خطأ، وبهذا يكون التلقين مرات عديدة، أي مشافهة الغير بالتعليم لا يمنحه القدرة على التفكير، أي يقيد عملية التفكير، بينما التعليم يكون لمرة واحدة، وهو لا يقتضي وضع الحروف في مواضعها، كما يقوم به التلقين، ولهذا لا يقال: إنّ الله يلقن العبد، ولذلك يقال عن التلقين أنه أحد أساليب تعليم القارئ.

ف "**أبو هلال العسكري**" اعتمد للتفريق بين لفظتي: "التعليم والتلقين" على الاقتران اللفظي، والتي تعدّ ظاهرة لا تكاد تخلو منها أية لغة، وهو جزء لا يتجزأ من بلاغة اللّغة وبيانها، ففي كلمة "التلقين التي يمكن أن يتكرر اشتراكها مع كلمة الشعر . مثلاً . لكنها تستعصي الاقتران أو الاشتراك مع كلمات التجارة والنجارة والخياطة، فلا يمكن أن نقول: تلقنت الخياطة، بل يجب أن نقول تعلمت الخياطة.

بناءً على ذلك فإنّ "**أبا هلال العسكري**" أبرز الفروق بين هذه الثنائية، وذلك بوضعها في سياقات مختلفة، فأضحت كلّ واحدة منها تحمل معنى مختلف عن الأخرى، واعتمد في هذا التفريق على عوامل وهي: الكلام، المرة الواحدة وعدة مرات والمشافهة، والاقتران اللفظي.

[1]- ينظر أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص. 82

. **الفرق بين العلم والإدراك،** أنّ الإدراك موقوف على أشياء مخصوصة وليس العلم كذلك، والإدراك يتناول الشيء على أخص أوصافه وعلى الجملة، والعلم يقع بالمعدوم ولا يدرك إلاّ الموجود والإدراك طريق من طرق العلم، ولهذا لم يجز أن يقوى العلم بغير المدرك قوته بالمدرك، ألاّ ترى أن الإنسان لا ينسى ما يراه في الحال كما ينسى ما رآه قبل([1]).

يتضح من خلال هذا القول أنّ **"أبا هلال العسكري"** فرّق بين ثنائية: العلم والإدراك، بحيث أقرّ أنّ الإدراك أخصّ من العلم، أي أنّ الإدراك يختص بأشياء، بينما العلم عام يهتم بكل الأشياء، ولا يدرك إلاّ من خلال الشيء الموجود، والإدراك جزء من العلم، ولهذا لا يستوجب أن يكون العلم بغير مدرك لقوته، وهنا فرّق **"أبو هلال العسكري"** بين هاتين الكلمتين اعتمادًا على عوامل الخصوص والموجود والمعدوم.

كما يمكن أن تأتي هاتين الكلمتين مختلفتين، لكون العلم يدل على كل ما تحمله من معاني عامة وشاملة لشتى العلوم عكس الإدراك، وبذلك سيكون هناك تداخل بينهما، ويقع كل من العلم والإدراك مكان الآخر وذلك لتقارب دلالتهما، ففي البداية يقول أنّ الاستعمال هو سبب التفريق بين العلم والإدراك، وينتهي بالاعتراف بوجود الترادف نتيجة الاستعمال كذلك، وبالتالي يمكن القول أنّ العلم أعم من الإدراك، وبالرغم من هذا فإنّ **"أبا هلال العسكري"** يقرّ بوجود معنى مشترك بينهما، وذلك في الاستعمال.

إنّ استعمال الكلمة في موضع دون آخر يؤكد أنّ كل كلمة لها وظيفتها الخاصة بها، والتي تختلف فيها عن غيرها من الكلمات، وهذه الوظيفة هي التي جعلت هذه الكلمة أنسب في هذا الموضع، وتلك أنسب في موضع آخر.

. **الفرق بين العلم والمعرفة،** المعرفة أخص من العلم، لأنها علم بعين الشيء مفصلاً عما سواه، والعلم يكون مجملاً ومفصلاً، يقول "الزهري" أنّه لا يجوز أن يكون علم الله تعالى بالأشياء من جهة الأثر والدليل، قال: والمعرفة

[1]- أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص. 89

تتميّز بالمعلومات"، فكل معرفة علم، وليس كل علم معرفة، وذلك أن لفظ المعرفة يفيد تمييز المعلوم من غيره ولفظ العلم لا يفيد ذلك إلاّ بضرب آخر من التخصيص في ذكر المعلوم، وذلك في قول أهل اللّغة: "إنّ العلم يتعدى إلى مفعولين ليس لك الاقتصار على أحدهم إلاّ أن يكون بمعنى المعرفة([1]).

يفهم من هذا أنّ العلم أعم وأشمل من المعرفة، وهذا لكون العلم يأتي علماً كليّا مفصلاً، وفي هذا الصدد يقول "الزهري" أنّ المعرفة عبارة عن مجموعة من المعلومات، فكل معرفة تعتبر علماً عكس العلم لا يكون معرفة، حيث أنّ المعرفة تدل على المعلوم، كقولك: عرفت خالداً عكس العلم الذي يدل على التخصيص، أي ذكر جزء من ذلك المعلوم، كقولك: علمت خالداً مجتهداً، وبهذا يكون العلم متعديا لمفعولين، أمّا المعرفة فتتعدى إلى مفعول واحد، ولا يمكن الاستغناء عن أحدهما، إلاّ إذا كان هناك معنى للمعرفة "وعليه، فإنّ اختلاف ما يستعمل عليه اللفظان من حيث التعدية وغيرها، ومن حيث التعدية إلى مفعول أو أكثر سبب لمعرفة الفرق الدلالي بينهما([2]).

كما ورد اختلاف الاستعمال اللغوي في القرآن الكريم "في قوله تعالى: "لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللَهُ يَعْلَمُهُمْ"(سورة الأنفال، الآية 60)، فـ"أبا هلال" يرى أن الفعل "عَلِمَ" قد جاء بمعنى الفعل "عرف"، فقوله" لاَ تَعْلَمُونَهُمْ اللهُ يَعْلَمُهُمْ" معناه: لا تعرفونهم الله يعرفهم([3])، ومنه فكلمة "علم" تحمل دلالة "عرف" نفسها، وذلك أنّ الله وحده الذي يعلم ويعرف ما تخفيه الأنفس من عداوة.

. **الفرق بين البصر والعين** "أنّ العين آلة البصر وهي الحدقة، والبصر اسم للرؤية، ولهذا يقال: إحدى عينيه عمياء، ولا يقال أحد بصريه أعمى، وربّما يجري البصر على العين الصحيحة مجازاً، ولا يجري على العين

[1]- ينظر أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص. 80

[2]- محمد محمود موسى الزواهرة، الفروق اللغوية عند الراغب الأصفهاني في كتابه المفردات وأثرها في دلالات الألفاظ القرآنية، ص. 22

[3]- محي الدين محسب، التحليل الدلالي في الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري، ص. 26

العمياء"([1])،بمعنى أن العين عضو يبصر به الإنسان، وهي الحدقة، بينما البصر خاص بالرؤية والنظر فقط، ولذلك يقال عين عمياء، ولا يصحّ القول بصر عمياء، فالعين أخص من البصر، لذا يمكن أن تأتي الحدقة(العين) أساس البصر، وبها يستطيع الإنسان رؤية ومشاهدة الأشياء، وقد يكون للسياق الذي ترد فيه هذه الألفاظ سمة تعبيرية خاصة بها، فيتغير فيها المعنى بحسب الجو الخاص بها، إذْ كثيرًا ما نرى تعبيرين يتشابهان إلاّ في لفظ واحد، وإذا ما دققنا النظر وجدنا أنّ كل لفظة أختيرت بحسب السمة التعبيرية لذلك السياق.

. اختلاف صفات المعنيين.

يعتبر معيار اختلاف صفات المعنيين من المعايير المهمة التي دعا إليها "**أبو هلال العسكري**" في كتابه "**الفروق اللّغوية**"، إذ يعتبرها من أنجع الوسائل التي تعين في تحديد الفروق اللّغوية، أو الطرق التي يتعرّف بها على الفروق اللغوية([2])، بمعنى أنّ "**أبا هلال العسكري**" أولى لهذا المعيار أهمية كبيرة نظراً للعمل الذي يؤديه في تبيان الفرق بين ثنائيتين، ويقصد من صفة المعنى ما يمكن أن يسمّى جانب القيمة في الدلالة([3]).

لكن هناك بعض العلماء الذين اعتبروا هذا المعيار غير معروف، يقول "محمد محمود موسى الزواهرة" في هذا الشأن: "إنّ من دقق بمعنى هذا الضابط يرى أنه غير مسلم به كونه ضابطاً، إذ إنّ اختلاف صفات المعنيين هو المراد بحثه وإبرازه، وما اختلاف صفات المعنيين إلاّ الفوارق التي تستقل بها كل كلمة عن أختها مما يظن وقوع

[1]- أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص. 82

[2]- ينظر ربيع محمد محمد حفني، معايير أبي هلال العسكري الدلالية ودورها في إثبات الفروق اللغوية (دراسة وصفية)، ص. 6

[3]- ينظر محي الدين محسب، التحليل الدلالي في الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري، ص. 30

الترادف بينهما"([1])، وقد كان "**أبو هلال العسكري**" يعتمد على هذا المعيار بشكل كبير في كتابه ومن بين الأمثلة التي أشار إليها ما يأتي:

.**الفرق بين الحلم والإمهال** "أنّ كل حلم إمهال، وليس كل إمهال حلماً لأن الله تعالى لو أمهل من أخذه لم يكن هذا الإمهال حلماً لأنّ الحلم صفة مدح والإمهال على هذا الوجه مذموم، وإذا كان الأخذ والإمهال سواء في الاستصلاح فالإمهال تفضل، والانتقام عدل، وعلى هذا يجب أن يكون ضد الحلم السفه إذا كان الحلم واجباً لأنّ ضده استفساد"([2])، ويقول في موضع آخر "وهو أن الحلم لا يكون إلاّ عن المستحق للانتقام، وليس كذلك الإمهال، ألا ترى أنك تمهل غريمك إلى مدة، ولا يكون ذلك منك حلمًا، وقال بعضهم: لا يجوز أن يمهل أحد غيره في وقت إلاّ ليأخذه في وقت آخر"([3]).

يتضح من خلال هذا أنه قد تكون لإحدى اللفظتين المتقاربتين المنحطة الدلالة، استعمال في المعاني المستحسنة والمبتذلة، بحيث تكون إحداهما ذات مدلول شريف تستعمل في مواضع مستحسنة، في حين تكون الأخرى ذات مدلول قبيح تستعمل في مواضع مبتذلة، وهذه المعاني لا يدركها إلاّ من له عناية بنظم الكلام ونسقه.

لقد تنبّه "**أبو هلال العسكري**" إلى ذلك في تفريقه بين الحلم والإمهال، بحيث تدل اللفظة الأول على صفة المدح (الحسن)، أما الثانية فتدل على صفة الذم (القبح)،كما يشير أيضا إلى أنه يصح القول أنّكل حلم يمكن أن يكون إمهالا، ولا يمكن القول أن كل إمهال حلما، فالحلم تدل على صفة الحسن والمدح، أما الإمهال

[1]- محمد محمود موسى الزواهرة، الفروق اللغوية عند الراغب الأصفهاني في كتابه المفردات وأثرها في دلالات الألفاظ القرآنية، ص. 22

[2]- أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص. 201

[3]- المصدر نفسه، ص. 202

فتدل على صفة الذم، وبالتالي الحلم من الأخلاق والقيم الحميدة الحسنة، "ومن هنا فإنّه لا يقال لتارك الظلم حليم، بل يقال إنّه ذليل، وأما الإمهال فهو التأخير مطلقاً، ومن ثم فهو أعم من "الحلم"، ولذلك يقول "أبو هلال": الإمهال مبهم، وهذا العموم جعل الكلمة قد تدخل في القيم المستحسنة وقد تدخل في القيم المستقبحة"([1]).

. الفرق بين الكذب والخَرْصِ "أنّ الخرص هو الحزْر، وليس من الكذب في شيء، والخرص ما يُخْزَرُ من الشيء، يقال كم خرص نخلك؟ أي: كم يجيء من ثمرته؟ وإنما استعمل الخرص في موضع الكذب، لأن الخرص يجري على غير تحقيق فشبه بالكذب، واستعمل في موضعه، وأما التكذيب فالتصميم على أن الخبر كذب بالقطع عليه، ونقيضه التصديق، ولا تطلق صفة المكذب إلاّ لمن كذب بالحق، لأنها صفة ذم، ولكن إذا قيدت فقيل: مكذب بالباطل، كان ذلك مستقيما وإنما صار المكذب صفة ذم، وإن قيل: كذب بالباطل لأنه من أصل فاسد، وهو الكذب فصار الذم أغلب عليه، كما أن الكافر صفة ذم وإنّ قيل كفر بالطاغوت لأنه من أصل فاسد وهو الكفر"([2])، ومنه فالكذب قصد بها صفة الذم، وذلك عند استعمال الخرص مكان الكذب، فصفة المكذب لا تطلق إلاّ للشخص الذي يكذب، وبهذا يكون المكذّب يدل على صفة الذم، وأما كلمة "الخرص" فمعناها مختلف عن معنى الكذب، فالخرص يدل على كل ما ينتجه الشخص من ثمرته.

إنّ الوقوف على الأصول الثلاثة التي أشتق منها اللفظ يعني الوقوف على حقيقة معناه، فإرجاع اللفظ إلى أصله المشتق يساعد على تبيان المعاني الدقيقة، التي أثرها في سياق النص والعبارات، فأصل الخرص مأخوذ من الفعل (خَرَصَ)، بينما الكذب فمأخوذ من الفعل (كَذَبَ)، فقد اعتمد "**العسكري**" في تفريقه هذا على ظاهرة المصاحبة اللّغوية، أو ما يسمى بالاقتران اللفظي، الذي ساهم بشكل كبير في تحديد المعنى وتوضيحه.

[1]- محي الدين محسب، التحليل الدلالي في الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري، ص. 30

[2]- أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص. 45

. **الفرق بين الخجل والحياء** "أنّ الخجل معنى يظهر في الوجه لغمّ يلحق القلب عند ذهاب حجة، أو ظهور على ريبة، وما أشبه ذلك فهو شيء تتغير به الهيّبة، والحياء هو الارتداع بقوة الحياء، ولهذا يقال: فلان يستحي في هذا الحال أن يفعل كذا، ولا يقال: يخجل أن يفعله في هذه الحال لأنّ هيئته لا تتغير منه قبل أن يفعله، فالخجل مما كان، والحياء مما يكون، وقد يستعمل الحياء موضع الخجل توسعًا، وقال ابن الأنباري: أصل الخجل في اللغة الكسل، والتواني، وقلة الحركة في طلب الرزق، ثم كثر استعمال العرب له حتى أخرجوه على معنى الانقطاع في الكلام، وفي الحديث: إذا جعتن وقعتن، وإذا شبعتن خجلتن، وقعتن أي: ذللتن وخجلتن كسلتن"([1]).

لقد فرق "**أبو هلال العسكري**" بين هذه الثنائية، وذلك بالاعتماد على معيار السياق، والمتمثل في المصاحبة اللفظية أو الاقتران اللّفظي، فالسياق يعدّ المعيار الأساسي للتفريق بين الألفاظ المترادفة، فقرينة السياق دائمًا حاضرة، وفي هذا المعيار اعتمد على قرينة سياق الحال، وذلك لإثبات الفروق، وكذا عبر معيار اختلاف الصفة، وكل ما يحمله كل لفظ من الملامح الدلالية المميزة، سواء كانت سلبية أو إيجابية، فقد عدّ الخجل كل ما يظهر في الوجه من غمّ يلحق القلب وما شابه، في حين اعتبر الحياء امتناع بقوة الحياء، فعلى سبيل المثال: يقال: فلان يستحي من كذا، ولا يقال: فلان يخجل من فعل كذا، فالسياق ساهم بشكل كبير في تحديد مقصدية هذه الألفاظ وذلك بعد ترابطها مع غيرها من الألفاظ.

. الفرق بين الحزن والكآبة: "أنّ الكآبة أثر الحزن البادي على الوجه ومن ثم يقال عليه كآبة، ولا يقال: علاه حزن أو كرب، لأن الحزن لا يرى، ولكن دلالته على الوجه، وتلك الدلالات تسمى كآبة والشاهد قول النابغة:

إذَا حَلَ بالأَرْضِ البَرِيَةِ أصْبَحَتْ كَئِيْبَةً وجْهِ غِبُّها غَيْرَ طَائِل

فجعل الكآبة في الوجه"([2]).

[1]- أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص. 244

[2]- المصدر نفسه، ص.267

يتبين من هذا أن هناك فارق دلالي بين لفظتي "الحزن والكآبة"، بحيث أن الحزن يكون مضمرًا، أي مخفيًا في القلب، بينما الكآبة تكون ظاهرة أي تظهر على الوجه، ولذلك لا يصح أن نقول: علاه الحزن أو الكآبة، لأن الحزن لا يرى، ولكن دلالته تظهر على الوجه، وهذا ما يسمى بالكآبة، إذْ يعبّر عن حالة الشخص، ويظهر ذلك من خلال وجهه إذا كان حزينًا أو فرحًا.

لقد اعتمد "**أبو هلال العسكري**" في إبراز الفرق بين الحزن والكآبة على معيار اختلاف صفات المعنيين، وسياق الحال الذي ساهم بشكل كبير في تحديد الفرق بين هاتين الثنائيتين وتوضيح المعنى الدقيق لهما.

. اختلاف ما يؤول إليه المعنيين:

وهو معيار أمثل يعين في التفريق بين الألفاظ "إذ أنّ ما يؤول إليه المعنى هو فارق دلالي ودلالة استقلالية يُبحث عنها([1])،وتحديد الفروق اللّغوية بين الكلمات يحتاج إلى هذا المعيار، لكونه يساهم في استخراج الصفات اللغوية والدلالية لكل لفظ، ويمثل "**أبو هلال العسكري**" لهذا المعيار بعدة أمثلة منها:

. الفرق بين الأخذ والتناول: يقول "**العسكري**": "أنّ التناول أخذ الشيء للنفس خاصة ألا ترى أنك لا تقول تناولت الشيء لزيدٍ، كما تقول أخذته لزيد فالأخذ أعمّ، ويجوز أن يقال: إنّ التّناول يقتضي أخذ شيء يستعمل في أمر من الأمور فيقال: تناول زيداً كما يقول: أخذ زيداً، وقوله تعالى: "وإذَا أَخَذْنَا مِنْ النَّبِيينَ مِيثَاقَهُمْ" (الأحزاب، الآية7). ولم يقل تناولنا، وقيل التناول أخذ القليل المقسوم إليه، ولهذا لا يقال: تناولت كذا من غير قصد إليه ويقال: أخذته من غير قصد"([2]).

[1]- ينظر محمد محمود موسى الزواهرة، الفروق اللغوية عند الراغب الأصفهاني في كتابه المفردات وأثرها في دلالات الألفاظ القرآنية، ص. 22

[2]- ينظر أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص. 139

يتضح من خلال هذا القول أنّ **"أبا هلال العسكري"** اعتمد على السّياق التركيبي، فالمعنى يفهم من السياق، وعلى الرغم من وجود تشابه كبير بين هاتين اللفظتين، إلاّ أنهما تؤولان إلى معنى واحد، وهو الأكل أي أكل الشيء، فالأخذ أعم من التناول، ذلك أنّ الأخذ يستعمل في أمر من الأمور لتحقيق التناول، ففي قول **"العسكري"**: "تناول زيداً" أي تناول لنفسه فقط، و"أخذ زيداً" أخذ لنفسه ولغيره، فالجملتان تحملان المعنى نفسه، بينما في قوله تعالى: "وإذا أخذنا من النّبيين ميثاقهم"، فالله تعالى لم يقل تناولنا، ذلك أنّ التناول يقتضي أخذ الشيء للنفس واستعماله، ولذا فإنّ الأخذ يكون من غير قصد، أمّا التناول فلا يكون إلاّ بقصد، فكل لفظ يحمل معنى خاصاً به وفق الكلام الذي سيق فيه وتؤدي قصدية كلامية معينة.

. **الفرق بين المزاح والاستهزاء** "أنّ المزاح لا يقتضي تحقير من يمازحه ولا اعتقاد ذلك، ألا ترى أن التابع يمازح المتبوع من الرؤساء والملوك، ولا يقتضي ذلك تحقيره ولا اعتقاد تحقيرهم، لكن يقتضي الاستئناس بهم والاستهزاء يقتضي تحقير المستهزأ به واعتقاد تحقيره"([1])، فلفظتي: "المزاح" و"الاستهزاء" مختلفتان، وذلك أنّ الأولى لا تقتضي التحقير بينما الثانية تقتضيه، وقد اكتفى **"أبو هلال العسكري"** في تفريقه بين هاتين اللّفظتين بإبراز كل ما يشعر به المتحدث، ولا يمكن للمستمع أن يدرك شعوره إلاّ إذا أظهره له المتحدّث، ولقد اعتمد في هذا المعيار للتفريق بين الكلمتين على التحقير والاستئناس، فالمعنى السياقي الذي أراد **"أبو هلال العسكري"** الإشارة إليه هو "الاحتقار"، التي تدل على إنسانية العبد، فهما تشيران إلى معنى واحد.

أدرك الدكتور "محي الدين محسب" أنّ هناك نوع من الغموض في هذا الضابط، يقول: "في هذا المعيار عبارة غامضة فهل يقصد أبو هلال أنّ المعنى قد يؤول إلى اعتقاد المتكلم، فإذا كانت عبارته على نية "التحقير" فذلك "استهزاء"، وإلاّ فهو مزاح؟ أو أنه يعنى أن المعنى قد يؤول إلى ما يعتقده المخاطب، فإذا أحس في الكلام

[1]- ينظر أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص. 254

تحقيراً فذلك استهزاء وإلا فهو مزاح"([1])، ويتضح من هذا أن ثمة غموض في هذا الاعتبار، فإذا كان الكلام يدور بين شخصين، سواء كان متكلما أو مستمعا، فإنّ المعنى يمكن أن يؤول إلى ما يعتقده المستمع، وهذا سبب الغموض، نحو إذا نطق عبارة التحقير، وذلك على نية التحقير، لا يكون إلاّ استهزاء على الشخص السامع، فهنا المتكلم يظهر ما يحسه فهو على دراية إذا كان صادقا في ذلك أولا، وهنا لا يمكن للمستمع أن يعرف حقيقة إحساسه، إلاّ إذا أظهره المتكلم من خلال كلامه.

. الفرق بين العبث واللّعب واللّهو "أنّ العبث ما خلا من الإرادات إلاّ إرادة حدوثه فقط، واللهو واللعب يتناولهما غير إرادة حدوثهما إرادة وقعاً بها لهواً ولعباً، ألا ترى أنه يجوز أن يقعا مع إرادة أخرى، فيخرجا عن كونهما لهوا ولعباً"([2])، والمقصود هنا أنّ كل واحدة من هذه الكلمات لها معنى خاص بها، بالرغم من تقاربهما الدلالي، فالعبث يدل على إرادة الحدوث فقط، أي يكون خال من الإرادات، أما اللعب واللهو فيكونان بغير إرادة حدوثهما، وقيل عن اللعب أنّه "عمل للذّة لا يراعي فيه داعي الحكمة، كعمل المبني لأنه لا يعرف الحكيم ولا الحكمة وإنما يعمل للذة"([3])،أي أن اللّعب هو ما يقوم به أيّ عمل لما يرغب به، بمعنى عمل للذة، وهنا يكون بعيداً عن الحكمة، فهذه الألفاظ: العبث واللعب واللهو وردت في سياق فني مقصود، تتقدم إحداهما في موضع، وتتأخر في موضع آخر، لتعطي في كل تقديم وتأخير دلالة خاصة، لا تقوم مكانها دلالة أخرى.

كما ورد "الفرق بين اللّعب واللّهو" في موضع آخر، حيث يقول "**أبو هلال العسكري**": "قد يكون اللعب ليس يلهو، لأن اللّعب يكون للتأديب كاللعب بالشطرنج، ولا يقال لذلك لهو، وإنما اللّهو لعب لا يعقب

[1]- محي الدين محسب، التحليل الدلالي في الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري، ص. 32

[2]-أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص. 254

[3]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

نفعاً، وسمي لهواً لأنه يشغل عما يعنى من قوله تعالى:{أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرَ} [التكاثر:1]"([1])، فـ "**العسكري**" اعتبر اللّعب للتأديب كاللعب بمختلف الألعاب كالشطرنج، واللعب لا يطلق عليه لهواً، وإنما يقصد باللّهو أنه ليس فيه نفع، أي أنّه كل ما يشغل الشخص، ومثال ذلك قوله تعالى: ألهاكم التكاثر أي أشغلكم التكاثر.

. **الفرق بين الجد والانكماش** "أن الانكماش سرعة السّير، يقال: انكمش سيره إذا أسرع فيه، والجد صدق القيام في كل شيء، تقول جدّ في السّير وجدّ في إغاثة زيد وفي نصرته، ولا يقال انكمش في إغاثة زيد ونصرته إذ ليس مما تصح فيه السرعة"([2])، ومنه فالانكماش يدل على السّرعة، نحو انكمش الرجل في مشيه، أي أسرع في سيره، أما الجد فيقصد به القيام بعمل ما بكل صدق، مثلاً جدّ في إغاثة زيد، أي اجتهد في ذلك، وهنا لا يمكن أن نقول انكمش في إغاثة زيد، وبهذا فإنّ "**أبا هلال العسكري**" استطاع أن يفرق بين هاتين اللفظتين بتقديم كل واحدة منها معنى خاصاً بها.

. اختلاف الحروف التي تعدى بها الأفعال:

أكّد "**أبو هلال العسكري**" أنّ كل حرف يمكن أن يكون له دلالة خاصة به، فيقول: "إنّ كل حرف من حروف المعاني يحمل في طيّاته معنى خاصاً به لا يشاركه فيه غيره من حروف، وهذه حروف على الصحيح من أقوال أهل العلم لا يقع فيها تضمين، فالتضمين هنا واقع في الأعمال التي عدّيت بهذه الأحرف، فإذا كان الفعل لا يقبل التعدية إلاّ بحرف معيّن وإذا كان الفعل لا يقبل التعدية أيضا إلاّ بحرف آخر، هذا دليل على أنّ لكل فعل

[1]- أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص. 254

[2]- المصدر نفسه، ص. ص. 255 ، 256

من هذه الأفعال المتقاربة معنى خاص به يحمله ولا يحمله الفعل الآخر، وذلك بدليل عدم قبوله للتعدية بحرف غير هذا الحرف أو عدم اشتراكه مع الفعل الآخر في التعدية بحرف من حروف المعاني"([1]).

إنّ كل حرف يحمل دلالة خاصة به، لا يمكن أن تكون نفسها مع غيرها من الحروف، وعادة ما لا يكون في هذه الحروف تضمين، أي أنّ كل فعل لا يقبل التعدية، إلاّ بمجاورته لحرف معين، فالتضمين هنا من الأعمال التي عدّيت بهذه الأحرف، وهذا يدل على أنّ كلّ فعل من الأفعال التي تتقارب في المعنى يحمل معنى ودلالة خاصة به، وذلك بعدم قبوله للتعدية غير ذلك الحرف، وعدم اشتراكه مع الأفعال الأخرى في التعدية بحرف من حروف المعاني.

بناءً على هذا عدّ "**أبو هلال العسكري**" اختلاف الحروف التي تعدى بها الأفعال معياراً من معايير معرفة الفروق اللغوية بين الكلمات، وقد جعل لهذا المعيار عدة أمثلة للتفريق بينها، ومن بينها:

. **الفرق بين العفو والغفران** "أنّ الغفران يقتضي إسقاط العقاب، وإسقاط العقاب هو إيجاب التواب، فلا يستحق الغفران إلا المؤمن المستحق للثواب ولهذا لا يستعمل إلا في الله: فيقال، غفر الله لك، ولا يقال غفر زيد لك، إلا شاذا قليلاً، والشاهد على شذوذه أنه لا يتصرف في صفات العبد، كما يتصرف في صفات الله تعالى، والعفو يقتضي إسقاط اللّوم والذم، ولا يقتضي إيجاب الثواب ولهذا يستعمل في العبد فيقال: عفا زيد عن عمرو، وإذا عفا عنه لم يجب عليه إثابته إلاّ أن العفو والغفران لما تقارب معناهما تداخلاً، واستعملا في صفات الله جل اسمه على وجه واحد، فيقال عفا الله عنه. وغفر له بمعنى واحد، وذلك أنك تقول: عفا عنه، فيقتضي ذلك إزالة شيء عنه، وتقول: غفر له فيقتضي ذلك إثبات شيء له"([2]).

[1]–محمد محمود موسى الزواهرة، الفروق اللغوية عند الراغب الأصفهاني في كتابه المفردات وأثرها في دلالات الألفاظ القرآنية، ص. ص. 23 ، 24

[2]– أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص. ص. 235، 236

يتبين من خلال التفريق بين ثنائية "العفو والغفران" أنّ العفو أبلغ من الغفران، وذلك حسب السياق الذي وردت فيه، وأنّ الغفران يقتضي إسقاط العقاب وإيجاب الثواب، والغفران لا يستحقه إلا المؤمن المستحق للثواب، ودائما كلمة "الغفران" تستعمل في الله، كقولك: غفر الله لك، وأما العفو فيقتضي إسقاط اللوم والذم، ولا يقتضي الثواب، وهنا يتضح أن هناك اختلاف من حيث الحرف الذي يتعدى به الفعل، على سبيل المثال: عفا عنه: أزال الشيء عنه، وغفر له، بمعنى إثبات شيء له، ولقد اعتمد "**أبو هلال العسكري**" على التجاوز، أي التجاوز عن الذنب للتفريق بينهما، وهنا أشار إلى أنّ كلتا الكلمتين تدلان على معنى واحد، وهذا دليل على أنه هناك سياقات تترادف فيها هاتان الكلمتان، نحو: الغفران = الثواب، العفو = إسقاط اللوم، وبالرغم من ترادفهما في المعنى، إلاّ أنّه ثمة العديد من الملاحظات في مضمونها حسب "محي الدين محسب"، وهي كالآتي ([1]):

. من الغريب أن يقصر أبو هلال (يغفر) على الله تعالى فقط، ومبعث هذه الغرابة أننا نجد إسناد يغفر إلى غير الله مثل ولمن صَبَرَ وغَفَرَ [الشورى 43].

. يبدو البعد الكلامي المستمد من اعتزالية أبي هلال العسكري واضحاً في فكرة إيجاب الثواب، ومن ثم فإنّ هذا المكون الدلالي في دالة الغفران مستمداً من تحديد لدلالة اللفظ.

. يلاحظ أن الاعتبار الذي أقام عليه أبو هلال استدلاله في النص الأول يجعل اختلاف الحرف الذي يتعدى به الفعل أساسا للتفريق، غير أنّ هذا الاعتبار يبدو في النص الثاني نوعا من "القرينة التركيبية"، فإنّ هذه القرينة لا تطرد بذاتها أساسا للتفريق وفي إشارة أبي هلال نفسه إلى أن (عفا الله عنه) أو (غفر الله له) "بمعنى واحد" دليل على أن ثمة سياقات يترادف فيها هذان التركيبان على الرغم من وجود هذه القرينة، بل ثمة تركيبان يستخدم فيهما حرف التعدية "اللام" في كلا الفعلين: (غفر له ذنبه) و(عفا له ذنبه).

[1]- محي الدين محسب، التحليل الدلالي في الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري، ص. ص. 35، 36

. ومن اللافت للنظر أن أبا هلال العسكري يفرق بين الصفح والغفران محددا الصفح بأنه التجاوز من الذنب، وقيل هو ترك مؤاخذة المذنب بالذنب، ويلاحظ هنا أنه لم يفرق بين صفح عن وعفا عن وتجاوز عن وكان اتفاقها جميعاً على حرف التعدية سبباً في تركه التفريق بينها حتى لا ينتقض المعيار.

. ربما تصلح فكرة التجاوز عن الإساءة مقولة دلالية، وفي هذه الحالة تضم إليها مفردات أخرى لم يشر إليها أبو هلال ومنها سامحه، عذره، وهي كلها تشترك في المكونات الدلالية أفعال إنسانية تتم بين طرفين (أ، ب)الآخر يتجاوز عن الآخر.

. **الفرق بين الهداية والنجاة** "أن النجاة تفيد الخلاص من المكروه والهداية تفيد التمكن من الوصول إلى الشيء، ولفظهما ينبئ عن معنييهما وهو أنك تقول: نجاة من كذا وهداه إلى كذا، فالنجاة تكون من الشيء، وإنما ذكرناهما، والفرق بينهما لأن بعضهم ذكر أنهما سواء"([1]).

لقد جعل "**أبو هلال**" اعتبار الحروف التي تعدى بها الأفعال عاملاً مهما لمعرفة الفروق الدلالية الموجودة بين ثنائية، ويتبين من خلال تفريقه أن الكلمتين مختلفتين، فكل واحدة تدل على معنى خاص بها، فمثلاً الهداية هي أن تصل إلى شيء ما، أي الوصول إلى هدف ما بعيداً عن النظر إلى طبيعته، كما يتضح أن فعل الهداية هو "اهتدى" يتعدى بحرف الجر "إلى"، أما النجاة فهي خلاص من المكروه، كما أن الفعل نجا يتعدى بحرف "من"، ففي الفعل الأول انتقال من خطر يهددنا إلى أمان ننعم به، بينما الفعل الثاني هو انتقال من حالة إلى أخرى.

يتّضح مما تقدم أن للسياق اليد في ردّ الترادف، والبحث وراء المعاني الدقيقة للألفاظ المتقاربة، وهذا التفريق ذو أهمية كبيرة، فهو يؤدي إلى المعرفة بوجود الكلام والوقوف على حقائق معانيه. والفرق يكمن في هاتين اللفظتين في أنّ النجاة تكون من الشيء، أما الهداية فتكون إلى الشيء، فهاتان اللفظتان تحملان معنًى خاصا بها، مما جعل كلّ واحدة منهما تتناسب في موضع وترفض في موضع آخر، وهذا لصعوبة وغموض معنى تلك اللفظة

[1]- أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص. 210

أو الجملة بصفة عامة، ولذا فمن خلال سياقهما يتضح الفرق والمعنى بينهما، وذلك تبعًا لمعيار اختلاف الحروف التي تعدّى بها الأفعال.

. الفرق بين الحدوث والإحداث "أنّ الإحداث والمحدث يقتضيان محدثاً من جهة اللفظ، وليس كذلك الحدوث والحادث، وليس الحدوث والإحداث شيئاً غير المحدث والحادث. وإنما يقال ذلك على التقدير وشبه بعضهم ذلك بالسراب وقال: هو اسم لا مسمى له على الحقيقة وليس الأمر كذلك، لأنّ السراب سبخة تطلع عليها الشمس فتبرق، فيحسب ماء فالسراب على الحقيقة شيء إلاّ أنه متصور بصورة غيره، وليس الحدوث والإحداث كذلك"([1]).

يرى "**أبو هلال العسكري**" أنّ الإحداث والمحدث يستدعيان وجود محدث لتلك الألفاظ، والأمر ليس نفسه بين الحدوث والحادث، وهذه اللفظتين تختلفان كلياً عن الحدوث والإحداث، فالإحداث يدل على أمر غير محدث وحادث، ولذلك يصح قوله على التقدير، نحو: اسم لا مسمى له في الحقيقة، وهنا يظهر الاختلاف بين هذه الألفاظ، على سبيل المثال عند قولنا: السراب على الحقيقة شيء، دليل على أنه استحضره بصورة أخرى. وبذلك بين "**أبو هلال العسكري**" أنّ بين هذه الثنائية فارق دلالي كبير، وكل واحدة تحمل معناها الخاص، وذلك اعتماداً على عوامل تعينه في التفريق بينهما وهي المحدث والحادث، التصور بصورة حقيقية، التقدير.

تتحدّد دلالة هاتين اللفظتين من خلال السياق الذي وردت فيه، فلا معنى لها خارج السياق، والمعنى ربما يختلف طبقا للسياق، الذي قيلت فيه أي دراسة المعنى على مستوى التركيب، فالإحداث والمحدث يقتضيان محدثًا من جهة اللفظ، وليس كذلك الحدوث والإحداث، فلكل لفظة وظيفتها الخاصة بها التي تختلف فيها عن غيرها من الكلمات، وهذه الوظيفة أو الدلالة هي التي جعلت هذه اللفظة تناسب هذا الموضع، وتلك أنسب في موضع آخر.

[1]- أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص. 133

. **الفرق بين الإحباط والتكفير** "أنّ الإحباط هو إبطال عمل البر من الحسنات بالسيئات وقد حبط هو ومنه قوله تعالى:{وحَبَطَ مَا صَنَعُوا فِيْهَا} [هود:16] وهو من قولك حبط بطنه إذا فسد بالمأكل الرديء، والتكفير إبطال السيئات بالحسنات وقال تعالى:{كَفَرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ}[محمد:2]"([1])، فالإحباط هو عدم إجراء وتحقيق شخص ما لهدف أو عمل معين، أي القيام بأعمال سيئة مكان الأعمال الحسنة، في قوله تعالى: وحبط ما صنعوا فيها "وذهب عنهم ثواب أعمالهم، وأعمالهم باطلة لأنها لم يسبقها إيمان ولا قصد صحيح فلم يريدوا بها وجه الله والدّار الآخرة"([2])، أي ذهب عنهم نفع ما عملوه، وكان عملهم باطلاً، لأنه لم يكن لوجه الله، وهنا سيذهبهم الله ثواب أعمالهم، لأنها لم يسبقها إيمان، بينما التكفير هو الابتعاد عن السيئات وإبطالها واستبدالها بالحسنات في قوله تعالى: كفر عنهم سيئاتهم "وآمنوا بما نزّله الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم – وهو الحق من ربّهم – كفر عنهم سيئاتهم فلا تؤاخذهم بها، وأصلح لهم شؤونهم الدنيوية والأخروية"([3])، أي أصلح بالهم وشأنهم وحالهم وما تعلق بدنياهم، وهنا يتضح أنّ "**أبو هلال**" اعتمد على عوامل ساعدته في التفريق بينهما وهي الإبطال، السيئات، الحسنات.

لقد كان السّياق عند "**أبي هلال العسكري**" المعيار الأمثل لتحديد وتبيان الفروق الدلالية بين الألفاظ المترادفة، فالإحباط يدل على القيام بعمل سيء مكان عمل حسن، بينما التكفير عكس الإحباط، أي إبطال السيئات، كما ساهم أيضا إرجاع الكلمة إلى أصلها الثلاثي في توضيح المعنى والفرق، وذلك بعد توظيفها في سياق معين، مما منح لها دلالة معينة وواضحة.

[1]- أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص. 236

[2]- جماعة من علماء التفسير، المختصر في تفسير القرآن الكريم، ص. 223

[3]- المرجع نفسه، ص. 507

. اختلاف النقيض:

اعتبر "**أبو هلال العسكري**" هذا الضابط من بين الضوابط المهمة لمعرفة الفروق، حيث يقول: "ولو لم يعتبر في الفرق بين هاتين الكلمتين وما بسبيلهما النقيض لصعب معرفة الفرق بين ذلك" ([1])، وكلمة النقيض يقصد بها ما يناقض كل فعل من الأفعال التي اعتبروها مترادفة ترادفاً تاماً "فوجود نقيض لفعل ما ولا يكون هذا النقيض هو نفس نقيض الفعل الآخر دليل على أنّ هناك فروقاً بين كل فعل من هذه الأفعال([2])، بمعنى أنه إذا كان هناك نقيض لفعل من الأفعال لا يمكن أن يحمل نفس دلالة الفعل الآخر، أي نقيض ذلك الفعل يختلف عن نقيض الفعل الآخر، وبهذا دعا "**أبو هلال العسكري**" إلى استخدامه لنفي الترادف بين هذه الألفاظ، بدليل أنه هناك فروقات لغوية بين كل فعل من الأفعال.

هناك العديد من العلماء اللغويين والمفسرين الذين رفضوا فكرة الترادف، واعتمدوا على معيار الضدية في الكشف عن الفروق اللغوية بين الألفاظ، وشاع بينهم أنّ "علاقة الضدية من أقرب العلاقات الدلالية تواردا على الأذهان فبمجرد ذكر معنى من المعاني يدعو ضد هذا المعنى إلى الذهن" ([3])،ولقد قدّم "**أبو هلال العسكري**" في هذا الشأن مجموعة من الأمثلة، من بينها:

. الفرق بين الحفظ والرعاية "أن نقيض الحفظ الإضاعة ونقيض الرعاية الإهمال، ولهذا يقال للماشية إذا لم يكن لها راع: هَمَلَ، والإهمال هو ما يؤدي إلى الضياع، فعلى هذا يكون الحفظ صرف المكاره عن الشيء لئلا يهلك، والرعاية فعل السبب الذي يصرف المكاره عنه، ومن ثم يقال: فلان يرعى العهود بينه وبين فلان، أي: يحفظ

[1]- أبو هلال العسكري، الفروق في اللغة، ص. 18

[2]- محمد محمود موسى الزواهرة، الفروق اللغوية عند الراغب الأصفهاني في كتابه المفردات وأثرها في دلالات الألفاظ القرآنية، ص. 24

[3]- ربيع محمد محمد حنفي، معايير أبي هلال العسكري الدلالية ودورها في إثبات الفروق اللّغوية دراسة وصفية، ص. 12

الأسباب التي تبقى معها تلك العهود، ومنه راعى المواشي لتفقده أمورها، ونفي الأسباب التي يخشى عليها الضياع منها. فأما قولهم للساهر: إنّه يرعى النجوم فهو تشبيه براعي المواشي، لأنه يراقبها كما يراقب الراعي مواشيه"([1]).

يتضح من خلال هذا أن هاتين اللفظتين متناقضتين، فلفظة "الحفظ" نقيضها "الإضاعة"، بينما "الرعاية" فنقيضها هو "الإهمال"، فالحفظ هو صرف المكاره، أما الرعاية ففعل السبب الذي يصرف المكاره عنه، ويقال للماشية التي ليس لها راع يقوم برعايتها أنها مهملة، والإهمال هو ما يؤدي إلى الضياع "وكان أبو هلال العسكري يرى أن وضوح العلاقة السببية بين "الإهمال" و"الإضاعة"، وكونهما –في الوقت نفسه– نقيضين لـ "الحفظ" و"الرعاية" يكشف عن علاقة سببية مماثلة بين هاتين الدالتين الأخيرتين"([2])، وعلى سبيل المثال:

– حفظ الرجل سيارته.

– رعى الرجل سيارته.

فهنا يتبين أنّ حفظ الشيء يكون مطلقاً، ولا يدوم كثيراً، في حين أنّ رعاية الشيء يكون بالصيانة، ويتبعه الاستمرار. فـ **"أبو هلال العسكري"** اعتمد على مقياس المقابلة أو الضد بالنقيض للكشف عن الفروق الدقيقة بين هذه الألفاظ، ولو لم يكن اعتماد النقيض لصعب التفريق بين هذه الكلمات، وذلك استنادًا إلى سياقها الذي وردت فيه، فالضد هنا يكون لفظيًا وليس معنويًا، وهو من الأسس الدقيقة في اكتشاف الفرق اللّغوي.

. **الفرق بين التضاد والتناقض** "أنّ التناقض يكون في الأقوال، والتضاد يكون في الأفعال يقال: الفعلان متضادان، ولا يقال: متناقضان، فإذا جعل الفعل مع القول أستعمل فيه التضاد، فقيل: فِعْلُ زيد يضاد قوله: وقد يوجد النقيضان من القول، ولا يوجد الضدان من الفعل. ألا ترى أنّ الرجل إذا قال بلسانه: زيد في الدار، في حال قوله في الضد إنّه ليس في الدار، فقد أوجد نقيضين معاً، وكذلك لو قال أحد القولين بلسانه، وكتب الآخر

[1]– أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص. 205

[2]– محي الدين محسب، التحليل الدلالي في الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري، ص. 37

بيده، أو أحدهما بيمينه، والآخر بشماله ولا يصح ذلك في الضدين، وحد الضدين هو: ما تنافيا في الوجود، وحد النقيضين، القولان المتنافيان في المعنى دون الوجود، وكل متضادين متنافيان وليس كل متنافيين ضدين"([1])، ويقول "**أبو هلال**" في هذا الصدد في تمييزه بين هاتين اللفظتين: "أنّ التنافي لا يكون إلاّ بين شيئين يجوز عليهما البقاء، والتضاد يكون بين ما يبقى وما لا يبقى"([2]).

يتبين من هذا أنّ "**أبا هلال العسكري**" ميّز ووضع فروقاً دلالية بين ثنائية التضاد والتناقض، فالتناقض غالباً ما يأتي في العبارات والأقوال، بينما التضاد يكون مصاحباً بالأفعال، فلا يصح القول أنّ الفعلين متناقضين وإنما متضادان، على سبيل المثال إذا استخدمنا فعل ما في عبارة يكون فيه تضاد، نحو: فعل زيد يضاد. وهنا يأتي القول يعبر على النقيض وليس على التضاد، وإذا قلنا زيد في الدار وضده زيد ليس في الدار، فهنا أيضا ورد نقيضا أي وارد على شكل قول ليس فعل، وبذلك يتبين أنّ حدّ الضدّين هو ما تنافى في الوجود، وحد النقيض القولان المتنافيان في المعنى دون الوجود، وكل متضادين متنافيين، وعلى هذا الأساس اعتمد في التفريق بينهما على عوامل الأقوال والأفعال والنفي والوجود.

إنّ التفريق بين هذه الثنائية لم يأت عشوائيا، وإنّما كان وفقًا لسياق معين، فهو الذي يحدّد الكلمة في أحوال ورودها في التركيب، فللكلمة معان متنوعة لا ينكشف المعنى المراد بها، إلاّ من خلال السياق الذي قيلت فيه، و"**أبو هلال العسكري**" استعمل مقياس المقابلة والضدية والنقيض للتفريق بينهما، للوصول لفرق دلالي واضح ومعنى دقيق.

. **الفرق بين الأعلى وفوق** "أنّ أعلى الشيء منه يقال: هو في أعلى النخلة، يراد أنه في نهاية قامتها. وتقول: السماء فوق الأرض فلا يقتضي ذلك أن تكون السماء من الأرض، وأعلى يقتضي أسفل، وفوق يقتضي تحت،

[1]- أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص. 44

[2]- المصدر نفسه، ص. 157

وأسفل الشيء منه، وتحته ليس منه ألا ترى أنه يقال: وضعته تحت الكوز، ولا يقال وضعته أسفل الكوز بهذا المعنى، ويقال: أسفل البئر، ولا يقال تحت البئر"([1])،ومنه فهناك تناقض بين هاتين اللفظتين (الأعلى وفوق)،بحيث أنّ أعلى يقتضي أسفل، وفوق يقتضي تحت، ويقول أعلى النخلة ويقصد بها نهاية شجرة النخلة قامتها، ويقول أيضا أنه يصح أن نقول السماء فوق الأرض، وليس السماء تحت الأرض، كما يصح أيضا أن نقول أسفل البئر، وليس تحت البئر، فكلّ لفظة لها محلها في الجملة لكي يتضح معناها، وهذا ما يؤكّد عدم وجود ترادف بين اللفظتين، فالسياق هنا يتبين من خلال حركة الألفاظ داخل الجملة، وبها يتضح المعنى، وبذلك فإنّ أعلى نقيض أسفل وفوق نقيض تحت، وهذا يعين في إبراز الفروق بينها.

. الفرق بين المختلف والمتضاد "أنّ المختلف اللذين لا يسدّ أحدهما مسدّ الآخر في الصفة التي يقتضيها جنسه مع الوجود كالسواد والحموضة، والمتضادان هما اللذان ينتفي أحدهما عند وجود صاحبه إذا كان وجود هذا على الوجه الذي يوجد عليه ذلك كالسواد والبياض، فكل متضاد مختلف، وليس كل مختلف متضاداً، كما أن كل متضاد ممتنع اجتماعه، وليس كل ممتنع اجتماعه متضاداً وكل مختلف متغاير، وليس كل متغاير مختلفاً، والتضاد والاختلاف قد يكونان في مجاز اللّغة سواء، يقال زيد ضدّ عمرو إذا كان مخالفا له"([2])، ومنه فالمختلف هو الذي لا يسد أحدهما مسد الآخر في الصفة، كقولنا: السواد والحموضة، فهما لفظتان مختلفتان في المعنى، بينما المتضاد هو التناقض الذي نجده بين كلمتين، وذلك في قولنا: السواد والبياض، فهما لفظتان متشابهتين لكن متناقضتين، ويدعم "**أبو هلال**" قوله هذا بمقولة: فكل متضاد مختلف وليس كل مختلف متضاداً.

لجأ "**أبو هلال العسكري**" للتفريق بينهما إلى استدعاء علاقة دلالية لنفي الترادف، وهي العلاقة الضدية، فهنا لا يمكن الاعتماد على معيار الضدية لوحده لبيان الفرق اللّغوي بين المترادفات، وذلك لسبب غموض

[1]- أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص. 185

[2]- المصدر نفسه، ص. 157

الضدية بين اللفظتين، ولابد من استدعاء معيار السياق، والمتمثل في الاقتران اللفظي، ومعيار أصل الوضع اللّغوي، وذلك بالرجوع إلى الاشتقاق ومعيار الدلالة الحقيقية والمجازية، وهذا لعلة أن يكون معيار اختلاف النقيض ضمن معيار آخر لتحديد الفرق والمعنى الدقيق.

. **الفرق بين السكون والحركة** "أنّ السكون يوجد في الجوهر في كل وقت، ولا يجوز خلوه منه، وليس كذلك الحركة، لأن الجسم يخلو منها إلى السكون"([1])، هذه الثنائية بعيدة كل البعد عن الترادف، فالسكون موجود في كل الأوقات، أي شيء موجود بالفطرة دائما، بينما الحركة شيء لا يدوم، أي أنه غير مستقر في مكان معين، فهو متنقل ومتغير، وهو عكس السكون، أي السكون عكس الحركة أو الجسم الساكن عكس الجسم المتحرك.

يمثل **"أبو هلال العسكري"** في هذا التفريق بالاختلاف الواقع بين استعمال كلمتي: السكون والحركة، ولقد اعتمد على المقابلة بين اللفظ وضده، فكلمة السكون نقيض الحركة، إذ أنّ السكون يوجد في الجوهر، بينما الحركة ليست كالسكون، فمقياس المقابلة والضدية من الأسس الجوهرية لاكتشاف الفرق اللّغوي بينهما.

. اختلاف الاشتقاق.

يعدّ هذا المعيار من المعايير الأساسية لتبيان أصل مادة الألفاظ والمعاني التي تحملها، وانطلاقا منه فقد استطاع **"أبو هلال العسكري"** الوصول إلى السمات الدلالية بين الألفاظ، يقول "محمد محمود موسى الزواهرة": "إنّ الاشتقاق ضابط لمعرفة أصالة الكلمة العربية غالبا، وإن رجع الكلمة إلى جذرها بسبب رئيسي في تمييز الكلمة العربية الأصيلة في الكلمة الغربية الدخيلة"([2])، فالاشتقاق أداة يستعان بها لمعرفة جذر الكلمة وأصلها،

[1]- أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص. 147

[2]- محمد محمود موسى الزواهرة، الفروق اللغوية عند الراغب الأصفهاني في كتابه المفردات وأثرها في دلالات الألفاظ القرآنية، ص. 24

وإرجاع الكلمة إلى جذرها يعيين في التمييز والتفريق بين الكلمة العربية والكلمة الدخيلة، وانطلاقا من ذلك تقوم بإرشاد الباحث إلى أصل معناها، والتي تحمل معان خاصة به لا توجد في جذر آخر.

إنّ الاشتقاق سبب في معرفة ما تستقل به كل لفظة عن غيرها من حيث معناها، فالاشتقاق من بين الأدوات المهمة في إثراء اللغة العربية في صيغها ومفرداتها، ودلالاتها، وهو يعنى نزع كلمة من كلمة أخرى، على أن يكون بين الكلمتين تناسب في اللفظ والمعنى، وقد عرّفه "السيوطي" بأنّه "أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما في معنى، ومادة أصلية وهيئة تركيب لها، ليدل بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة لأجلها"([1])، ويفهم من هذا أنّ الاشتقاق وسيلة لتوليد المصطلحات في اللغة العربية وإثرائها، سواء في صيغها أو مفرداتها ومعانيها، ويعني اشتقاق كلمة من كلمة أخرى، على أن يكون هناك تناسب بينهما، سواء في اللفظ أو في المعنى، وذلك ما ذهب إليه "السيوطي" أيضا، إذ اعتبره نزع كلمة من كلمة أخرى مع تناسبهما في هيئة التركيب، لتدل الثانية على معنى الأصل.

لقد قدّم "**أبو هلال**" لذلك مجموعة من الأمثلة منها:

. الفرق بين السياسة والتدبير "وذلك أنّ السياسة هي النظر في الدقيق من أمور المسوس مشتقة من السوس هذا الحيوان المعروف، ولهذا لا يوصف الله تعالى بالسياسة لأنّ الأمور لا تدق عنه، والتدبير مشتق من الدّبر ودبر كل شيء آخره. وأدبار الأمور عواقبها فالتدبير آخر الأمور، وسوقها إلى ما يصلح به أدبارها أي عواقبها، ولهذا قيل للتدبير المستمر: سياسة وذلك أن التدبير إذا كثر، واستمر عرض فيه ما يحتاج إلى دقة النظر فهو راجع إلى الأول"([2])، ف **"أبو هلال العسكري"** يفرّق بين هذه الثنائية "السياسة" و"التدبير"، واعتمد في التفريق بينهما على

[1]- نقلا عن إسماعيل مغمولي، "المصطلح في التراث العربي الإسلامي"، مجلة العرب التراثي، قسم اللغة العربية، جامعة عنابة، الجزائر، ع. 93،94، 2004، ص. 29

[2]- أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص. 27

عوامل عدّة، منها النظر الدقيق، بحيث اعتبر السياسة لفظة مشتقة من السوس، وهي النظر بدقة، ولهذا لا يوصف الله تعالى بهذه اللفظة، لأنه لا يمكن أن تدقّ فيه، أما التدبير فهي كلمة مشتقة من الدّبُر أي آخر الشيء.

والسبب الذي جعل "**أبا هلال**" يطلق على التدبير المستمر سياسة، لأن التدبير يحتاج إلى دقة النظر "وعلى أية حال فإنّ هاتين الدالتين اللّتين يعرض لهما أبو هلال "السياسة والتدبير" تنتميان إلى مقولة دلالية كبرى يمكن أن نطلق عليها مقولة التخطيط أي الفعل الذي ينجز من خلال سلسلة من عمليات التدقيق والتحديد والتنظيم وما إلى ذلك"([1])، بمعنى أنّ ثنائية: السياسة والتدبير تنحصران في مقولة دلالية، ألا وهي التخطيط، أي الإنجاز وذلك من خلال التدقيق والتحديد والترتيب، كما أنهما تندرجان تحت الحقل الدلالي الخاص بألفاظ الحكم وإدارة الدولة، وكان التفريق بينهما وفق معيار الاشتقاق، فهو يميز اللفظ عن مرادفه، وذلك بالوقوف على أصله الثلاثي ومعنى ذلك الأصل.

يقول "**أبو هلال العسكري**" في موضع آخر حول التفريق بين ثنائية السياسة والتدبير: "أنّ السياسة في التدبير المستمر، لا يقال للتدبير الواحد: سياسة فكل سياسة تدبير، وليس كل تدبير سياسة"([2])،يتضح من خلال هذا أنّ "**أبا هلال العسكري**" حين تفريقه بين هاتين اللفظتين، أشار إلى كلمتين تنتميان إلى السياسة، وهي الاستمرارية ودقة النظر، وبهذا يكون الفارق بين هذه الثنائية في الاستمرارية، بمعنى أن يكون التدبير سياسة لابد من وجود شرط الاستمرارية، يقول "محي الدين محسب": "معنى ذلك أن شرط تحول التدبير إلى سياسة أن يكون له صفة (الاستمرار) ويتحصل لنا مما سبق أن المكونين الدلاليين للدالة سياسة هما (دقة النظر) +الاستمرار، وتشارك دالة التدبير دالة السياسة في المكون الدلالي الأول (دقة النظر) ولا تشاركها في (الاستمرار)"([3]).

---

[1]- محي الدين محسب، التحليل الدلالي في الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري، ص. ص. 43، 44

[2]- ينظر أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص. 192

[3]- محي الدين محسب، التحليل الدلالي في الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري، ص. 44

كما قال أيضا: "يلاحظ أن أبا هلال لم يعرض لجانب دلالي آخر في دالة السياسة وهو علاقتها بمفهوم السلطة أو الحكم وهو الأمر الذي تتضمنه سياسة الرعية" ([1])،ف"**أبو هلال**" لم يشر إلى سمة دلالية فارقة في لفظة السياسة، وهي مفهوم السلطة أو الحكم، وهو الأمر الذي تحتويه سياسة الرعية.

. الفرق بين الرزق والغذاء "أنّ الرزق اسم لما يملك صاحبه الانتفاع به فلا يجوز منازعته فيه لكونه حلالاً له، ويجوز أن يكون ما يغتذيه الإنسان حلالاً وحراماً، إذ ليس كل ما يغتذيه الإنسان رزقا له، ألا ترى أنه يجوز أن يغتذي بالسرقة، وليست السرقة رزقاً للسارق، ولو كانت رزقاً له لم يذم عليها وعلى النفقة منها، بل كان يحمد على ذلك والله تعالى مدح المؤمنين بإنفاقهم في قوله تعالى:{وممّا رزقناهم ينفقون} سورة البقرة، الآية3"([2])، هناك فارق دلالي بين ثنائية الرزق والغذاء، حيث يطلق الرزق على كلّ ما انتفع به شخص ما و يملكه، وفيه لا يجوز الخصام والمنازعة، لكونه حلالاً له، وأما الغذاء يجوز أن يكون فيه حلالاً وحراماً، وذلك لأنّ كل ما يأكله الإنسان ويعيش به ليس رزقاً له، وإذا كان رزقاً يحمد الله على ذلك.

يعدّ معيار الاشتقاق هو المقياس الأمثل في الكشف عن المعاني الدقيقة والفروق بين الألفاظ، فالوقوف على لفظ الرزق والغذاء وما بينهما يعين في الكشف عن المعنى، إذ أنّ الرزق مأخوذ من الجذر الثلاثي (رَزَقَ)، وهو ضد الحرمان، في حين أن الغذاء مأخوذ من الجذر الثلاثي (غَذَى)، وهو ضد الجوع، فالرزق أعم من الغذاء. والمتتبع لأصل تلك اللفظة والسياق الذي وردت فيه، يعينه على معرفة المعاني الدقيقة لتلك الألفاظ، وبين هذه الثنائية تشابه لفظي، ولكن لكلّ واحدة معناها الخاص بها، وذلك تبعا للسياق الذي سيقت فيه.

. الفرق بين الحكم والقضاء "أنّ القضاء يقتضي فصل الأمر على التمام من قولك: قضاه إذا أتمه وقطع عمله ومنه قوله تعالى: "ثم قضى أجلاً" سورة الأنعام ، الآية 2. أي فضل الحكم، ويجوز أن يقال: الحكم: فضل الأمر

[1]- محي الدين محسب، التحليل الدلالي في الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري، ص. 44

[2]- أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص. 167

على الأحكام بما يقتضيه العقل والشرع فإذا قيل: حكم بالباطل فمعناه أنه جعل الباطل موضع الحق، ويستعمل الحكم في مواضع لا يستعمل فيه القضاء كقولك: حكم هذا كحكم هذا أي: هما متماثلان في السبب أو العلة، وأحكام الأشياء تنقسم قسمين: حكم يرد إلى أصل، وحكم لا يرد إلى أصل"([1]).

يفهم من هذا أنّ هناك فارق دلالي كبير بين لفظتي الحكم والقضاء، حيث أطلق "**أبو هلال العسكري**" على لفظة القضاء أنه إتمام وإنهاء الشيء نحو: أتمّ عمله، أما الحكم فيدل على فصل الأمر، وذلك استناداً إلى العقل والأحكام الشرعية، على سبيل المثال حكم بالباطل، هنا أصبح الباطل حقا، وبالرغم من تقارب هاتين الكلمتين دلالياً، إلاّ أنه يوجد فارق بينهما، إذ يمكن استعمال الحكم في أماكن لا تستعمل في القضاء، وأحكام الأشياء على نوعين، حكم يرد إلى أصل، وحكم لا يرد فيه أصل.

هناك ارتباط بين هذه الكلمات من جهة اللفظ والمعنى، فالكلمة ذات الأصل الثلاثي تأتي مرتبة في كل صيغها، كما يمكن أن تأتي على صيغ وعلى عدة هيئات، فالوقوف على الأصل الثلاثي الذي اشتقت منه اللفظة يعني الوقوف على حقيقة معناه، فإرجاع اللفظ إلى أصله المشتق منه يُعينُ على معرفة المعاني الدقيقة التي تجد أثرها في سياق النص، إذ جاء الحكم في سياق ذكر الحق والباطل، في حين جاءت كلمة القضاء في سياق ذكر فصل الأمر.

. **الفرق بين القراءة والتلاوة** "أنّ التلاوة لا تكون إلا لكلمتين فصاعداً، والقراءة تكون للكلمة الواحدة، يقال قرأ فلان اسمه ولا يقال: تلا اسمه وذلك أن أصل التلاوة إتباع الشيء بالشيء يقال: تلاه إذا تبعه فتكون التلاوة في الكلمات يتبع بعضها بعضًا ولا تكون في الكلمة الواحدة إذ لا يصح فيها التلو"([2])، فالرجوع إلى أصل الكلمة واشتقاقها الأول يساعد في التمييز بين دلالات هذه الألفاظ، فالفعل (تلاَ) يختلف عن الفعل (قرأ)، ومنه التلاوة

[1]- أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص. 190

[2]- المصدر نفسه، ص. ص. 63، 64

تختلف عن القراءة، لكون كل كلمة تحمل معنى خاص بها، بالرغم من التقارب الدلالي بينهما، ف **"أبو هلال"** في هذا المثال قد وضّح، إلى جانب اختلاف أصل الفعلين، أنّ القراءة لا تشترط التتابع، فالكلمة الواحدة لا يقال فيها تلاوة وإنّما قراءة، وبذلك نجد فإن **"أبا هلال"** حينما فرّق بين هذه الثنائية اعتمد على عامل التتابع.

إنّ الاشتقاق معيار من معايير التفريق بين الألفاظ المتقاربة المعنى، حيث يمكن تمييز اللفظ من مرادفه بالعودة إلى أصله الثلاثي، ومحاولة الكشف والتعرف على معنى ذلك الأصل، فالباحث عن الفروق الدلالية بين الألفاظ في حاجة ماسة إلى الوقوف على معاني المشتقات لبيان المعنى المراد، وذلك من خلال السياقات التي وردت فيها.

. صيغة اللفظ.

يقول **"أبو هلال العسكري"**: "وكذلك كلما اختلفت صيغة من الأسماء والأفعال فمعناه مختلف" ([1])،فاختلاف صيغة كلمة ما يؤدي إلى اختلاف في المعنى. كما يرى أيضا أنّ "كل زيادة في المعنى موجبة لزيادة في الدلالة والمعنى. يقول: "إنّ اختلاف العبارات يوجب اختلاف المعاني"، ويقول أيضا: "وإذا اختلفت الصيغ والأصول اختلفت المعاني لا محالة" ([2])، فالصيغ أو الأوزان في اللّغة من القوالب التي تكشف عن شكل الكلمة، أي من حيث بنيتها "فبنية اسم الفاعل وصيغته مثلا مخالفة لبنية اسم المفعول وصيغته، هذا من حيث الظاهر والأمور الخارجية"([3])، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

[1]- حمد محمود موسى الزواهرة، الفروق اللغوية عند الراغب الأصفهاني في كتابه المفردات وأثرها في دلالات الألفاظ القرآنية، ص. 26

[2]- المرجع نفسه، ص. 26

[3]- المرجع نفسه، ص. 25

. **الفرق بين السؤال والاستفهام** "أنّ الاستفهام لا يكون إلاّ لما يحمله المستفهم، أو يشك فيه، وذلك أن المستفهم طالب لأن يفهم ويجوز أن يكون السائل يسأل عمّا يعلم وعمّا لا يعلم: وأدوات السؤال. هل والألف وأم وما وكيف، ومتى، وأما السؤال هو طلب الإخبار بأداته في الإفهام، فإنّ قال: ما مذهبك في حدوث العالم؟ فهو سؤال، لأنّه قد أتى بصيغة السؤال"([1])،ومنه فالاستفهام لا يكون إلاّ لما لا يعرفه المستمع، وذلك أنه يلح أن يفهم ما يقصد به بذلك السؤال، سواء كان يعلمه أو يجهله، وأما السؤال هو إظهار الأداة المستعملة في سؤاله قصد الإفهام بها، أي أنّ السؤال لا يكون إلاّ باعتماد أدوات الاستفهام التي يستعملها السائل، ففي قوله: ما مذهبك في حدوث العالم؟ أسلوب استفهام، والذي يدل عمومًا على التساؤل، ويظهر من خلال الأداة (ما) والعلامة الاستفهامية (؟)،اللاتي خرجن إلى دلالة سياقية وضحها السياق اللّغوي لذلك التركيب، والذي يستفسر عن نوع الاتجاه أو المذهب الذي ينتمي إليه.

بهذا نستنتج أن بين هاتين الكلمتين فرق كبير، فالسؤال المطروح نعلم إجابته أولا نعلمها، ولا يكون إلاّ بأدواته، أما الاستفهام فيكون عمّا نجهله، ولا نعلم به، وأدوات التفريق بين الكلمتين يكون بأداة السؤال والصيغة والجهل والعلم.

. **الفرق بين الضُّعف والضَّعف** "أنّ الضُّعف بالضم يكون في الجسد خاصة، وهو من قوله تعالى:{خَلَقَكُمْ مِنْ ضُعْفٍ} [الروم 54] والضّعف بالفتح يكون في الجسد والرأي والعقل، يقال في رأيه ضعف ولا يقال: فيه ضعف، كما يقال: في جسمه ضَعف وضُعف"([2])، يفهم من هذا أن الضُّعْفُ لا يكون إلاّ في الجسد، أما الضّعف يكون في العقل والرأي، وكذلك للمحسوسات كالجسد، وعلى هذا يمكن القول أنّ في الجسد ضُعفاً وضَعفاً ولكن هذا لا يمكن أن ينطبق على الرأي والعقل، فيقال فيهما فقط ضَعفاً، ومن ثم فإنّ الضَعْفُ أشمل من الضُعْفِ، لأنه

[1]- أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص. 37

[2]- المصدر نفسه، ص. 116

يشمل الجسد وغير الجسد، في حين أنّ الضُعف يخص الجسد فقط، فهاتان اللفظتان متشابهتان من حيث الشكل، لكن المعنى مختلف، والشيء الذي جعلها تختلف هي الحركات الإعرابية، وهذا ما أكسبهما معنى مختلف، بالإضافة إلى السياق الذي صيغت فيه.

بناءً على هذا نستخلص من خلال اعتبار صيغة اللفظ أن المعنى يخضع لبنية الكلمة وحركاتها، فالاعتماد على هذا الاعتبار اعتبار صيغة اللفظ الذي يعين في التفريق بين الكلمات المتقاربة دلاليًا، على سبيل المثال كلمتي" الاستفهام والسؤال اللّتان تتمحوران في موضوع الطلب.

. الفرق بين الإرادة والتحري "أنّ التحري هو طلب مكان الشيء مأخوذ من الحري وهو المأوى، وقيل لمأوى الطير حراها، ومنه تحرى القبلة، ولا يكون مع الشك في الإصابة، ولهذا لا يوصف الله تعالى به، فليس هو من الإرادة في شيء"([1])، فالتحري هو البحث عن مكان العيش، أي المأوى، على سبيل المثال مأوى العصفور أو الطير، وهذا اللّفظ لا يوصف الله تعالى به.

انطلاقا من هذا فإنّ لفظتي الإرادة والتحري فيهما فرق دلالي طفيف، ولهذا يقر" **أبو هلال العسكري**" أنّ الفرق والمعنى بينهما يتضح من خلال وضعهما في سياقات مختلفة، وذلك بعد تناسق وترابط هاتان اللفظتان في سياق الكلام الذي صيغت فيه، فأصبحت هذه الثنائية تشترك في معنى واحد، وهو البحث عن مكان ما، كما أن صيغة وبنية اللفظتين ساهما في تحديد المعنى الدقيق.

. الفرق بين الطلب والاقتضاء "أنّ الاقتضاء على وجهين: أحدهما اقتضاء الدّين، وهو طلب أدائه، والآخر مطالبة المعنى لغيره كأنه ناطق بأنه لابد منه، وهو على وجوه الاقتضاء لوجود المعنى كاقتضاء الشكر من حكيم لوجود النعمة، وليس كالضد الذي لا يحتمل ذلك، وكاقتضاء القادر المقدور، والمقدور والقادر، وكاقتضاء وجود الحركة للمحل من غير أن يقتضي وجود المحل وجود الحركة، لأنه قد يكون فيه السكون، وذلك نحو: ضرب

[1]- أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص. ص. 125، 126

يقتضي ذكر الضارب بعده بوضع واضع اللّغة له"([1])، ومنه فالاقتضاء يرد على نوعين: إما أن يدل على اقتضاء الدين، أي طلب قيامه وأدائه أو يدل على مطالبة المعنى لغيره، على سبيل المثال اقتضاء وجود النعمة لصحة الشكر، وهذا الاقتضاء لا يكون إلاّ بجعل جاعل له، أي وضع واضع اللّغة له مثل ضرب ضارب.

إنّ الوقوف على فروق هذه الألفاظ المتقاربة المعنى، أي الطلب والاقتضاء، إنّما يكون في سياق ورودها في النص، إذْ أنّ كلّ موضع فيه جاء بما اقتضاه المعنى من اللفظ، وذلك من خلال الصيغة الصرفية، لكونها تصلح لأن تكون آلية للكشف عن الدلالة، وذلك بمراعاتها السياق وتركيب الكلام، وعليه فإنّ الناظر في الاستعمال اللّغوي لهذه الكلمات يجد أنّ كلمة الطَلَبُ جاءت على وزن (فَعَلٌ)، بينما كلمة الاقتضاء جاءت على وزن (افْتِعَالْ)، فالبحث عن الفروق اللّغوية للأبنية المتواردة على معنى واحد، كأبنية صيغ المبالغة وأبنية المصادر، فإذا اختلفت الصيغ والأصول اختلفت المعاني.

. حقيقة اللفظين في أصل اللغة.

يقول "**أبو هلال العسكري**": "وقد يظن للوهلة الأولى أنّ هذا الضابط هو عين الضابط السادس وهو اعتبار الاشتقاق، إذ أنّ كلا الضابطين هو عملية إرجاع إلى الأصل، والفرق بينهما أن ضابط الاشتقاق هو الرجوع إلى أصل الكلمة من حيث الجذر وما يحمله من دلالات والذي يعين في التفريق بين الكلمتين، أما هذا الضابط فهو إرجاع الكلمة إلى جذرها كما في الضابط السادس بل إلى أصلها من حيث الوضع والإطلاق"([2])، يتضح من خلال هذا القول أنّ كلا هذين المعيارين هو أداة لإرجاع الكلمات إلى أصلها، فقد يظن الباحث للوهلة الأولى أن هذين الضابطين نفسهما، ولكن هناك فرق بينهما.

[1]- أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص. 289

[2]- محمد محمود موسى الزواهرة، الفروق اللغوية عند الراغب الأصفهاني في كتابه المفردات وأثرها في دلالات الألفاظ القرآنية، ص. ص.26،27

إنّ الاشتقاق هو إرجاع الكلمة إلى أصلها من حيث الجذر، وكل ما تحمله من معاني، عكس حقيقة اللّفظين في أصل واحد، الذي يدل على إرجاع الكلمة إلى أصلها من حيث الوضع والإطلاق "أما في معيار حقيقة اللفظين في أصل اللغة، فهو من باب التحول المجازي أي من باب العلاقة بين الحقيقة والمجاز حسب مفهومهما في النظر الدلالي العربي ومن الممكن أن نستنبط من هذا المعيار أن أبا هلال يجعل العمليات المجازية سبباً في إحداث التغير الدلالي"([1])، وبهذا يمكن القول أنّه بفضل ظاهرة التحول الدلالي تكتسب اللغة القدرة على التطور، وذلك من خلال أسلوب المجاز وتحول المعنى، فظاهرة التحول الدلالي تشكل نموذجا أساسيا لتغير المعاني وتحولها، أي تجاوز الدلالات الأصلية، وانطلاقاً من هذا يتضح أن **"أبا هلال العسكري"** يجعل المجاز أداة لمعرفة التغير الدلالي بين الكلمات، وقد مثل لهذا المعيار بجملة من الأمثلة من بينها:

. **الفرق بين الولد والابن** "أنّ الابن يفيد الاختصاص ومداومة الصحبة: ولهذا يقال: ابن الغلاة لمن يداوم سلوكها، وابن السُّرى لمن يكثر منه، وتقول تبنيت ابناً إذ جعلته خاصا بك، ولهذا يقال: الناس بنو أدم، لأنهم منسوبون إليه وكذلك بنو إسرائيل: وقيل أصل الابن التأليف والاتصال من قولك: بنيته وهو مبنى وأصله. بنيٌ، وقيل: بَنَوٌ ولهذا جمع على أبناء فكان بين الأب والابن تأليف، وأما الولد يقتضي الولادة، ولا يقتضيها الابن، والابن يقتضي أبّاً، والولد يقتضي والداً، ولا يسمى الإنسان والداً إلاّ إذا صار له ولد وليس هو مثل الأب، لأنهم يقولون في التّكنية: أبو فلان وإن لم يلد فلانا، ولا يقولون في هذا والد فلان، والولد للذكر والأنثى"([2]).

حاول **"أبو هلال** "التفريق بين ثنائية الولد والابن بالرجوع إلى أصل اللغة، فالابن يفيد الاختصاص ومداومة ومزاولة الصحبة، أما الولد فيستوجب الولادة، فالمؤلف هنا اعتمد على عوامل عدة للتفريق بينهما على

[1]- محي الدين محسب، التحليل الدلالي في الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري (دراسة في البنية الدلالية لمعجم العربية)، ص. 47

[2]- أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص. ص281، 282

سبيل المثال مداومة الصحبة في قوله: ابن الغلاة لمن يداوم سلوكها، تبنيت ابناً أي جعلته خاصاً به، إضافة إلى أنه اعتمد على النسبة في قوله: الناس بنو أدم، وكذلك الولادة في قوله: الولد يقتضي الولادة، ويحتاج إلى الوالد، كما اعتمد على الجنس، نحو: والد فلان، والولد يقال للذكر والأنثى.

- الابن ⟵ الاختصاص + مداومة الصحبة (الذكر، النسبة).
- الولد ⟵ الولادة (الذكر والأنثى).

وبناءً على هذا فإنّ الولد أعم من الابن، ولكن يصح أن يقال: ابن فلان ووالد فلان، وبالرغم من تشابه الألفاظ، لكن هناك فرق دلالي بينهما، وذلك من خلال نظم وترتيب تلك المفردات في الكلام، لذا كان التفريق بين المعنى الحقيقي للفظ والمعنى المجازي من أسس التمييز بينهما، فالبحث في أصل الألفاظ المترادفة سمي بالبحث في الأسماء المجازية، ولم يكن البحث في الأسماء الحقيقية الأصلية.

. الفرق بين البلاء والنقمة "أنّ البلاء يكون ضرراً، ويكون نفعاً، وإذا أردت النفع قلت: أبلته، وفي القرآن {وِلِيُبْلَى المؤْمِنِينَ مِنْهُ بلَاءً حَسَناً} سورة الأنفال الآية 17.ومن الضر بلوته، وأصله: أن تختبره بالمكروه، وأما النقمة لا تكون إلاّ جزاء وعقوبة، وأصلها شدة الإنكار تقول: نقمت عليه الأمر إذا أنكرته عليه، وقد تسمى النّقمة بلاء، والبلاء لا يسمى نقمة إذا كان ابتداءً والبلاء أيضا اسم للنعمة، وفي كلام الأحنف: البلاء، ثم الثناء، أي النعمة ثم الشكر"([1]).

يبرز "**أبو هلال العسكري**" معنيين لكلمة البلاء، قد يقال أنّ البلاء يكون ضرراً، وقد يكون أيضا نفعاً وإذا كان يدل على معنى النفع لابد من استخدام الفعل أبليته، أما إذا كان بمعنى الضر يستخدم الفعل بلوته، وبينما النقمة تدل على الجزاء والعقوبة، وأصلها شدة الإنكار، وعلى هذا فالبلاء أعم من النقمة، حيث يمكن تسمية النقمة بلاء، ولا يمكن تسمية البلاء نقمة، كما يرد أيضا أن البلاء يمكن أن يستخدم ويدل على النعمة

[1]- أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص. 240

والشكر، فالفرق بين أصل الكلمتين في اللغة: أنّ أصل الأولى هو الاختبار بالمكروه، وأما الثانية أصلها شدة الإنكار، وهما أصلان مختلفان، ولقد اعتمد "**أبو هلال**" خلال التفريق بين ثنائية البلاء والنقمة على عوامل تعينه في التمييز بينهما، وهي النفع والضر والاختيار.

استند "**أبو هلال العسكري**" على أصل اللفظ وحقيقته، أي من زاوية الحقيقة والمجاز، فدالة البلاء حقيقة في استعمالها على شيء معين، ومن ثم تحولت بعامل التعميم المجازي إلى حالة النقمة، ولهذا جعل "**أبو هلال**" العمليات المجازية سببًا في إحداث التغير الدلالي، إذ قد ينتقل اللفظ إلى معنى يقترب فيه من لفظ آخر، فينسى أصل وضعه في اللّغة، ولذا كان التفريق بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي من أسس التفريق اللغوي، وذلك من خلال السياق الذي قيلت فيه، فكل كلمة تحمل معنى خاصًا بها.

. **الفرق بين الحنين والاشتياق** "وذلك أن أصل الحنين في اللغة هو: صوت من أصوات الإبل تحدثها إذا اشتاقت إلى أوطانها ثم كثر ذلك حتى أجرى اسم كل واحد منهما على الآخر"([1])، و"**أبو هلال العسكري**" في تفريقه بين ثنائية الحنين والاشتياق، اعتمد على اعتبار أصل اللفظ في اللّغة للتمييز بينهما، حيث يقول أنّ الحنين هو صوت الإبل المشتاقة إلى أوطانها، وهنا ثمة نوع من الغموض والإبهام، حيث لم يوضح جيداً الفرق بينهما.

يقول "محي الدين محسب" في هذا الصدد: "أنه لم يشر هنا أو في موضع آخر إلى المكونات الدلالية الفارقة لدالة الاشتياق، إنه يرى أن هذه الدالة الاشتياق أعم من دالة الحنين، فالحنين اشتياق مخصوص، فالعلاقة الدلالية بين الاشتياق والحنين وفق تفسير أبي هلال هي علاقة الاشتمال inclusion، حيث إنّ ما تدل عليه دالة الحنين مشتمل فيما تدل عليه دالة الاشتياق ومن الواضح أننا هنا أمام مقولة الرغبة ويندرج تحتها دول مثل:

[1]- أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص. 28

التمني والمحبة والود، والمكون الدلالي العام الذي يجمع هذه الدوال أنها جميعاً تدل على رغبة شعورية من (أ) تتعلق بـ (ب) ويؤدي تحقق المتعلق به إلى شعور مريح"([1]).

يتبين من خلال رأي "محي الدين محسب" خلال تفريق "**أبي هلال العسكري**" بين كلمتي الحنين والاشتياق أنه قد شرح وأبرز الفروق بين هذه اللفظتين بشكل واضح، حيث أن الاشتياق أوسع وأعم من الحنين، فالمصطلح الأول يضم المصطلح الثاني، فالحنين اشتياق مخصوص، والعلاقة التي تجمعهما هي علاقة الاشتمال، حيث أن المعنى الذي يدل عليه الاشتياق هو نفسه ما يدل عليه الحنين، ونجد أن اللفظتان تندرج تحتها كلمات متقاربة دلالياً مثل: التمني والمحبة، وكلها تؤدي إلى تحقيق شعور ما.

بناءً على ذلك يتضح أن اعتبار أصل اللفظ في اللّغة الذي وضعه "**أبو هلال**" كان اعتماداً على العودة إلى أصل استعماله، وهذا ما يسمى بالتغير الدلالي أو المجاز، والمجاز سبب من أسباب الترادف، إذ ينتقل اللفظ إلى معنى يقترب فيه من لفظ آخر، وبذلك كان التفريق بين المعنى الحقيقي والمجازي من أسس التفريق اللّغوي، فالبحث عن الأصول التاريخية لكثير من الألفاظ المترادفة، يؤكد في الحقيقة أنها لم تكن ألفاظا أصلية للشيء، وإنّما سميت بذلك عن طريق المجاز.

. **الفرق بين الصعود والارتفاع** "أنّ الصعود مقصور على الارتفاع في المكان ولا يستعمل في غيره، ويقال صعد في السلم والدرجة، ولا يقال صعد أمره، والارتفاع والعلو يشترط فيهما جميع ذلك، والصعود أيضا هو الذهاب إلى فوق فقط، وليس الارتفاع كذلك، ألا ترى أنه يقال: ارتفع في المجلس، ولا يقال أصعدته إلاّ إذا أعليته"([2])،هناك فارق دلالي كبير بين كلمتي (الصعود) و(الارتفاع)، إذ أنّ لكل واحدة دلالتها الخاصة، بالرغم من وجود تقارب

[1]- محي الدين محسب، التحليل الدلالي في الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري (دراسة في البنية الدلالية لمعجم العربية)، ص. ص. 48، 49

[2]- أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص. 184

دلالي بينهما، إلاّ أن "أبو هلال" حاول تقديم وتوضيح الفروق بينهما، إذ اعتبر أن الصعود يستعمل للأماكن صعود إلى مكان ما، نحو صعد السلم والدرجة، ولا يقال صعد أمره، وبين الارتفاع والعلو لابد أن يكون جميع ذلك فيهما. والصعود هو الذهاب إلى الفوق (الأعلى)،بينما الارتفاع عكس ذلك، على سبيل المثال يمكن القول: ارتفع في المجلس، ولا يصح القول: أصعدته إلاّ إذا أعليته.

إنّ هذه الأسماء لكثرة استعمالها تنسى فيها الناحية المجازية، وتصبح دالة حقيقية لا مجازية، وتكون دلالتها أقرب إلى الذهن من دلالتها الأصلية، وذلك لانتشار استعماله، فكان الرجوع إلى أصله ووضعه وحقيقته الأصلية أساسا للوقوف على المعاني الدقيقة، فالصعود يوحي إلى الأماكن، والارتفاع عكس ذلك، وبذلك يبتعد الصعود والارتفاع كثيرًا، وإذا أردت وضع الصعود موقع الارتفاع ذهب بيان ومعنى العبارة ومقصودها، وهذه المزية حصلت من استقراء الأصل للفظ.

انطلاقا ممّا سبق فإنّ **"أبا هلال"** لم يغفل دور السياق وأهميته في تحديد المعنى، وذلك من خلال المعايير المذكورة، والتي قدّمها ليبرز الفروقات اللغوية بين الألفاظ المترادفة، فمعاني هذه الألفاظ لا يُكشف بالنظر فيها وهي مستقلة، إنما انطلاقا من وضعها في تراكيب لغوية، أي السياقات التي ترد فيها، فما جعلها تختلف هو السياق، ومنه فالسياق هو الأساس في تبيان الفروق الدلالية بين الألفاظ عند **"أبي هلال العسكري"**.

. خلاصة الفصل:

كان "**أبو هلال العسكري**" في عصره إمامًا في العلم والأدب، وواحدًا من أئمة وعلماء البلاغة وعلوم العربية، وكان ذو شخصية قوية جذابة، لها أثر عظيم في تطوير اللّغة العربية، ولقد كرّس نصف حياته لخدمة اللّغة العربية لكثرة مادتها ودقة معانيها، فـ "**أبو هلال العسكري**" وبالرغم من قلة الأخبار المتصلة بحياته، إلاّ أنه ثمة أمر جليّ لا يمكن إغفاله، وهو أنّ هذا الرجل قضى شطرًا من حياته في الدرس والتأليف، وأنّه خلّف للمكتبة العربية طائفة من الكتب.

كما كان "**أبو هلال**" من أكثر العلماء المتشدّدين والمعارضين لظاهرة الترادف، ومن أجل هذه الغاية ألّف كتابه "الفروق اللغوية"، ليوضّح فيه عمليا الفروق الدلالية بين الألفاظ المتقاربة في المعنى، وهذه الفروق تتّضح وتبرز بدقة في اللّغة العربية، ومعنى هذه الألفاظ لا ينكشف بالنظر فيها وهي مستقلة، بل لابد من ورودها في سياقات مختلفة، وبالتالي لم يغفل "**أبو هلال**" السياق في هذا الكتاب، حيث ظهر دوره وأهميته في تبيان الفروقات الدلالية بين الكلمات التي تبدو في الظاهر مترادفة أو متقاربة دلاليا، فكان من الأوائل المنادين بفكرة الفروق الدلالية بين الكلمات، إذ كان حريصًا وممتنًا على التماس الفروق بين الألفاظ مهما دقت وتقاربت دلالتها.

لقد ألف كتابه هذا الذي كان له الريادة الأولى في موضوع الفروق، وهو كتاب كامل كافٍ شاملٌ، وهدفه منه هو التفريق بين الألفاظ ذات معان متقاربة، استعملها الناس بمعنى واحد، وهذا التفريق ذو أهمية كبيرة فهو يؤدي إلى المعرفة بوجود الكلام والوقوف على حقائق معانيه والوصول إلى الغرض فيه. ولتحديد الفروق الدلالية بين ألفاظ اللّغة اعتمد على معايير علمية محدّدة ودقيقة، كي يستطيع الوقوف على السمّات الدلالية المميزة لكل لفظ، ولقد تمثلت في ثمانية معايير أساسية والمتمثلة في:

. اختلاف الاستعمال اللغوي.

. اختلاف صفات المعنيين.

. اختلاف ما يؤول إليه المعنيين.

. اختلاف الحروف التي تعدّى بها الأفعال.

. اختلاف النقيض.

. اختلاف الاشتقاق.

. صيغة اللفظ.

. حقيقة اللفظين في أصل اللّغة.

واعتمد "**أبو هلال العسكري**" في كتابه "**الفروق اللغوية**" على هذه الأسس والمعايير الثمانية، لإظهار الفروق الدلالية بين دوال اللّغة، التي تجمع بينها مساحة دلالية مشتركة، أي إيراد الفرق بين معاني الكلمات وأشباهها، فقد كانت محاولته في وضع هذه المعايير الثمانية للفروق الدلالية بين الألفاظ المتقاربة الدلالة، أو ما يسمى المترادفات، والتي أكسبها قيمتها التاريخية والعلمية مقارنة بالمخططات الدلالية الحديثة، وهنا لابد على الباحث الالتزام بهذه الضوابط والمعايير مع مراعاة السياق ليتم من خلالها توضيح هذه الفروق وتحديد المعنى الدقيق.

خاتمة

حاولنا من خلال هذه الدراسة المتواضعة، التي تمسّ جانبًا أساسيا في اللّغة، والمتمثل في السياق ودوره في شرح ألفاظ اللّغة وتحديد معانيها، وبناء على ما عرضناه في فصول هذا البحث، توصلنا إلى مجموعة من النتائج أهمها:

- اكتسب موضوع السّياق مجالاً واسعًا في الدرس اللّغوي المعاصر، نظرًا لأهميته الكبرى، وقدرته الهائلة في توجيه علم الدلالة.
- السياق لم يكن وليد الدراسات الغربية فقط، بل إنّ جذوره تمتد إلى أعماق الدراسات العربية والتراث العربي.
- السياق قام عند العرب ومن ثم عند الغرب، وخصيصًا عند العالم الإنجليزي **"جون فيرث"**، الذي خصّص له نظرية قائمة بذاتها، والموسومة بـ "النظرية السياقية".
- تعدّ نظرية السياق منهجًا من أهم مناهج دراسة المعنى في اللّغة، إذْ يكسب الألفاظ المعاني الصحيحة والواضحة، فالمعنى الصحيح هو الذي يكتسب من السياق.
- يعدّ السياق من بين الوسائل الفعّالة، التي تعين القارئ على فهم معاني الكلمات، التي ترد في تراكيب لغوية معينة، فالكلمة تتنوّع دلالتها بتنوّع الاستعمالات أو السياقات التي وردت فيها.
- للسّياق دور مهم في تحديد دلالة الجملة، فهو يساعد القارئ على تلمّس المعاني المنبثة داخل الجملة والمخفية في ثنايا النص وبين سطوره.
- يعدّ السياق الحلّ الأمثل للكثير من الإشكاليات التخاطبية فيما يخص الدلالة، فهو القرينة الكاشفة للوجه المراد من المفردة.

- إنّ العلماء العرب القدامى من لغويين، بلاغيين، مفسرين، وأصوليين، درسوا السياق دراسة معمّقة، وبيّنوا أثره في النظم، وتحديد دلالة الكلمات.
- اعتمد العرب على السياق غير اللغوي (المقام) أكثر من تركيزهم على السياق اللغوي (المقال)،بحيث أنّ السياق اللغوي يهتم بدراسة المفردات والتراكيب اللّغوية دراسة صوتية وصرفية ونحوية ومعجمية، بينما السياق غير اللغوي يهتم بكل ما يحيط بالكلام من ظروف وملابسات خارجية.
- لم يغفل "أبو هلال العسكري" السياق، فقد عدّه الأساس في التفريق بين مفردات اللغة.
- حرص "أبو هلال العسكري" على تبيان الفروق الدلالية بين الكلمات المتقاربة الدلالات، معتمدًا في ذلك على مجموعة من المعايير الدلالية والسياق.
- وعلى الرغم من أنّ "أبا هلال العسكري" لم يعترف بالترادف كليا، إلاّ أنه يعتمد عليه في إيضاح معاني الكلمات.
- ويعدّ كتاب "الفروق اللغوية" من أشهر الكتب التي تحاول الكشف عن الفرق بين الألفاظ المترادفة.
- يقرّ "أبو هلال العسكري" بوجود تقارب دلالي بين لفظتين، ولكن هذا التقارب ليس تاما، وفي معالجته هذه في كتابه "الفروق اللغوية" لم يكتف بتقرير الفروق الدلالية بين الألفاظ المتقاربة في المعنى، وإنما يقدّم تعليلا لوجوده، حسب معيار من المعايير الثمانية التي قدمها، وحسب السياق الذي ترد فيه هذه الألفاظ، وأثر ذلك في توجيه المعنى. سواء كان على مستوى المفردة أو مستوى الجملة.
- إنّ المعنى الدلالي لا يتوقف على معنى واحد فقط، بل يتبدّل ويتغير تبعًا لتبدل المقالات والمقامات، التي ترد فيها (السياق اللغوي والسياق غير اللغوي).

نأمل ونرجو أننا وفقنا في هذا البحث، فما كان فيه صوابا فمن اللطيف الرحمن، وإنّ الكمال لله وحده، وما كان فيه خللا، فقد كان مِنَا ومن زلة الشيطان، وفي الختام نسأل الله عز وجل أن يكون عملاً صالحًا مقبولاً.

قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**

- **المصادر:**

- أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، تح. محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة، (د. ط)، 1997.

- أبو هلال العسكري، الفروق في اللغة، تح. لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط. 4، 1980.

- **المراجع:**

1- المعاجم:

- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، مج. 1، تح. عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، القاهرة، 1972.

- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، مج. 10، دار صادر، بيروت، 1990.

- أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، ج.1، تح. محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط.1، 1998.

- الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تح. مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط. 8، 2005.

- ياقوت الحموي الرومي، معجم الأدباء، ج. 1، تح. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط. 1، 1993.

2- الكتب:

- إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط. 5، 1984
- ابن جنّي، الخصائص، ج.1، تح. علي النجار، مطبعة دار الكتب المصرية، 1952
- أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، الكتاب، ج 1، تح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ط. 3، القاهرة، 1988.
- أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد الجرجاني، الجمل، تح. علي حيدر، دار الحكمة، دمشق، 1972.
- أبو هلال العسكري، التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، تح. عزة حسن، دار طلاس، دمشق، ط. 1، 1969.
- أبو هلال العسكري، الصناعتين الكتابة والشعر، تح. علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ط. 2، 1971.
- أبو هلال العسكري، الوجوه والنظائر، تح. محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط. 1، 2007.
- أبو هلال العسكري، ديوان المعاني، ج. 1، مكتبة القدامى، القاهرة، (د. ط)، 1352.
- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط.5، 1998.
- أحمد نعيم الكراعين، علم الدلالة بين النظر والتطبيق، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت لبنان، ط. 1، 1993.
- بدوي أحمد طبانة، أبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية، مطبعة مخيمر، القاهرة، ط .1، 1952.

- بالمر، علم الدلالة إطار جديد، تر. صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (د. ط)، 1995.
- تمام حسان، اجتهادات لغوية، عالم الكتب، ط. 1، القاهرة، 2007.
- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، المغرب، 1994.
- جماعة من علماء التفسير، المختصر في تفسير القرآن الكريم، مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرياض، ط. 3، 1436.
- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تح. محمد عبد القادر الفاضلي، الدار النموذجية المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط. 1،2001.
- ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، مكتبة الملك فهد الوطنية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط.1، 1424.
- السعيد شنوقة، مدخل إلى المدارس اللسانية، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط. 1، 2008.
- صلاح الدين صالح حسنين، الدلالة والنحو، مكتبة الآداب، ط.1، (د. ت).
- عبد الرحمان جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج.1،شرحه وضبطه وصححه محمد أحمد جاد المولى بك وآخرون، دار التراث، القاهرة، ط.3، 2008.
- عبد القادر أبو شريفة، علم الدلالة والمعجم العربي، دار الفكر، عمان، ط. 1، 1989.
- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د. ط)، 1984.
- علي أيت أوشان، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط. 1، 2000.
- عيد بلبع، السياق وتوجيه دلالة النص، دار الكتب المصرية، ط. 1، المدينة المنورة، 2008.

- فاطمة الشيدي، المعنى خارج النص أثر السّياق في تحديد دلالات الخطاب، دار نينوي، دمشق، (د. ط)، 2011.
- فرديناندي سوسور، علم اللغة العام، تر. يوئيل يوسف عزيز، دار آفاق عربية، بغداد، ط. 1، 1985
- فوزي السيّد عبد ربه عيد، المقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيان والتبيين، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، 2005.
- محمد إدريس الشافعي، الرسالة، تح وشرح أبو الأشبال أحمد محمد شاكر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط.1، مصر، 1938.
- محمد بن أحمد السرخسي، أصول السرخسي، ج.1، تح. أبو الوفاء الأفغاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.1، 1414.
- محمد حماسة عبد اللّطيف، النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي- الدلالي، دار الشروق، القاهرة، ط. 1، 2000.
- محمد جعفر الشيخ إبراهيم الكرباسي، الرسالة التامة في فروق اللغة العامة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط. 1، 2009.
- محمد سعد محمد، في علم الدلالة، مكتبة زهراء الشرق، ط. 1، القاهرة، 2002.
- محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، (د. ط)، بيروت،(د. ت).
- محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم الدلالة، دار قباء، طبعة جديدة مزيدة ومنقحة، القاهرة، (د.ت).
- محي الدين محسب، التحليل الدلالي في الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري- دراسة في البنية الدلالية (معجم العربية)، دار الهدى، (د. ط)، ألمنيا، 2001.

- منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي- دراسة-، مكتبة الأسد، (د. ط)، دمشق، 2001.
- المهدي إبراهيم الغويل، السياق وأثره في المعنى، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، 2011.
- هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، مكتبة لسان العرب، الأردن، ط.1، 1427هـ-2007م.

3- المجلات العلمية:

- إسماعيل مغمولي، "المصطلح في التراث العربي الإسلامي"، مجلة العرب التراثي، قسم اللغة العربية، جامعة عنابة، الجزائر، ع. 93، 94، 2004.
- حمزة حسن، "عودة إلى المسند والمسند إليه في كتاب سيبويه"، ضمن الندوة الدولية: مجادلة السائد في اللغة والأدب والفكر، قسم اللغة العربية والآداب العربية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، دار المنظومة، تونس، ع.1، 2002.
- خليل خلف بشير العامري، "السياق أنماطه وتطبيقاته في التعبير القرآني"، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، البصرة، مج. 9، ع. 2، 2010.
- ربيع محمد محمد حفني، "معايير أبي هلال العسكري الدلالية ودورها في إثبات الفروق اللغوية (دراسة وصفية)"، مجلة المقري للدراسات اللغوية النظرية والتطبيقية، كلية العلوم الإسلامية، جامعة كارابوك، مج.4، ع.2، 2021.
- زينب مديح، "الدلالة النحوية بين القدامى والمحدثين"، مجلة واسط للعلوم الإنسانية، كلية التربية الأساسية، جامعة واسط، العراق، ع. 12، 2009.

- عارف الدين، "دلالات السياق على معاني الزمن النحوي: دراسة نحوية دلالية"، مجلة الدراسات اللّغوية والأدبية، قسم دراسات الشرق الأوسط، تخصص اللغة العربية، جامعة كاجه ماداه يوجيا كرتا، أندنوسيا، ع.1، يونيو 2018.
- عبد العزيز ياسين عبد الله وآخرون، "الدلالة النحوية عند النحاة العرب"، مجلة آداب الرافدين، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الموصل، ع. 66، 1424هـ/2013م.
- العيد جلولي، "مصطلح السياق في التراث العربي وعلم اللغة الحديث"، مجلة مقاليد، جامعة قصدي مرباح ورقلة، الجزائر، ع.1، جوان 2011.
- فطومة الحمادي، "السياق والنص استقصاء دور السياق في تحقيق التماسك النصي"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، ع. 2، 3، جانفي، جوان 2008.
- كورنياوان، منهج معجم الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري، Jurnal Lisanu ad-dhad، م الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، ج.2، ع.2، 2015.
- محمد إسماعيل بصل وفاطمة بلة، "ملامح نظرية السياق في الدرس اللغوي الحديث"، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، جامعة سمنان، إيران، جامعة تشرين، سوريا، ع.18، 2014.

4- الرسائل الجامعية:

- أحمد مصطفى أحمد الأسطل، أثر السياق في توجيه شرح الأحاديث عند ابن حجر العسقلاني، رسالة ماجستير في علم اللغة الحديث، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، الجامعة الإسلامية غزة، 2011.

- بوزبوجة عبد القادر، نظرية السياق عند اللغويين والبلاغيين العرب، رسالة دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة وهران، 2006 /2007.
- دايد عبد القادر، أثر السياق في ترجيح دلالة النص لدى الزمخشري- الكشاف أنموذجا -، رسالة ماجستير، قسم اللغة، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة وهران1- أحمد بن بلة -، الجزائر،2018/2017.
- سهيل محمد حسين جعفر الأرناؤوطي، الأساليب البلاغية في شعر أبي هلال العسكري، رسالة مكملة لدرجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، قسم اللغة العربية، كلية التربية، جامعة بغداد ابن رشد، 2010.
- عشوش صليحة، اللغة العربية التحديات والحلول، مذكرة ماستر، قسم اللغة العربية وآدابها ،كلية الآداب واللغات، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، الجزائر،2014/2013.
- عفاف بن بوط، مستويات السياق اللغوي وأثره في توجيه المعنى- معلقة "عبيد بن الأبرص" أنموذجا-، مذكرة لنيل شهادة الماستر، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، 2014/ 2015.
- علي حميد خضير، دلالة السياق في النص القرآني، أطروحة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والتربية الأكاديمية العربية، قسم اللغة العربية، الدانمارك، 2014.
- فتحي إبراهيم عبد الله عثمان، السياق وأثره في تحديد دلالة المشتقات- دراسة تطبيقية في سورة يوسف -، رسالة الماجستير في اللغة العربية، تخصص دراسات لغوية ونحوية، كلية اللغات، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، 1436هـ/2015م.

- محمد محمود موسى الزواهرة، الفروق اللغوية عند الراغب الأصفهاني في كتابه المفردات وأثرها في دلالات الألفاظ القرآنية، رسالة مكملة للحصول على درجة الماجستير، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 2008.
- محمد المهدي حمامي رفاعي، السياق في كتب التفسير الكشاف تفسير ابن كثير نموذجا –رسالة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، جامعة حلب، 1985.
- محمد ياس خضر الدوري، دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني، مذكرة لنيل درجة دكتوراه فلسفة في اللغة العربية /لغة، كلية التربية، جامعة بغداد، 2005.
- مراد حاج محند، السياق ودوره في استنباط الأحكام النقدية والتراثية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، كلية الآداب والعلوم لقسم الأدب العربي، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، 25 جانفي 2012.
- ناريمان براح، النظرية السياقية في الدرس اللساني قديما وحديثا– دراسة مقارنة –، مذكرة لنيل شهادة الماستر، كلية الآداب واللغات، قسم علوم اللغة العربية، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، 2014/ 2015.
- نجوى حفصة ووسيلة وسطاني، ظاهرة الترادف في كتاب الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري، مذكرة لنيل شهادة الماستر، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، 2018، 2019.

- نعيمة بن ترابو، ملامح النظرية السياقية، عند اللغويين العرب، دراسة من منظور لساني، مذكرة ماجيستير في الأدب العربي، كلية الآداب واللغات، قسم الأدب العربي، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2009 /2010.
- نعيمة بوعافية، سياق الحال وأثره في توجيه الدلالة – تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور أنموذجا–، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في ميدان اللغة العربية والأدب، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، الجزائر، 2015– 2016.

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
شكر وعرفان.	
الإهداء.	
مقدمة.	أ. ث
مدخل.	**11 . 1**
الفصل النظري: مفهوم السياق وأنواعه.	
المبحث الأول: ماهية السياق.	**19 . 13**
1- مفهوم السياق.	**19 . 13**
أ- لغة.	**15 . 13**
ب- اصطلاحا.	**19 . 15**
2- نظرية السياق في التراث العربي والغربي.	**32 . 19**
2-1- السياق في التراث العربي.	**32 . 20**
أ- السياق عند اللغويين.	**22 . 20**
ب- السياق عند البلاغيين.	**25 . 22**
ت- السياق عند المفسرين.	**28 . 25**
ث- السياق عند الأصوليين.	**32 . 28**
2-2- السّياق عند الغربيين.	**49 . 32**
2-2-1- فردينا ندي سوسير.	**36 . 32**
2-2-2- جورج فندريس.	**39 . 36**

2-2-3- مالينوفسكي.	43.39
2-2-4- فيرث.	49.43
المبحث الثاني: فروع السّياق وفاعليته.	74.50
1- فروع السّياق.	71.50
1-1- السّياق اللّغوي.	62.50
أ- المستوى الصوتي.	53.51
ب . المستوى الصرفي (علم الصرف).	56.53
ج- المستوى النحوي (علم النحو).	60.56
د- المستوى المعجمي.	62.60
1-2-السّياق غير اللّغوي.	71.62
1-2-1- السّياق النفسي (العاطفي الانفعالي).	67.65
1-2-2- سياق الموقف (المقام).	69.67
1-2-3- السّياق الثقافي (الاجتماعي).	71.69
2-فاعلية السّياق في تحديد المعنى.	74.71
الفصل التطبيقي: السّياق في الفروق اللّغوية.	
المبحث الأول: نبذة تاريخية شاملة على المؤلف وعن الكتاب.	100.76
1- التعريف بمؤلف" الفروق اللّغوية".	86.76
1-1- حياته وسيرته.	80.76
1-2- شيوخه وتلاميذه.	81.80

1-3- ثقافته.	82 . 81
1-4- مؤلفاته.	84 . 82
1-5- شعره.	86 . 84
2- كتاب الفروق اللّغوية لأبي هلال العسكري.	98 . 86
2-1- عنوان الكتاب.	87 . 86
2-2- الجذور التراثية لمفهوم الفروقات اللّغوية.	93 . 87
2-3- الباعث إلى تأليف هذا الكتاب.	96 . 93
2-4- أسلوبه.	96
2-5- منهجه.	98 . 97
2-6- مجالاته.	98
2-7- الآراء النقدية حول ظاهرة الفروق اللّغوية.	100 . 98
المبحث الثاني: مقاربة دلالية لكتاب الفروق اللّغوية.	140 . 101
- معايير أبي هلال العسكري الدلالية.	138 . 101
. اختلاف الاستعمال اللغوي.	108 . 104
. اختلاف صفات المعنيين.	112 . 108
. اختلاف ما يؤول إليه المعنيين.	115 . 112
. اختلاف الحروف التي تعدى بها الأفعال.	120 . 115
. اختلاف النقيض.	125 . 121
. اختلاف الاشتقاق.	130 . 125

. صيغة اللفظ.	**133 . 130**
. حقيقة اللفظين في أصل اللغة.	**138 . 133**
خاتمة.	**144 . 142**
قائمة المصادر والمراجع.	**154 . 145**
فهرس الموضوعات.	**157 . 155**

الملخص:

يعتبر السّياق من أهم المباحث الدلالية التي اهتم بها العلماء، والذين آمنوا به وبدوره الفعّال في تبيان معاني الكلمات، فالسياق مسألة ضرورية وحاسمة في مجال الدلالة، إذ يؤدي دورًا بارزًا في تحديد معاني الكلام، فدراسة معنى نص ما لا يقتصر فقط على مجاورة الكلمات ومقابلتها لبعضها البعض، وإنّما تجاوز ذلك إلى تحليل المعنى وتوضيحه، استنادًا للملابسات الخارجية المحيطة بالنص الكلامي، والكلمة إذا أخذت منعزلة عن السياقين المقالي والمقامي، فلا معنى لها ولا قيمة، فلكل مقال مقام.

ومن هنا جاء هذا البحث ليقف على هذه الأهمية، فحاول فتح نوافذ كثيرة على عالم البحث اللغوي العربي القديم، من خلال تسليط الضوء على كتاب "الفروق اللغوية" لـ "أبي هلال العسكري"، ودور السياق في تبيان الفروق الدلالية بين الكلمات المترادفة، فاعتمد في ذلك على المنهج الوصفي التحليلي، الذي يقوم على تتبّع الاستعمالات المختلفة للكلمات، من أجل الوصول إلى الفروقات الموجودة بينها ووصفها، ومن ثمّ تبيان أهمية السياق في ذلك.

. **الكلمات المفتاحية**: السّياق اللغوي/السياق غير اللغوي/نظرية السياق/ الدلالة /الفروق اللغوية.

Abstract:

The context is considered one of the most important semantic investigations that scholars have paid attention to, and those who believed in it and its effective role in clarifying the meanings of words. Some, however, went beyond that to analyze the meaning and clarify it, based on the external circumstances surrounding the verbal text, and the word, if taken isolated from the contexts of articles and statuses, has no meaning or value, for every article has a place.

This research came to stand on this importance, and it tried to open many windows on the world of ancient Arabic linguistic research, by shedding light on the book "Linguistic Differences" by "Abi Hilal Al-Askari", and the role of the context in showing the semantic differences between synonymous words. This is based on the descriptive and analytical approach, which is based on tracking the different uses of words, in order to reach the differences between them and describe them, and then show the importance of context in that.

Key words: Linguistic context, Non- linguistic context, Context theory, Signification, Linguistic differences.